بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

جهود الإمام
بديع الزمان النورسي
في إعجاز القرآن الكريم

إعداد

وليد رشاد رشيد ياسين.

إشراف

الدكتور أحمد سليمان البشايرة.

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير بكلية الدراسات العليا في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 12/ ربيع الثاني /1432هـ الموافق 2011/3/17م وأجيزت

لجنة المناقشة		**التوقيع**
الدكتور أحمد سليمان البشايره	مشرفاً ورئيساً	....
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي	عضواً	....
الدكتور جهاد محمد النصيرات	عضواً	....

الإهداء

تضيئان في عتم الدجى أيامي	إلى ذينك النجمين في ليل رحلتي
وأبي الرحيم تحيتي وسلامي	أمي الحبيبة فاسلمي ولتقبلي
وجزيت خيرًا زوجتي إلهامي	وإليك يا خير المتاع محبتي
مني الفؤاد فحلقت أحلامي	وإليكم يا من بعلمكمُ سما
جهدي بذلت فكان ذروَ سنامي	في آي قرآنٍ تجل عن الثرى
وفدى العلوم بذلتَ في إنعامِ	عدنان يا ذا الفضل خيرك وافرٌ
مسك تضوع في حروف كلامي	يا صحبتي في العلم أنتم إخوتي
وتقلدوا في الفضل خير وسامِ	فتقبلوا يا من ذكرت هديتي
وإليه أرنو كي تصيب سهامي	والله أرجو القصد غاية مطلبي
قبولاً وتوفيقاً وحسن ختامِ	إياه أسأل أن يتم نعيمه

الشكر

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف:15).

يطيب لي أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي ومعلمي فضيلة الدكتور أحمد سليمان البشايره، لما أسبغه عليّ من النصائح النافعة، والتوجيهات الفيّاضة، ولما تركه من لمسات رائعة كان لها آثارٌ طيبة في إتمام هذا العمل على الوجه المطلوب، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتنا الأفاضل الذين سعوا في تقويم هذا البحث.

١ – فضيلة الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.

٢ – فضيلة الدكتور جهاد محمد النصيرات.

وأتوجه بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل إلى كل من قدم لي عوناً ومساعدة ودعوة لإتمام هذا العمل، راجياً من الله العليّ القدير أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول.

فهرس الموضوعات

ملخص

تتحدث هذه الدراسة عن جهود الإمام بديع الزمان النورسي في إعجاز القرآن الكريم من جانبين:

الجانب الأول: وجوه الإعجاز المقبولة عند الإمام النورسي، وما أضافه الإمام في ذلك.

الجانب الثاني: الملاحظات على جهود الإمام النورسي في الإعجاز.

أفرد الإمام النورسي الإعجاز بالكلام في بعض رسائله، كإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، والمعجزات القرآنية، والمعجزات الأحمدية، ورسالة الآية الكبرى، والكلمة الخامسة والعشرين من رسالة الكلمات.

وقد عرفت بالإمام النورسي من خلال ما ذكره في رسائله، وبينت أحوال عصره الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين. وعرضت لجوانب حياته العلمية والعملية.

ولإظهار ما تميز به الإمام النورسي عرضت لمسيرة الإعجاز قديماً وحديثاً، مبيناً ما قدمه بعض العلماء كالخطابي والجرجاني والزمخشري، والرافعي ودراز وسيد قطب وبنت الشاطئ وغيرهم، جزاهم الله خيراً أجمعين.

وقد وقفت مع وجوه الإعجاز المرجوحة لدى الإمام النورسي كالإعجاز بالرؤية.

وأبرزت تطبيقات الإمام النورسي لنظرية النظم في تفسيره لسورة الفاتحة، والآيات الثلاثين الأولى من سورة البقرة.

لقد قدم الإمام النورسي جهداً مشكوراً خدمة لكتاب الله ودينه، أرجو الله أن يجعله في ميزان حسناته. كما وأرجو الله الكريم أن يتجاوز عن زلاتي التي وقعت بها من غير قصد مني.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فإنّ مأدبة القرآن هي أفضل الموائد، والبحث فيه يشرف به الباحث، وهو من أهم البحوث وأجلّها، لأنه يبين كلام الله عزّ وجل للناس ويوضحه.

ولما كان الناس قديماً وحديثاً، يشككون بمصدر القرآن، فإن إعجاز القرآن الكريم الدليل القاطع على مصدر القرآن.

وقد بذل المسلمون منذ صدر الإسلام جهداً متواصلاً، باذلين أوقاتهم لإبراز الإعجاز بشتى وجوهه، دون كلل أو ملل.

وكان من حسن الطالع أن أرشدني أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس –حفظه الله– للبحث في إعجاز القرآن الكريم لدى الإمام بديع الزمان سعيد النورسي –رحمه الله– .

ولما تأملت في رسائل النور التي ألفها بديع الزمان النورسي وجدت نفسي أمام رجل بذل حياته كلها في خدمة كتاب الله عزّ وجل، فمن واجبه علينا عرض جهده، لعل الله تعالى أن ينفع بذلك.

واشتملت هذه الدراسة على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وفيه مبحثان.

المبحث الأول: التعريف بالإمام بديع الزمان النورسي –رحمه الله– تعالى.

المطلب الأول: حياته الشخصية (ولادته، اسمه، نسبه، أسرته، وفاته)

المطلب الثاني: حالة عصره.

المطلب الثالث: حياته العلمية والعملية.

المطلب الرابع: جهوده العلمية.

المبحث الثاني: الإعجاز بين الأقدمين والمعاصرين.

المطلب الأول: جهود الأقدمين.

المطلب الثاني: جهود المعاصرين.

الفصل الثاني: جهود النورسي في الإعجاز.

المبحث الأول: الإعجاز البياني.

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي.

المبحث الثالث: الإعجاز التشريعي.

المبحث الرابع: الإعجاز النفسي.

المبحث الخامس: الإعجاز العددي.

المبحث السادس: الإعجاز الغيبي.

الفصل الثالث: القيمة العلمية لجهود النورسي في الإعجاز.

المبحث الأول: الإضافات التي قدمها النورسي في الإعجاز.

المبحث الثاني: الملاحظات على جهود النورسي في الإعجاز.

ثمّ كانت الخاتمة التي عرضت من خلالها أهم ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

إن سبب إختياري لهذا الموضوع يعود إلى الأسباب الآتية:

١ – إن هذا الموضوع يتعلق برسائل النور التي حظيت باهتمام كبير من كثير من العلماء

٢ – الإجابة على التساؤلات التالية:

أ – ماذا قدم الإمام النورسي في وجوه الإعجاز : البياني، العلمي ، التشريعي، الغيبي، النفسي.

ب –أين أخفق الإمام النورسي فيما عده من وجوه الإعجاز.

أهداف هذه الدراسة:

1–إبراز جهود الإمام النورسي في إعجاز القرآن الكريم.

2–وضع الأطر المناسبة لجهود الإمام النورسي في الإعجاز.

3–مقارنة ما قدمه الإمام النورسي في الإعجاز مع ما قدمه غيره من العلماء.

الدراسات السابقة:

١. إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي/ الأستاذ الدكتور زياد خليل الدغامين، عرض المؤلف لأراء الإمام النورسي في الإعجاز بشكل مقتضب، مع بعض التعليقات، وتناول معها شبهات حول القرآن، وقضايا فلسفية غربية وشرقية . وقع الكتاب في خمسمائة وخمس عشرة صفحة.

٢. منهج بديع الزمان النورسي في بيان إعجاز القرآن الكريم / مراد قموميه الجزائر، رسالة ماجستير 1426/1425هــ/2004–2005م. بدأ رسالته بمبحث تاريخي حول نشأة الدولة العثمانية وازدهارها، ثمّ انحطاطها فسقوطها، ثم تحدث عن نشأة بديع الزمان ونسبه وعن منهجه الإصلاحي. وتحدث في الفصل الثاني عن مسألة الإعجاز في القرآن الكريم، مبيناً نشأة، وتطور مسيرة الإعجاز القرآني مرحلة مرحلة .. مع ذكر أشهر المؤلفات والتعريف ببعضها في مائة وأربعين صفحة، وتحدث عن الإعجاز عند الإمام النورسي في سبعين صفحة فقط، دون أن يلفت إلى إضافات النورسي في هذا الإطار، معتبراً التوافقات العددية والتي هي محل نظر إنجازاً كبيراً للإمام النورسي.

3.بديع الزمان النورسي وأثره في الفكر والدعوة / حسن عبد الرحمن باكير، جعل الفصل الثالث من رسالته حديثاً عن الإعجاز عند الإمام النورسي فجاء مختصراً لا يفي بالغرض.

4.أوراق عمل مقدمة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

منهجية البحث:

قامت طريقة البحث في هذه الدراسة على أسس منهجية ثلاثة هي **الاستنباط والوصف والاستقراء.**

أما من حيث **الاستنباط** فسأقوم بتحديد دقيق لمعنى الإعجاز في القرآن الكريم، بوجوهه المختلفة، وسأبين ضوابطها وعلاقتها ببعضها وبغيرها من العلوم.

وأما من حيث **الوصف** فسأقوم بوصف رسائل النور، وبعض الكتب التي عرضت لموضوع الإعجاز قديماً وحديثاً، كرسالتي الخطابي والرماني، وكتابي الباقلاني والجرجاني في الإعجاز، وكذلك كتابي الرافعي وبنت الشاطئ.

وأما **الاستقراء** فسأقوم باستقراء أقوال الإمام النورسي في الإعجاز من خلال رسائله جميعها، مراعياً ذكر الأمثلة التي أوردها كما هي.

وسأعرض أقوال بعض العلماء في وجوه الإعجاز التي عرضها الإمام النورسي، متى دعت الحاجة إلى ذلك.

وسأقوم بدراسة نقدية لآراء الإمام النورسي في الإعجاز، حيث إنه عدّ وجوه الإعجاز مئتي مرة وأخرى أربعين، واختزلها في عشرة. فمنها ما هو مقبول، ومنها غير مقبول، ومنها ما يعد من التفريعات التي تدخل تحت وجوه عامة أوسع منها.

وسأحرص في هذه الدراسة على:

أ. نقل أقوال النورسي في الإعجاز بألفاظه، لأن هذه الدراسة تقوم على إظهار جهوده في الإعجاز.

ب. نقل أقوال العلماء بدقة وتوثيق ذلك.

ج. ترقيم الآيات القرآنية الوارد ذكرها في هذه الدراسة في المتن دون الهوامش، لأن الدراسة تتعلق بها، ولئلا تتضخم الحواشي من غير طائل.

د. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها المعتمدة، والتعريف بالأعلام المذكورين في متن هذه الدراسة.

هـــ. التعليق عند اللزوم بإبراز كلمة (أقول) قبل ذلك التعليق.

والله أسأل أن يجعل جهدي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني إلى مزيد من البذل والعطاء في خدمة كتابه العزيز، وان يجنبني الخطأ والزلل، ويغفر لي ما أقع به، إنه سميع مجيب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفصل الأول

التعريف بالإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى

المبحث الأول: حياته الشخصية (ولادته،اسمه، نسبه، أسرته، وفاته)

المبحث الثاني: حالة عصره

المبحث الثالث: حياته العملية و العلمية

المبحث الأول
حياته الشخصية (ولادته ، اسمه ، نسبه ، أسرته ، وفاته)

أولا : اسمه

هو: الملا سعيد النورسي :سعيد بن ميرزا.

" ولد في أسرة دينية لأبوين اشتهرا في القرية بورعهما، وكُتب له أن يكون أبرز علماء الإصلاح الديني في العصر الراهن.

اسم والده: ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان من عشيرة أسبارت.

اسم والدته: أما والدته فاسمها نورية بنت ملا طاهر من قرية (بنكان) وهي من عشيرة خاكيف. والعشيرتان من عشائر قبائل الهكارية في تركيا.[١] [٢]

ثانياً : ولادته

ولد بديع الزمان النورسي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، عام ألف ومائتين وأربعة وتسعين للهجرة- (1294هـ) – الموافق للعام ألف وثمانمائة وستة وسبعين للميلاد – (1876م) ــ.

وكان مسقط رأسه في قرية (نورس)،التابعة لناحية (أسبارت)، المرتبطة بقضاء (خَيْزان) من أعمال ولاية (بتليس)[٣] وقد ورد ذكر (خيزران) في معجم البلدان بدل(خَيزَان): بالفتح ثمّ السكون، وزاي وآخره راء، من نواحي أرمينية، لها ذكر في الفتوح. والخيزُران: قرية ينسب إليها، ذكرها في مجموع النسب ." [٤].

وتقع قرية (نورس) في الجنوب الشرقي من تركيا ، إلى الجنوب من بحيرة (وان).

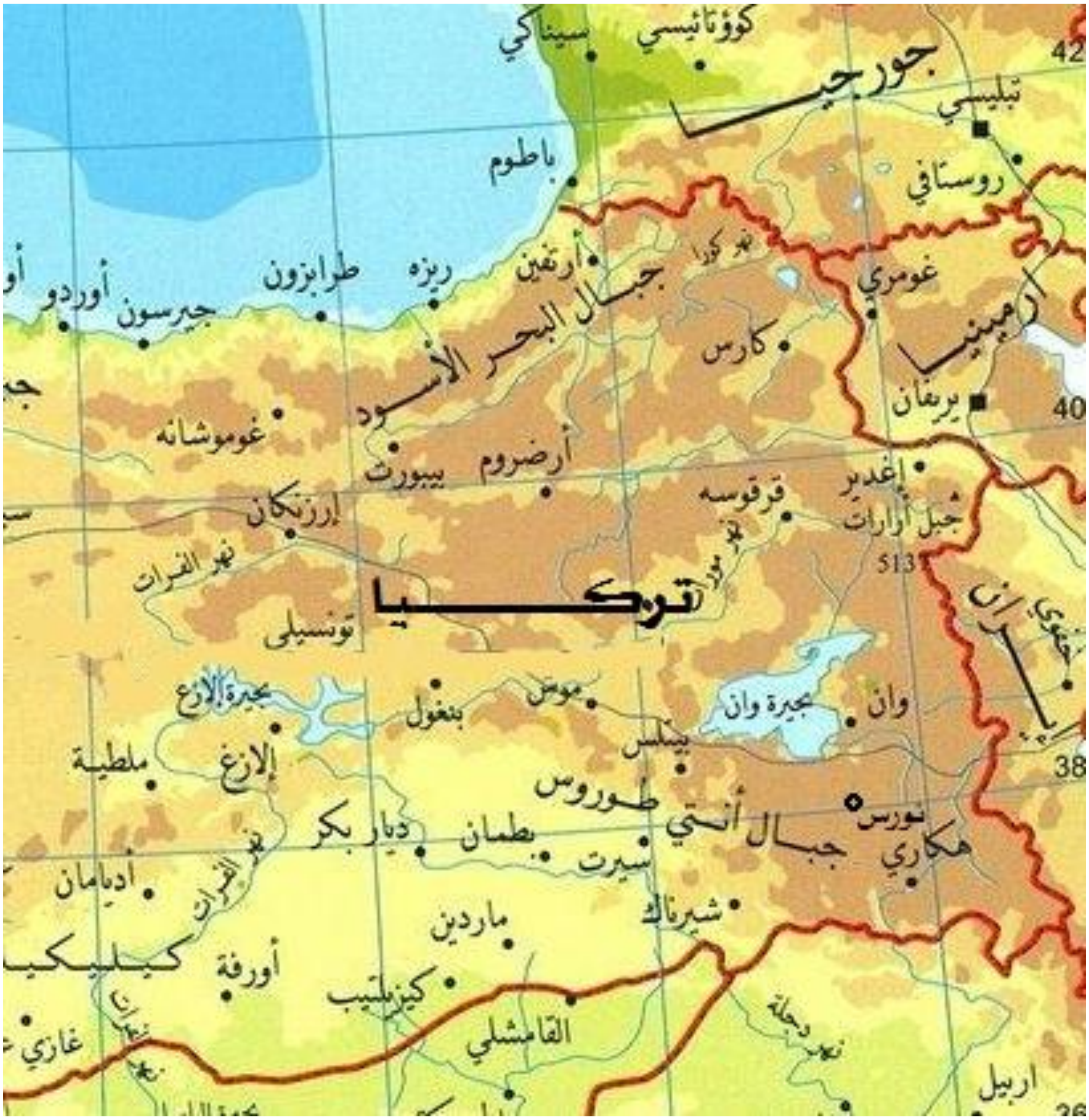
---

(١) الشيخ محمد بن موسى الشريف له درس بعنوان السيرة الذاتية لبديع الزمان النورسي تجدها على موقع طريق الإسلام.

(٢) www.islamway.com

(3) النورسي : سعيد ،سيرة ذاتية 35/9.

(٤)الحموي: الشيخ شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت المتوفى سنة 626هــ، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي/ دار الكتب العلمية – بيروت ط1: (1410هــ/1990م)،470/2.



جورجيا
كوتائيسي
سيناكي
تبليسي
باطوم
روستافي
غومري
أرمينيا
يريفان
أرتفين
ريزه
طرابزون
جيرسون
أوردو
كارس
جبال البحر الأسود
غوموشانه
بيبورت
أرضروم
إغدير
جبل أرارات
إرزنكان
نهر الفرات
تركيا
تونسيلي
بحيرة الإزغ
موش
بنغول
بحيرة وان
وان
ملطية
الإزغ
بتليس
جبال أنتي طوروس
هكاري
ديار بكر
بطمان
سيرت
أديامان
شيرناك
ماردين
أورفة
كيزيلتيب
القامشلي
نهر دجلة
اربيل
42
40
38

تقوى الآباء تنفع الأبناء:

كان والده إذا عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين.

وسئلت والدته : "ما طريقتك في تربية أولادك حتى حازوا هذا الذكاء النادر ؟ فأجابت : لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي، إلا الأيام المعذورة شرعا، و لم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء"[1].

أقول : هذا يتفق مع قول الله تعالى في سورة الكهف : ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً** ﴾[سورة الكهف آية : 82].

ثالثاً : أسرته

ولد سعيد في أسرة متواضعة ، تزينها التقوى من الأبوين ، مات أبواه في الصغر، فعاش اليتم والحرمان، من سني حياته الأولى وحتى وفاته، إذ أنه لم يتزوج، فلم تكن له أسرة ولا أولاد .

وأترك الكلام لهذا الرجل الإعصار، كما يسميه إحسان الصالحي- يتحدث عن ذلك، حيث يقول:

" إنني لم أشاهد والدتي الرؤوفة منذ التاسعة من عمري ، فلم أحظَ بتبادل الحوار اللطيف معها في جلساتها . فبت محروما من تلك المحبة الرفيعة .

و لم أتمكن من مشاهدة أخواتي الثلاث — درية وخانم ومرجان — منذ الخامسة عشر من عمري ، حيث ذهبن مع والدتي إلى عالم البرزخ. فبت محروما من كثير من ألطاف الرحمة والاحترام التي تُنثر في الجلسات الأخوية الطيبة اللذيذة في الدنيا .

و لم أشاهد أيضا أخوي من ثلاثة أخوة منذ خمسين سنة — رحمهم الله — فبت محروما من السرور المنبثق من الأخوة الودودة ، والشفقة العطوفة في مجالسة أولئك الأعزاء المتقين العلماء"[2].

" وحيث إنني قضيت حياتي أعزباً فلم أنجب الأولاد . لذا بت محروما من مذاقات محبتهم البريئة، ومن ابتهاجهم وانشراحهم .

ومع كل هذا ما كنت أشعر بهذا النقص قط ، حيث أنعم سبحانه وتعالى عليّ في هذا اليوم معنى في منتهى الذوق واللذة ، فضمد جراحاتي الأربعة المذكورة من جهات ثلاث :

---

(1) رسائل النور 35/9.

(٢) سيرة ذاتية :35/9 ،انظر هامش 1، 2 من سيرة ذاتية.

الأولى: إنه عوضٌ عن اللذة الآتية من العطف الخاص لوالدتي ، أحسن الرحيم سبحانه وتعالى علي [(١)] ألوفا من الوالدات اللائي يستفدن من رسائل النور استفادة تفوق المعتاد، ويتذوقن منها أذواقا روحية خالصة بمثل ما جاء في الحديث الشريف (**عليكم بدين العجائز**) [(٢)].

وعوضٌ عن السرور والعطف الناشئ من مجالسة أخواتي الثلاث —رحمهن الله– أحسن المولى الكريم علي الألوف من السيدات والشابات، وجعلهن سبحانه وتعالى في موضع أخوات لي ، فأستفيد من دعواتهن، وتعلقهن برسائل النور، ألوفا من الفوائد والثمرات المعنوية واللمسات الروحية ، وهناك أمارات عديدة على صدق هذا القسم الثاني يعرفها أخوتي .

وعوضٌ عن حرماني من العون المادي والمعنوي الذي كان يمدني به في الدنيا أخواي المرحومان، ومن عطفهما ورأفتهما، فقد أحسن سبحانه وتعالى برحمته عليّ مئات الألوف من أخوة حقيقيين مضحين في خدمة رسائل النور، يحملون عطفا خالصا، ويمدون إليّ يد العون ، بل يفدون رأسمال حياتهم الأخروية فضلا عن حياتهم الدنيوية .

وعوضٌ عن حرماني من أذواق العطف والحنان النابعة من الأولاد —حيث لا أولاد لي في الدنيا– أنعم سبحانه وتعالى علي مئات الألوف من الأولاد الأبرياء، من حيث استفادتهم من رسائل النور مستقبلا، فحوّل سبحانه وتعالى هذه العواطف الثلاث والشفقة والرأفة الجزئية إلى مئات الألوف منها) [(٣)].

رابعا: وفاته

قال تعالى:﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾[سورة الرحمن آية :26-27]

لبى بديع الزمان النورسي نداء ربه الغفور الرحيم ، في الخامس والعشرين من رمضان سنة 1379هـــ ، الموافق للثالث والعشرين من آذار سنة 1960م ، فووري الثرى في مدينة " أورفة"، ولكن بعد أربعة أشهر من وفاته ، قام العلمانيون الحاكمون في تركيا بنبش قبره ، ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه"[(٤)]

---

(1) الأصل أن يقول : أحسن الرحيم سبحانه وتعالى إلي ، قال تعالى:(وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) القصص:77

(2) روى الحديث الديلمي من حديث ابن عمر بلفظ (إذا كان آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين البادية والنساء) قال السيوطي في الدرر المنتثرة سنده واه، وقال الألباني في كتاب السلسلة الضعيفة الحديث لا أصل له ص:53.

(3) النورسي: سعيد، رسائل النور 37/9 ، الملاحق – أمير داغ : 397/2.

(٤) انظر سيرة ذاتية 483/9-487.

المبحث الثاني
حالة عصره

عاش الإمام سعيد النورسي –رحمه الله تعالى – نصف حياته أو يزيد في ظل الدولة العثمانية ، في أواخر أيامها ، حيث كانت تلقب بالرجل المريض ، فدب الضعف في أوصالها ، وشاعت الفوضى ، وانتشرت الدعوات القومية التي قوضت الدولة من داخلها وأدت إلى سقوطها.

أسباب سقوط الدولة العثمانية:

ذكر صاحب كتاب الدولة العلية العثمانية عوامل كثيرة لسقوط الدولة العثمانية منها :

" 1. زواج السلاطين بالأجنبيات وتسلط هؤلاء الأجنبيات على عواطف أزواجهنّ وتصريفهم في سياسة بلادهنّ الأصلية وتحكمهنّ بمقدرات الدولة.

2. تعدد الزوجات والمحظيات واللواتي كان الأجانب والحكام يقدمونهنّ هدية للسلاطين

3. تبذير الملوك حتى بلغت نفقات القصور الملكية في بعض الأحيان ثلث واردات الدولة.

4. خيانة الوزراء، إذ أن كثيراً من الأجانب المسيحيين كانوا يتظاهرون بالإسلام ويدخلون في خدمة السلطان ويرتقون بالدسائس والتجسس حتى يصلوا إلى أعلى المراتب.

5. الحروب الصليبية التي شُنت على الدولة والتي لم تنقطع منذ ظهورها إلى يوم انهيارها.

6. الامتيازات التي كانت تمنح للأجانب اعتباطاً بسخاء وكرم لا مبرر لهما، بل كانت تمثل التفريط بحقّ الوطن في أقبح صورة.

وأضاف صاحب كتاب محاضرات في التاريخ الإسلامي إلى أسباب السقوط أسباباً أخرى منها :

أولا : " التخلف العلمي : وهو وليد قرون طويلة، اتبع العثمانيون خلالها أساليب المدرسة القديمة التي كانت سائدة فيما مضى ، حينما لم يعد بإمكان تلك المدرسة العلمية الاضطلاع بأعباء التعليم، بعد وضع أسس العلم الحديث [1].

ثانيا : الحركات الانفصالية والتمردات المحلية .

أقول: وهذه الحركات ما فتأت تظهر بين الفينة والأخرى ، فإن كانت الدولة في أوج قوتها، وأدتها في مهدها ، وأما إذا كانت في طور الضعف ، فإن هذه الحركات تتمكن من تحقيق أهدافها ، فإن وجدت دعما من خارج الحدود كان الذي تريده وزيادة.

---

(1) الهزايمة: د. أمين القضاة و د. محمد عوض، محاضرات في التاريخ الإسلامي دار عمار /عمان /الأردن الطبعة الثانية، ص242.

والمتربصون من أعداء المسلمين، يجدون دوما في اللاهثين وراء الزعامة مآربهم، ويجدون كذلك في الأقليات مرتعهم، فيساعدونهم على التمرد الدائم، وفي حركة محمد علي باشا وغيره خير دليل على ذلك .

ثالثاً : الجيش الانكشاري: " وهو الجيش الذي أنشأه السلطان أورخان باختيار أفراده من أبناء البلاد الأوروبية المفتوحة ، وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي ، ووضعهم في ثكنات عسكرية خاصة ، وتدريبهم على فنون الحرب والقتال "[١] . ثم فسد الانكشارية يوم تدخلوا في شؤون الناس ، وصار همهم ما يجمعونه من أموال وأتوات، وفرضوا على الدولة حروبا كانت في غنى عنها .

" ثاروا في استنبول والقاهرة ، وبدؤوا يطالبون بإشعال الحروب حينما اقتضت المصلحة ألا تكون هناك حروبا ، إلى أن قضى الله للسلطان محمود الثاني عام 1241هـــ التخلص منهم "[٢] .

رابعاً :الجمعيات والأحزاب السرية .

أ. جمعية الإتحاد والترقي: التي انتهجت سياسة التتريك ،وقضت على مساعي السلطان عبد الحميد الثاني الإصلاحية ، وأدخلوا الدولة في أتون الحرب العالمية الأولى ، ولا يخفى أثر الماسونية العالمية في ذلك[٣].

"ب. منظمة أنور شيست الماسونية : ومهمة هذه الزمرة هدم وإبادة الدول التي تعادي الماسونية اليهودية (الصهيونية) بشتى الوسائل .

وقد قامت هذه الزمرة بإثارة مذبحة 31 آذار عام 1908م التي حدثت في استانبول ، والتي ذهب ضحيتها 68 ألف من المسلمين الأتراك الأبرياء ، وإزالة السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم ، ومن أشهر الذين اشتركوا فيها الماسوني الإيطالي (أمانوئيل كارسوا) والماسوني التركي (مترسالم) والماسوني التركي (جاويد) وكلهم يهود.

ومن أعمال هذه الزمرة أيضا تدبيرهم لإثارة الحرب العالمية الأولى التي قتل فيها أكثر من ثمانية ملايين ، وترك ما يزيد على ستة عشر مليون من البشر بين متشرد ومصاب ومشوه"[٤].

يقول محمود شاكر[٥]:

---

(1) محاضرات في التاريخ الإسلامي ص:244.

(2) المصدر السابق ص:245.

(٣) انظر محاضرات في التاريخ الإسلامي، ص:346.

(4) طعيمة : د. صابر الماسونية ذلك العالم المجهول دار الجليل – بيروت ص: 384.

(٥) محمود شاكر: أحد أشهر المؤرخين الإسلاميين الأعلام في هذا العصر، وهو من مواليد حرستا الشام، وكان أستاذاً للتاريخ الإسلامي والجغرافيا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو غير الأديب المصري الشيخ محمود شاكر أبو فهر. الرابط : http://wadod.org/uber/uploads/shaker2.zip

"بعد خلع السلطان عبد الحميد أصبح كلّ شيء في الخلافة بيد الاتحاديين، أما الخليفة فكان صورةً، غير أن الأمر لم يطل إذ لم يتعاقب على الخلافة سوى ثلاثة خلفاء، وكانت الدولة قد اشتركت في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، فهزمت وتجزأت، وغادر البلاد رجال الإتحاد البارزين أو الذين كانت بيدهم الأوامر والنواهي، وجاء إلى الحكم من جديد مصطفى كمال الذي كان منصرفاً إلى شهواته وبناء مجده، فألغى الخلافة حسب دور مخطط له، وزالت الخلافة العثمانية أو الإسلامية التي قامت أكثر من سبعة قرون، وبزوالها لم يعد للمسلمين خلافة فانقسمت بلادهم، وظهرت النعرات القومية، وتصارع بعضها مع بعض حتى وهن أمر المسلمين"(١) .

موقف الإمام النورسي من عوامل السقوط:

ولإمامنا بديع الزمان النورسي موقفه من هذه الجمعيات ، حيث يقول : " إن خطأ(تركيا الفتاة) أصبحت فيما بعد (الاتحاد والترقي) نابع من عدم معرفتهم أن الدين أساس الحياة . فظنوا الأمة شيء والإسلام شيء آخر ،وهما متمايزان! ذلك لأن المدنية الحاضرة أوحت بذلك ، واستولت على الأفكار بقولها: إن السعادة في الحياة نفسها .إلا أن الزمان أظهر الآن أن نظام المدنية فاسد ومضر.

والتجارب القاطعة أظهرت لنا أن الدين حياة للحياة ونورها وأساسها إحياء الدين إحياء لهذه الأمة والإسلام هو الذي أدرك هذا.

إن رقي أمتنا هو بنسبة تمسكها بالدين ، وتدنيها هو بمقدار إهمالها له، بخلاف الدين الآخر هذه حقيقة تاريخية قد تُنوسيت" (٢).

أقول: كثير من الجمعيات والأحزاب القومية تبدأ دعوتها بستار ديني، والإدعاء بالدفاع عن الدين، فإذا تمكنوا كشروا عن أنيابهم وصاروا وبالاً على الدين وأهله، كما فعلت جمعية الإتحاد والترقي، ثم أسفرت عن هدفها بفصل الدين عن الدولة، فلاقى منها النورسي وأمثاله سوء العذاب.

وشهد الإمام النورسي سقوط السلطنة العثمانية في (1922/11/1م) ، وشهد إلغاء الخلافة في (1924/3/3م) ، وشهد منع تدريس الدين في المدارس ، وتبديل الأرقام والحروف العربية في الكتابة بالحروف اللاتينية ، ومنع الأذان والإقامة بالعربية، وحظر طبع الكتب الإسلامية، وتغيير الزي إلى الزي الأوروبي ، والمحاكم التي تشبه محاكم التفتيش في الأندلس إلا قليلا، بالإضافة إلى القمع والتقتيل والنفي .

---

(١) شاكر: محمود، التاريخ الإسلامي – العهد العثماني- المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (1421هـ-2000م): 210/8.

(٢) الكلمات : 861/1.

وإعلان فصل الدين عن الدولة ، منع التدين بشتى صوره ، إنها العلمانية ، يقول محمد قطب :"وهكذا يتضح أنه لا علاقة للكلمة بالعلم ، secularism إنما علاقتها قائمة بالدين، ولكن على أساس سلبي، أي على أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة ، وأولى الترجمات بها في العربية أن نسميها (اللادينية)، بصرف النظر عن دعوى (العلمانيين) في الغرب بأن (العلمانية) لا تعادي الدين ، إنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.... ، ولكنها تترك للناس حرية(التدين) بالمعنى الفردي الاعتقادي، على أن يظل التدين مزاجا شخصيا لا دخل له بأمور الحياة العملية"[1].

أقول: ساد الانحلال والتردي في أحضان الرذيلة ، وإقصاء الدين عن الحياة ، واستبد الطواغيت وظلموا، وسيقت تركيا إلى الحرب العالمية الثانية أيضا ،وحورب الإسلام بلا هوادة . واجه الإمام هذه الحياة بشموخ وصبر، فتعرض للاضطهاد بالسجن والنفي وغير ذلك، ولكنه بقي على عهده مع الله تعالى حتى آخر لحظة من حياته، فلقي ربه صابرا محتسبا، و لم ينج من الاضطهاد حتى بعد موته، فقد نبش قبره، وأخذت جثته إلى مكان مجهول.

---

(1) للمؤلف محمد قطب مذاهب فكرية معاصرة ص:445 / دار الشروق .

المبحث الثالث
حياته العملية و العلمية

بدأ الإمام النورسي حياته العلمية على يد والدته ، حيث يقول : " أقسم بالله أنّ أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدد علي، إنما هو تلقينات والدتي- رحمها الله- ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي، وأصبحت كالبذور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين، رغم أني قد أخذت دروسا من ثمانين ألف شخص، بل أرى يقينا أن سائر الدروس إنما تبنى على تلك البذور "(١) .

أقول: ويشهد لذلك قول النبي ﷺ لابن عباس- رضي الله عنهما- (**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**).(٢)

في هذا الحديث الشريف، نرى الحبيب المصطفى ﷺ يحرص على تعليم الغلام، لأن الصغير يحفظ العلم أكثر من الكبير، وفي ظل ذلك نفهم قول النورسي إن أرسخ الدروس هي تلك التي أخذها عن والدته.

ويشهد أيضا المثل السائر:" العلم في الصغر كالنقش في الحجر".

بعد تعلمه القرآن على يد أخيه الكبير(الملا عبد الله) رحل إلى قرية (تاغ) ثم عاد إلى قريته (نورس) ومنها إلى (برمس) ومنها إلى قرية (شيخ تاغي) ثم إلى قرية (نورشين) وبعدها إلى قرية (خيزان).

وبعد هذا التطواف في النواحي المحيطة بقريته ، لم يعد سعيد قادرا على تحصيل العلم من أساتذته في القرى المجاورة، لاستيعابه ما عندهم، فعكف على بعض الكتب واستوعبها حفظا ، وكانت تقرب من تسعين كتابا من أمهات الكتب.

وفي العام 1892م لقبه أستاذه المرحوم (الملا فتح الله) ببديع الزمان، وقد ذكر ذلك (إحسان الصالحي) على لسانه:" إذ قبل خمس وخمسين سنة شبه أستاذي المرحوم (الملا فتح الله) من (سعرد) سعيدا القديم ببديع الزمان (الهمذاني)(٣) فأعطى اسم بديع الزمان له "(٤).

---

(١) رسائل النور- كتاب اللمعات- اللمعة الرابعة والعشرون:3/ 309

(2) الإمام الترمذي سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، الحديث رقم56. الإمام أحمد بن حنبل مسند الإمام أحمد 293/1.

(٣) بديع الزمان الهمذاني هو أحمد بن الحسين(358-398ه) كان آية في قوة الذكاء، وسرعة الحفظ وصفاء الذهن وقوة النفس كان ينشد الشعر فيحفظ القصيدة كلها وينظر في الأربعة والخمسة أوراق في كتاب نظرة واحدة ثم يهزها عن ظهر قلب هزا ربما يكتب الكتاب مبتدئا بآخر السطور إلى أوله فيخرجه ولا عيب فيه. الأعلام 115/1 معجم الأدباء161/1-202 باختصار.

(٤) سعيد النورسي، سيرة ذاتية 62/9

لم يقف بديع الزمان النورسي عند العلوم الشرعية فقط، بل رحل إلى مدينة (وان)، يقول (إحسان الصالحي) " فطفق يطالع كتب العلوم الحديثة، حتى استحصل على أسسها، من تاريخ وجغرافيا ، ورياضيات وجيولوجيا، وفيزياء وكيمياء، وفلك وفلسفة، وأمثالها من العلوم، وذلك خلال مدة قصيرة جدا، وسبر أغوار هذه العلوم بنفسه دون معونة أحد، ودون اللجوء إلى مدرس يدرسها إياه"[١] ويضرب لذلك أمثلة :

1- حفظ عن ظهر قلب خلال أربع وعشرين ساعة كتابا في الجغرافية، قبل أن يناظر في اليوم التالي مدرس الجغرافيا ويلزمه الحجة في دار الوالي (طاهر باشا) .

2- وعلى الشاكلة نفسها ألزم مدرس الكيمياء، بعد أن حفظ كتابا في الكيمياء غير العضوية [٢]، وذكر غيرها من الأمثلة[٣].

أقول: الكيمياء تحتاج الى فهم أكثر من الحفظ فالمبالغة كبيرة .

خادم القرآن :

خدمة القرآن شرف عظيم لمن يقوم به ، فواجب العالم المسلم أن يحرص على هذه الخدمة لكسب رضوان الله تعالى وهذا مافعله الإمام النورسي.

"في العام (1324هـــ-1906م) اتخذ مؤلف رسائل النور طور خادم القرآن بتوجهه المباشر إلى الحكمة، بعد أن أكمل العلوم الآلية . وبعد هذا التاريخ بسنة ذهب إلى استانبول، وبدأ بجهاده المعنوي[٤]

وسبب تحول سعيد النورسي إلى الدراسات القرآنية هو ما سمعه سنة 1899م من الوالي المرحوم (طاهر باشا) أن أوروبا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن، إذ سمع أن وزير المستعمرات البريطاني [٥] قد قال: "ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً، فلنسع إلى نزعه منهم."[٦]

فلما سمع بديع الزمان النورسي هذا الكلام قال :" لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية، لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها"[٧].

---

(١) سيرة ذاتية: 62/9

(٢) المصدر السابق : 62/9.

(٣) المصدر السابق: 62/9-64

(٤)المصدر السابق: 66/9.

(٥) الوزير البريطاني هو وليم جلادستون (1809-1898م) تقلد مناصب متعددة تعمق في دراسة الدين فكان مؤلفه الأول(الدولة وعلاقتها بالكنيسة) عين رئيسا للوزراء أربع مرات . الموسوعة العربية الميسرة باختصار

(٦) سيرة ذاتية: 65/9.

(٧)المصدر السابق: 66/9

وأما حياته العملية فهي مليئة بالأحداث والشدائد :

١.التدريس :

يقول النبي ﷺ (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) [(١)]، فالإنسان بعد تحصيله العلم يصبو إلى تعليم الآخرين، مما حصّله من علم، استجابة لأمر الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [سورة آل عمران آية:187].

وهكذا الإمام النورسي بعد تحصيله العلم اتجه إلى التدريس حيث يقول:

" ثم بدأت بتدريس شتى العلوم في مدينة (وان) طوال خمس عشرة سنة، وفقدت إجازتي العلمية التي أخذتها من الشيخ (محمد الجلالي) أثناء الأسر "[(٢)].

2. علاقة الأستاذ بالطلاب :

تقوم العلاقة بين الأستاذ وطلابه على المودة والاحترام، الطالب يحترم أستاذه ويجله، و الأستاذ يحنو على طلابه ويأخذ بيدهم، الى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

يقول الإمام النورسي: " سأبين لكم وجهة نظري –بما يفيدكم– حول العلاقات القائمة بين الأستاذ والطلاب وزملاء الدرس ، وهي : أنتم يا إخوتي ، طلابي –ربما فوق حدي– من جهة ، وزملائي في الدرس من جهة أخرى، ومساعدي وأصحاب الشورى من جهة أخرى .

إخوتي الأعزاء!

إن أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ ، بل من الخطأ الاعتقاد أنه لا يخطئ . ولكن وجود تفاح فاسد في بستان لا يضر بالبستان ، ووجود نقد مزور في خزينة لا يسقط قيمة الخزينة.

ولما كانت السيئة تعد واحدة بينما الحسنة بعشر أمثالها فالإنصاف يقتضي:

عدم الاعتراض وتعكير صفو القلب تجاه الحسنات، إذا ما شوهدت سيئة واحدة وخطأ واحد"[(٣)].

3. الجهاد في سبيل الله :

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الأمة، يحفظ عليها دينها ودنياها، وماأجمل أن يكون العالم مجاهداً يجمع بين السيف والقلم، فيجمع بين الميلاد و الدم، فينال الأجر العظيم من الله عليهما معاً .

---

(١) رواه البخاري– فضائل القرآن 21 وأبو داود والترمذي – ثواب القرآن 15 وابن ماجه – مقدمة 16/انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 97/2

(٢) سيرة ذاتية : 36/9.

(٣) سيرة ذاتية : 249/9.

وهكذا كان إمامنا النورسي عالماً مجاهداً حيث يخبرنا عن جهاده فيقول: "كان الروس يقولون: إن متطوعي بديع الزمان تفوقوا على فدائيي الأرمن في بسالتهم، حتى تمكنوا من سحق القازاق.

كان بديع الزمان دائم الحركة في خط الدفاع الأول، خط النار، لبث الروح المعنوية والشجاعة والإقدام في الجنود، وما كان يحتمي بالخندق، وعندما كان على صهوة جواده يندفع يميناً وشمالاً في الصف الأمامي في خط النار، إذ بخاطر يخطر على قلبه، ويحفر في روحه فيخاطب نفسه:

إذا استشهدت الآن احذر أن يكون في موقعك هذا وأنت متقدم الجميع في خط النار شيء من حب الظهور الذي يثلم الإخلاص، الذي هو أحد أسس مرتبة الشهادة... وعقب هذا الخاطر عاد إلى الخندق مباشرة و لم يعقب وانضم إلى أخلائه."[١]

يقول بديع الزمان عن أسره[٢]:

"أصدقائي... لا تقفوا في مواضعكم هكذا، اتركوني وشأني. فإني لا أسامحكم، اسعوا لإنقاذ أنفسكم.

فأجابوه: لا نتركك قطعاً وأنت في هذا الوضع –مجروح ومكسور الساق– فلنستشهد في خدمتكم.

وهكذا ظلوا مع أستاذهم حتى أسرهم الروس.

ثمّ سيقوا إلى (وان)، (جلفا)، (تفليس)، (كيلو غريف)، (قوصتورما). وظل في الأسر سنتين ونصف السنة تقريباً حتى تمكن من الفرار، وعاد إلى استانبول سنة 1336هـ."[٣]

"حينما خالط بعض شعرات رأسي البياض الذي هو علامة الشيخوخة، وكانت أهوال الحرب العالمية الأولى وما خلفه الأسر لدى الروس من آثار عميقة في حياتي عمّقت فيّ نوم غفلة الشباب. وتلا ذلك استقبال رائع عند عودتي من الأسر إلى استانبول، سواءً من قبل الخليفة أو شيخ الإسلام، أو القائد العام، أو من قبل طلبة العلوم الشرعية، وما قوبلت به من تكريم وحفاوة أكثر مما أستحق بكثير."[٤]

---

(١) المصدر السابق: 127/9.

(٢) وقع بديع الإمام النورسي في الأسر، أثناء الحرب العالمية الأولى ، في مدينة (بتليس) ، بعد قتال عنيف مع القوات الروسية، بعد أن أثخنته الجراح، وانكسرت ساقه، ووقع في بركة ماء متجمد.

أرسل مع الأسرى الى معسكرات الأسر في مدينة (قوصتورمه) ، شمال شرق روسيا، فمكث هناك سنتين وأربعة أشهر، قبل أن يهرب إثر حدوث الثورة البلشفية في روسيا.

(٣) المصدر السابق: 128/9.

(٤) اللمعات : 354/3.

4. العزلة في (تيللو) :

"وفي أثناء اعتكافه في (تيللو) حفظ من كتاب (القاموس المحيط للفيروز آبادي) حتى باب السين، وعندما سئل عن سبب قيامه بذلك أجاب: " إن القاموس يورد المعاني المختلفة لكل كلمة، وقد خطر لي أن أضع قاموسا أنحو فيه عكس هذا المنحى، أي أورد الكلمات المختلفة التي تشير إلى المعنى نفسه" (١) .

أقول: من خلال تتبعي لمراحل حياته يبدو لي أن هذه العزلة، كانت بين عامي (1891م الى 1894م) ، وسببها خلاف نشب بينه وبين أحد المشايخ – أمين أفندي–، إنقسم الناس على إثره بين مؤيد لهذا أو ذاك، فأصدر المتصرف أمره بنفي النورسي من تلك المدينة (بتليس).

5. الاهتمام بأمر المسلمين :

العلماء هم قلب الأمة النابض فلا يصاب عضو في الجسد إلا كان القلب أول المستجيبين لشكواه ولاقيمة لعالم لايهتم بأمر المسلمين، إمتثالاً لقوله تعالى ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[سورة الأنبياء:92].

يقول الإمام النورسي:"لقد التقيت شخصا فاضلا حوالي مدينة (ماردين) وذلك قبل الانقلاب (٢) بست عشرة سنة فأرشدني إلى الحق، وبين لي المسلك المعتدل القويم في السياسة.

فأفقت من نومي برؤيا–كمال– المشهور حيث أنني بايعت السلطان سليم وقبلت فكره في الاتحاد الإسلامي، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية فهم قد بايعوه على ذلك"(٣)

6. سعيد والحرية:

"فالحرية والعدالة والمساواة التي كان يرفل بها خير القرون والخلفاء الأربعة، ولا سيما في ذلك الوقت دليل على أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدالة والحرية الحقة. فآثار سيدنا عمر وسيدنا علي –رضي الله عنهما– وصلاح الدين الأيوبي دليل وأي دليل على هذا الإدعاء، ومن هنا فإنني أقرر، إن سبب تأخرنا وتدنينا وسوء أحوالنا إلى الآن ناتج مما يأتي :

أ. عدم مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية الغراء .

ب. تصرفات بعض المداهنين تصرفا عفويا .

ج. التعصب المقيت في غير محله، سواء لدى عالم جاهل أو جاهل عالم !.

---

(1) سيرة ذاتية: 54/9.

(2) المقصود بالانقلاب إعلان المشروطية الثانية في 24 تموز 1908م، أي كان وصوله ماردين سنة 1892م.

(3) سيرة ذاتية : 58/9.

د. تقليد مساوئ المدنية الأوروبية تقليدا ببغائيا -بسوء حظنا أو سوء اختيارنا- مما يولد تركنا لمحاسن المدنية التي تستحصل بمشكلات ومصاعب.[1]

7. سعيد والصحافة :

يرى الإمام النورسي: أن للصحافة دوراً هاماً في الحياة، فقد تكون وسيلة بناءٍ وقوة للأمة، إذا هي حرصت على توجيه الناس نحو الآداب اللائقة بالإسلام، وقد تكون سبباً في الهدم والضعف، إذا حرصت على محاكاة الغرب وغرس القيم المنافية للدين الحنيف.

يقول الإمام النورسي: "إنني أعترض على أساس فكر الصحف التي ظهرت بعد منتصف نيسان وذلك أنهم أوجدوا منفذا ومبررا للتضحية بالعزة والكرامة والطاعة العسكرية التي هي أسمى من الحياة بل تضحى لأجلها بالحياة، في سبيل أعمال غير مشروعة، وأفعال خسيسة خادمة للحياة نفسها لدى أهل الوجدان."[2]

أقول : ما أشبه اليوم بالبارحة ، فالناظر في الصحافة الصفراء اليوم، يجد كتاب الصحافة يلهثون وراء المكاسب الدنيوية، ولا يعبأون بمبدأ، ولا يلتزمون بقيمة، مثلهم مثل الشعراء يمدحون الناس بما ليس فيهم ليأخذوا عَرَضاً من الدنيا قليلاً، قال تعالى: ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ** ﴾[سورة الشعراء الآيات : 224 - 226].

وكذلك فإن اليهود اليوم تتسلط على أجهزة الإعلام العالمية، وتنشر أكاذيبها، من خلال وكالات الأنباء العالمية، يقول صاحب السرطان اليهودي: "حينما تُذكر وكالات الأنباء، تبرز وكالة (رويترز) في المقدمة، وقد يستغرب البعض حين يعلم أن مؤسسها (جوليوس رويتر) المولود عام 1816م، هو شخص يهودي، وفي عام 1909م أسس (وليام هيرست) وكالة أنباء تحت اسم (انترناشونال نيوز سيرفس)، وفي فرنسا أسس أحد اليهود من عائلة (هافاس) عام 1835م وكالة أنباء (هافاس) التي أصبحت فيما بعد الوكالة الرسمية للدولة الفرنسية.

وقد أجرت منظمة اليونسكو دراسة اتضح من خلالها أن نسبة 90% من الأخبار التي يتناقلها العالم من إنتاج خمس وكالات عالمية فقط، وهي: (أسوشيتدبرس)،(يونايتد برس)، (وكالة الصحافة الفرنسية)، (رويترز)، (تاي السوفيتية)، وجلّها واقع تحت نفوذ الإعلام اليهودي الخبيث"[3] .

---

(1) المصدر السابق: 9/86-87.

(2) المصدر السابق: 9/101، وصيقل الإسلام ص:8/456.

(3) أبو زيد: أحمد- السرطان اليهودي ونفوذه الإعلامي ونظرية المواجهة- ، دار عمار للتوزيع والنشر، ط2 (1420هـ/1996م)، ص:74.

وعرض صاحب السرطان اليهودي، لسيطرة اليهود على الصحافة ودور السينما والتلفزيون والمسرح[١] .

ويقول محمد قطب: "أقبل اليهود والمرابون عل تمويل الثورة الصناعية كما قلنا، بصدور منشَرِحة وأيدٍ ممدودة، تحسباً للأرباح الضخمة التي سيدرها الربا الصناعي عليهم، بعد أن كان الربا في المحيط الفردي هو سندهم الأكبر. وبالفعل انهالت الأموال وتضخمت الجيوب، وسعى اليهود إلى جمع الذهب، معبودهم القديم المتجدد، وسيطروا من ثمّ سيطرة واسعة على الحياة الاقتصادية في الغرب، مما أتاح لهم السيطرة على وسائل الإعلام العالمية، وعلى السياسة العالمية كذلك"[٢] .

8. أمراض الأمة :

ذكر بديع الزمان النورسي ذلك في الخطبة الشامية، حيث قال: " لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية، وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى، في الوقت الذي طار فيه الأجانب- وخاصة الأوروبيين- نحو المستقبل، وتلك الأمراض هي:

أولا : حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه .

ثانيا : موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية .

ثالثا : حب العداوة[٣]- ولعله يقصد فيما بين أفراد الأمة – .

رابعا : الجهل بروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .

خامسا : سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة .

سادسا : حصر الهمة في المنفعة الشخصية ...... [٤] .

وذكر بعد هذه النقاط الست أن معالجتها بست كلمات، لم يذكر منها إلا واحدة : الأمل .

9. العمل في دار الحكمة الإسلامية :

" وقد رأت حكومة الإتحاد والترقي أنه- سعيد النورسي- أوفق شخص لتبليغ الحكمة الإسلامية إلى حكماء أوروبا بشكل مؤثر . فلبثتُ في (استانبول) لخدمة الدين في (دار الحكمة الإسلامية) ثلاث سنوات.

---

(١) السرطان اليهودي ونفوذه الإعلامي ونظرية المواجهة انظر ص: 75-82.

(٢) قطب:محمد –رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر. ، دار الوطن للنشر الرياض، ط2(1411هـ/1991م) ص:89.

(٣) يعني حب العداوة بين أفراد الأمة.

(4) صيقل الإسلام :492/8.

يقول ابن أخيه: فأرسل عدة مرات طلبا يرجو فيه إعفاءه من العضوية، إلا أن طلبه رفض، ولهذا باشر بالدوام، وكنت أراقب حالاته فما كان يأخذ من المرتب المخصص له سوى ما يقيم أوده . ويدخر ما تبقى عند ابن أخيه، والأخير يصرفه ، فعاتبه قائلا:لا يحل لنا هذا المال لأنه ملك الأمة " (١)

أقول: الذي يبدو أن حكومة الإتحاد أرادت إشغال سعيد النورسي عن القضايا الداخلية، وما تقوم به من جرائم تجاه هذا الدين في تركيا.

10. مولد سعيد الجديد :

مرت حياة سعيد النورسي بمراحل ثلاث:

الأولى: وقد كانت منذ ريعان شبابه الى سنة 1926م، واتسمت بالحيوية والنشاط، والإنخراط في العمل السياسي، وتمثل هذه مرحلة سعيد القديم.

الثانية: وبعدها جاءت مرحلة سعيد الجديد، الذي نأى بنفسه عن السياسة، وأخذ يعمل على إصلاح القاعدة، بعد أن كان حرصه في القديم على إصلاح القمة.

الثالثة: تبدأ بخروجه من سجن آفيون سنة 1949م وحت وفاته سنة 1960م، حيث قام بالتدريس الجماعي لرسائل النور، وحث الساسة والعامة على الإلتزام بالإسلام.

"فخطر على قلب ذلك السعيد القديم الممخض بالجروح – ما في مكتوبات "الإمام الرباني " من أمره له غيبا :"وحّد القبلة" أي أن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلا ،وأن توحيد القبلة إنما يكون بأستاذية القرآن فقط ، فشرع بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي بالسلوك بروحه و قلبه على أغرب وجه ، و اضطرته نفسه الأمارة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية و العلمية.

وخلال سلوكه ذلك المسلك ومعاناته في دفع الشكوك ، قطع المقامات ، طالع ما فيها ، لا كما يفعله أهل الاستغراق مع غض الأبصار ، بل كما فعله الإمام الغزالي ، والإمام الرباني (٢) وجلال الدين الرومي، مع فتح أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها – أي المقامات – ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحة من غير غض ولا غمض، فحمدا لله على أن وُفّق على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وإرشاده، حتى بين رسائل النور التي ألفها (سعيد الجديد) حقيقة .

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد ". (٣) (٤)

---

(1) سيرة ذاتية : 9/133-134

(٢) الإمام الرباني هو أحمد الفاروقي السرهندي

(3) سيرة ذاتية:9/ 168-169

(4) ديوان أبي العتاهية من قصيدة كلنا بائد ، دار بيروت للطباعة والنشر ط1406هـ / 1986م، ص:122.

11. النأي عن السياسة :

" إن خدمة القرآن الكريم هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة، بل أنستني حتى التفكر فيها، وإلا فإن تاريخ حياتي كلها يشهد بأن خوفي لم يكبلني، ولا يمنعني في مواصلة سيري فيما أراه حقا ، ثم مما يكون خوفي؟ فليس لي مع الدنيا علاقة غير الأجل، إذ ليس لي أهل ولا أولاد أفكر فيهم، ولا أموال أفكر فيها، ولا أفكر في شرف الأصالة والحسب والنسب، رحم الله من أعان على القضاء على السمعة الاجتماعية، التي هي الرياء والشهرة الكاذبة ، فضلا عن الحفاظ عليها .

فلم يبق إلا أجلي، وذلك بيد الخالق الجليل وحده، ومن يجرؤ أن يتعرض له قبل أوانه، فنحن نفضل أصلا موتا عزيزا على حياة ذليلة .

ولقد قال أحدهم مثل سعيد القديم :

ونحن أنـــاس لا توســـط بيننا لنا   الصـــدر دون العالمـــين أو القبر "[١] [٢]

12. أهمية الدعاء والابتلاء:

التضرع الى الله عز وجل هو السلاح الأقوى في مواجهة العاديات، والشدائد تفتح هذا الباب العظيم، باب العبودية لله تعالى، قال ﷺ (**الدعاء هو العبادة**)[٣].

من سجن (أسكي شهر) كتب : (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) .

" إن الأيدي المرفوعة لإخواني الأبرياء إلى العلي القدير، كأنها كانت تزود مدفعا ثقيلا بالعتاد ، فصوبت على الذين أرادوا الكيد بنا، وانفلقت على رؤوسهم. و لم نصب بأذى إلا بعض الجروح الطفيفة المورثة للثواب، فينبغي لنا الشكر والسرور والفرح، حيث إن هذا المدفع كان يُزَوَّدُ من قِبلهم منذ سنة . فنجاتنا بفضل الله خارقة، لذا لا تغدو الحياة الباقية ملكنا، لأن المفسدين قد خططوا إنهاء حياتنا كليا، بمعنى أن حياتنا– بعد اليوم– يجب أن نجعلها وقفا للحق والحقيقة، وليست لأنفسنا، ونسعى دوما لرؤية وجه الرحمة وأثرها وذاتها في كل شيء، فنظل شاكرين لا شاكين " [٤]

---

(1) ديوان أبي فراس الحمداني من قصيدة بعنوان(أراك عصي الدمع)تحقيق خالد الدويهي دار الكتاب العربي ط2(1414هــ-1994م) ، 165/1بيت رقم 52

(2) سيرة ذاتية: 203/9.

(٣) صحيح سنن الترمذي، أبواب الدعوات 101/3 ،رقم3612 . صحيح سنن ابن ماجه بزيادة (إنّ) في أوله، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء 324/2، رقم3828

(4) المصدر السابق: 9 / 299

أقول : إن المحن تتحول إلى منح ربانية ، إذا تلقاها العبد بنفس راضية، ناظرا إليها سببا في رفع شأنه عند ربه .

ويقول : " إن جميع الحالات المؤلمة تتبدل فجأة ودفعة ، سواء في (قسطموني) أو في الطريق أو هنا وبصورة غير معتادة ، وبخلاف رغبتي وتوقعي ، بحيث تشاهد أن يد عناية ربانية وراء الأحداث، حتى تجعلنا ننطق بـــ :" الخير فيما اختاره الله" (١)

ويخاطب نفسه قائلا :" اتخذي هذا الدستور السامي دليلا : (**من آمن بالقدر أمن من الكدر**) ولا تلهثي وراء لذائذ مؤقتة تافهة كالطفل الغرير، فكري دوما أن الأذواق الفانية تورث فيك حسرات وآلاما معنوية، بينما الآلام والمشقات تورث لذائذ معنوية وأثوبة أخروية . فإن لم تكوني بلهاء يمكنك أن تتحري عن الأذواق المؤقتة للشكر وحده، وما أعطيت اللذات إلا للشكر " (٢)

بل يذهب بعيدا للفهم عن الله تعالى، فيقول :" إذن فهناك حاجة في الوقت الحاضر بحيث يسلط القدر الإلهي أولئك علينا، فهم يقترفون الظلم بإسناد جمعية موهومة إلينا. والقدر الإلهي يقول لنا : لم لم تكونوا بإخلاص تام وبتساند تام حزب الله الحقيقي؟، فصفعنا صفعة تأديب بأيديهم . وقد عدل ". (٣)

أقول: لقد كانت حياة الإمام بديع الزمان النورسي مليئة بالأحداث والآلام، فما كان يخرج من محنة حتى يقع في أخرى، وفي كل مرة كان يخرج شامخا كالطود، نفي من هنا إلى هناك، ومن هناك إلى مكان آخر، في أكثر من ست مرات ، بطول البلاد وعرضها .

لم يقف الأمر عند حد النفي، بل تجاوزه إلى الاعتقال والمحاكمة مرات عديدة، والإلقاء في غياهب السجون، وفي كل مرة سُجن فيها كان يحول السجن إلى مدرسة يوسفية، كما فعل يوسف – عليه السلام- في سجنه، مع حفظ المقام لرسل الله عليهم السلام .

إذا كتب يُحاكم، وإذا تكلم يُحاكم ، مطاردة تلو مطاردة، وإقامة جبرية تلو إقامة .

و لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل وصفوه بالجنون، وأودعوه المستشفى بين المجاذيب كما يقول،طارده النفي حتى بعد موته، فقد نقل رفاته بعد موته بأشهر إلى مكان مجهول ،هو بديع زمانه، ويكفيه هذا الثناء .

---

(1) سيرة ذاتية: 9 / 346 .

(2) الملاحق / ملحق أمير داغ: 7 / 290، سيرة ذاتية: 9 / 373 .

(3) سيرة ذاتية : 9 / 431 ، الشعاعات : 5 / 579 .

تعريف مختصر بمضامين كليات رسائل النور

قدم الإمام النورسي للمكتبة الإسلامية، تراثاً قيماً من المؤلفات، تناولت موضوعات كثيرة، تتعلق بحياة الإنسان الدينية والدنيوية، أسماها رسائل النور لتنير الدرب للناس في دياجير الظلام.

يقول بديع الزمان النورسي – رحمه الله تعالى- :

" لي سبعة عشر مؤلفا باللغة العربية، هي : إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تعليقات، قزل إيجاز ، الخطبة الشامية .

وبقية المؤلفات باللغة التركية، وهي نقطة ، شعاعات ، سنوحات، مناظرات، محاكمات، طلوعات، لمعات، رموز، إشارات، خطوات ستة، أيكي مكتب شهادتنا مه سي (المحكمة العسكرية العرفية)، حقيقة هكر دكلري (نوى الحقائق) .

أتكلم باللغة التركية والكردية، كما أقرأ باللغة العربية والفارسية".[١]

وقد قام الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بإعداد وترجمة (رسائل النور) الإرث العلمي لبديع الزمان ، في تسعة مجلدات ضخمة، وسأعرف بها بحول الله وقوته ، تعريفا مجملا .

وقد ألف بديع الزمان سعيد النورسي هذه الرسائل بهدف إحياء معاني القرآن ومقاصده في النفوس، مخاطبا العقل والوجدان، بأسلوب سلس، وكما سبق فقد كتب بعضها بالعربية، وبقيتها بالتركية. وكذلك قام الأستاذ إحسان الصالحي بجهد متميز مشكور في جمعها وترجمتها .

ومن مؤلفاته باللغة التركية أيضاً:

"رسالة الحشر، ورسالة الثمرة، وأصول في فهم الحديث، والشيوخ، والطبيعة، وحقائق الإيمان، وكلمات صغيرة، ومرقاة السنة، والشكر، ومرشد أهل القرآن، والآية الكبرى، وأنوار الحقيقة، والإخلاص والأخوة، ومرشد الشباب".[٢]

المجلد الأول : الكلمات

يقع هذا المجلد في تسعمائة صفحة، والفهارس في خمس وخمسين صفحة، عدا الفهارس التي تصل إلى خمسين صفحة، وتضم الكلمات ثلاثا وثلاثين رسالة، تناولت في مجملها أبحاثا تتعلق بالعبادات، وخصوصا الصلاة، والتفصيل في أركان الإيمان مركزا على الإيمان بالآخرة. كما تناول بعض القضايا المتعلقة بالنفس وتهذيبها، وخص المعجزات القرآنية بالرسالة الخامسة والعشرين، وكذلك خص الاجتهاد بالرسالة السابعة

---

(1) سيرة ذاتية : 9 / 36

(2) علي: أورخان محمد، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة ، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة (2006م). ص: 341.

والعشرين، وختم هذا الجزء علاوة على الرسائل الثلاث والثلاثين باللوامع، وهي ديوان شعر إيماني لطلاب النور .

المجلد الثاني : المكتوبات

يقع هذا المجلد في ستمائة وأربع عشرة صفحة، والفهارس في خمس وخمسين صفحة، وتضم المكتوبات ثلاثا وثلاثين رسالة، تناولت في مجملها قضايا الموت والحياة، وحكمة خلق آدم، وخلق الشيطان، وحكمة المصائب، والفتنة بين الصحابة – رضوان الله عليهم –.

تناول في بعض المكتوبات حياته الشخصية، وإجابات لما أثير حوله من تساؤلات .

وخص المكتوب التاسع عشر بالحديث عن معجزات النبي ﷺ المادية، وفي المكتوب التاسع والعشرين تحدث عن قضايا تتعلق بالقرآن الكريم كعدم إمكانية ترجمته، وختم هذا الجزء علاوة على رسائله بـــ (نوى الحقائق) وهي مقتطفات لسانحات قلبية من آثار سعيد القديم.

المجلد الثالث : اللمعات

يقع هذا المجلد في ستمائة صفحة ، والفهارس في ثاث وأربعين صفحة، وتضم اللمعات ثلاثا وثلاثين رسالة، إلا أن اللمعة الحادية والثلاثين انقسمت إلى الشعاعات التي لها مجلد مستقل، وكذلك اللمعة الثانية الثلاثين ضمت اللوامع التي ألفها سعيد القديم، ملحقة بمجموعة (الكلمات)، وأما اللمعة الثالثة والثلاثين فقد جُمعت في مجلد مستقل تحت عنوان (المثنوي العربي النوري) .

تناول في اللمع الأولى المناجاة وشرائطها وحاجة الناس إليها، وفي اللمعة الرابعة تناول منهاج السنة، وفي السابعة تحدث عن سبعة أنواع من الإخبار الغيبي، وفي الباقي دروس تتعلق بحياتنا اليومية، وختمها بالحديث عن اسم الله الأعظم والأسماء الحسنى : القدوس، العدل، الحكم، الفرد، الحي، القيوم.

المجلد الرابع : الشعاعات

يقع هذا المجلد في سبعمائة وست صفحات ، والفهارس في خمسين صفحة، وتضم الشعاعات خمس عشرة رسالة، بدأها بإثبات أن مزايا الكون وسجايا الإنسان لا تظهر إلا بالتوحيد، ورسالة المناجاة، وأشراط الساعة، ومعاني التحيات لله، والصلاة الإبراهيمية، ورسالة الآية الكبرى لبيان البراهين الدالة على الوحدانية، وبعض الكلام عن القرآن كحكمة التكرار، ومرافعات بديع الزمان النورسي وطلابه في محاكم دنيزلي وآفيون، ورسائل مسلية من سجن دنيزلي إلى طلابه، ويختم ، بالشعاع الخامس عشر برسالة (الحجة الزهراء) في إثبات التوحيد و الرسالة .

المجلد الخامس :إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز.

يقع هذا المجلد في مائتين وثمان وثمانين صفحة، والفهارس في ثلاثين صفحة . وهذه الرسالة ألفها بديع الزمان بالعربية .

بدأ هذه الرسالة بتعريف القرآن ، وبيان مقاصده ، و حكمة المتشابهات ، ثم أعقب ذلك بتفسير قيم لسورة الفاتحة ، وثلاثين آية من سورة البقرة ، مبينا ما في الآيات من بلاغة ، مظهرا التناسب بين الآيات ، و بين جمل الآية الواحدة ، و العجيب في الأمر أنه أملاها على طلابه أثناء الحرب العالمية الأولى، وهو يقود فرقة المتطوعين في محاربة الروس .

و ألحق المترجم بهذه الرسالة ، كتاب (قالوا عن القرآن) للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ، في أربعين صفحة .

المجلد السادس :المثنوي العربي النوري .

يقع هذا المجلد في خمسمائة و ثلاث صفحات ، و الفهارس في خمسين صفحة ، يضم هذا المجلد اثنتي عشرة رسالة باللغة العربية .

قام المترجم (إحسان الصالحي) بتحقيق هذه الرسائل ، وفق المنهج العلمي للتحقيق ، و الرسائل بمجملها تقوم على رياضة النفس و مجاهداتها ، و تجربة النورسي مع نفسه ، و كأن ما فيها بذور لما أثمر و أزهر في الرسائل الأخرى ، و فيها مزج بديع الزمان بين الموازين العقلية و الأشواق الروحية القلبية .

المجلد السابع : الملاحق في فقه دعوة النور .

يقع هذا المجلد في أربعمائة وتسع عشرة صفحة ، و الفهارس في إحدى وأربعين صفحة . تتضمن (الملاحق) ثلاث كتب مستقلة هي :

1. ملحق بارلا .
2. ملحق قسطموني .
3. ملحق أمير داغ .

و هذه الملاحق الثلاث تكشف عن مراحل معينة من حياة بديع الزمان النورسي ، كما تبين مرحلة متميزة من تاريخ دعوة النور .

الطابع العام لهذه الملاحق طابع دعوي خاص في مخاطبة المدعوين،سواء كانوا مستجيبين أو معارضين، لحث المخاطبين على التمسك بالإسلام عقيدة و شريعة ،في مواجهة الطغيان المبعد عن أبسط قواعد الدين .

يلمس القارئ لهذه الملاحق أنها توجيهات من بديع الزمان النورسي إلى طلابه ، لتقويم السلوك والمفاهيم ، والاعتصام بالكتاب والسنة .

المجلد الثامن :صيقل الإسلام .

يقع هذا المجلد في خمسمائة وست وخمسين صفحة ، و الفهارس في أربعين صفحة .

تعد الرسائل الموجودة في هذا المجلد آثار سعيد القديم حيث ألفها قبل سنة 1927م ، ويضم هذا المجلد الرسائل الآتية :

١. محاكمات عقلية في التفسير و البلاغة و العقيدة .
٢. قزل إيجاز : حاشية بديع الزمان النورسي على (السلم المنورق) المنظوم لشيخ الإسلام (عبد الرحمن الأخضري) [1] في علم المنطق مع شرح الملا عبد الحميد .
٣. تعليقات على برهان الكلنبوي (رسالة في علم المنطق أيضا) . وهي عبارة عن تعليقات بديع الزمان النورسي على كتاب البرهان للعالم (إسماعيل بن مصطفى الكلنبوي)[2] .
٤. السنوحات : وهي من المؤلفات التركية ، تحدثت عن بعض القضايا العقدية ،والتشريعية الإسلامية، و منـــزلة القرآن ، و تناول فيها بعض القضايا السائدة في الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى .
٥. المناظرات : وهي أيضا من المؤلفات التركية ، قدم فيها المؤلف رأيه في مؤلفاته القديمة، وأجاب عن أسئلة العشائر حول الأعضاء القائمة في زمانهم ، وبين رؤيته لمدرسة الزهراء التي يدعو إليها، ويصبو أن تكون شقيقة للجامع الأزهر ، وأجاب على سؤال: ما الذي ألقانا في غياهب الضياع؟.
٦. المحكمة العسكرية العرفية : وهي دفاع بديع الزمان أمام المحكمة العسكرية في عهد الاتحاديين حيث أودع مستشفى المجاذيب، ثم اقتيد إلى المحكمة العسكرية بسبب المطالبة بإصلاح التعليم، وتأسيس جامعة (مدرسة الزهراء) في شرق الأناضول .
٧. الخطبة الشامية : خطبة ألقاها في الشام مبينا أمراض الأمة ووسائل علاجها .

---

(1) العلامة الجزائري أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الشهير بالأخضري ، مالكي المذهب ، أشعري العقيدة ، و يعد من علمائه البارزين ، وعلما من أعلام الجزائر في القرن العاشر الهجري . عادل نويهض – معجم أعلام الجزائر ص:389.

(2) اسماعيل بن مصطفى بن محمود أبو الفتح الكلنبوي الروي ويعرف بشيخ زاده، قاضي حنفي عثماني، اشتهر بالرياضيات والمنطق، له تصانيف منها دقائق البيان في قبلة البلدان والبرهان ورسالة في القياس وحاشية على شرح الدوالي للعقائد العضدية.الأعلام:327/1.

٨. الخطوات الستة : خطوات ستة ألفها لمواجهة الاحتلال الانجليزي لاستانبول ، وتفنيد مزاعمهم وأباطيلهم ووساوسهم حول حسنهم وسلامة مقاصدهم ، مما دفعت سلطات الاحتلال إلى السعي لإعدامه ، لولا الخشية من الثورة العارمة .

المجلد التاسع : سيرة ذاتية .

يقع هذا المجلد في خمسمائة وأربع وأربعين صفحة ، والفهارس في أربعين صفحة ، يقدم فيها الأستاذ إحسان الصالحي سيرة حياة بديع الزمان النورسي ، مستخلصة من رسائله المختلفة ، كما رواها بديع الزمان نفسه ، مرتبة حسب التسلسل التاريخي .

مجموعة عصا موسى :

يقع الكتاب في أربعمائة واثنتي عشرة صفحة ،و الفهارس في عشر صفحات، وينقسم الكتاب إلى قسمين :

الأول : رسالة الثمرة ، تحدث فيه عن ثمرة الأعمال ، وبعض القضايا المتعلقة بالقرآن ، كالاختلاف بين السور المكية والمدنية، وحكمة التكرار في القرآن .

الثاني : حجة الله البالغة ، تحدث فيه عن براهين الوجود،ودلالاتها على وجود الخالق ، والفرق بين الإلهام و الوحي ، ودلالات صدق النبي ﷺ ومعجزة القرآن ، والرد على الجاحدين ، وقضايا كثيرة تتعلق بالتوحيد .

مجموعة ذو الفقار :

مجموعة رسائل المعجزات القرآنية ، و المعجزات الأحمدية ورسالة الحشر .

يقع الكتاب في أربعمائة وست وتسعين صفحة،و الفهارس في ست صفحات، تحدث في المقام الأول عن رسالة المعجزات القرآنية في بلاغته ونظمه ، و الإعجاز الغيبي ، و الإعجاز التشريعي .

وفي المقام الثاني عن رسالة المعجزات المادية للرسول ﷺ وذكر بعض المعجزات القرآنية كالإعجاز العلمي .

وفي المقام الثالث تحدث عن الحشر ، وذكر دلائل الحشر ، وأركان الإيمان الستة ، وحكمة التركيز على الإيمان باليوم الآخر ، وذكر بعض الأمثلة الدالة على الحشر .

الفصل الثاني
الإعجاز بين الأقدمين والمعاصرين

تقديم

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يؤيد رسله – عليهم الصلاة والسلام- بالمعجزات، تصديقا لهم في دعوى النبوة، حتى لا يبقى شك لمرتاب، ولا قول لمتقول، قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [إبراهيم:10-12] ومع هذا التأييد الرباني لرسله –عليهم السلام- فقد جُوبهوا بالتكذيب والجحود والإيذاء، فصبروا متوكلين على ربهم سبحانه وتعالى.

معنى المعجزة لغة :

قال ابن فارس:" العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء، فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف"، ويضرب الأمثلة ويستشهد بالآيات، ثم يقول: "وأما الأصل الآخر: فالعجز مؤخر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عجز الأمر، وأعجاز الأمور". [١]

قال الراغب الأصفهاني:" عجز الإنسان : مؤخره، وبه شبه مؤخر غيره. قال تعالى: ﴿ **تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** ﴾ [سورة القمر آية : 20] ، والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة.
قال تعالى: ﴿ **فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ** ﴾ [المائدة: 31] ، وأعجزت فلانا وعَجَّزْتُهُ

---

(١)أحمد بن زكريا/تحقيق شهاب الدين أبو عمرو/ معجم المقاييس في اللغة ص : 738 -739،دار الفكر.

جعلته عاجزا. قال تعالى: قال تعالى: ﴿ **فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ** ﴾ [التوبة :2]، ﴿**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ**﴾ [الشورى:31][(١)].

وإذا أنعمنا النظر في كلام العالمين الجليلين وجدنا اتفاقهما على أن العجز هو التأخر عن الشيء، فهو ضد القدرة والاستطاعة، وهو كما قال الراغب : اسم للقصور عن فعل الشيء.

معنى المعجزة اصطلاحا :

١. قال الإمام الباقلاني:" وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي ﷺ لا يصح دخوله تحت قدرة العباد، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه، ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه، إلى أن يقول: ولو كان غير خارج عن العادة، لأتوا بمثله، أو عرضوا عليه من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه " [(٢)].

٢. وقال أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس :" هي ما يدل على تصديق الله تعالى للمدعي في دعواه الرسالة". [(٣)]

٣. وقال الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي :" هي الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، يجريه الله، على يد النبي تصديقا له في دعوى النبوة" [(٤)]

وبإمعان النظر في هذه التعريفات الاصطلاحية للمعجزة، نخلص إلى أنه يشترط في المعجزة ما يلي :

١. أن تكون المعجزة من فعل الله عز وجل ، تصديقا للرسول الذي أرسله الله، علامة واضحة على نبوته، سواء كانت مادية كإحياء الموتى لسيدنا عيسى عليه السلام، أو معنوية كالقرآن الكريم لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ** ﴾ [غافر:78].

2. أن تكون خارقة للعادة، حيث إن الله عز وجل، في عالم الشهادة ربط الحوادث بأسبابها، وألف الناس ذلك، فلا بد للمعجزة أن تخرج عن المألوف، كتحول عصا موسى عليه السلام حية، قال تعالى: ﴿**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى** ﴾ [طه: 20] وعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [الأنبياء: 69]، وعجز بلغاء العرب عن الإتيان بمثل القرآن، قال

---

(١)الأصفهاني : الراغب مفردات ألفاظ القرآن / تحقيق صفوان عدنان داوودي ، ، – دار القلم- دمشق/ الدار الشامية بيروت ص: 547

(٢)الباقلاني : الإمام أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن / تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر -دار الفكر طبعة1، ص:288

(٣)عباس أ.د. فضل حسن وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم ، / دار الفرقان- عمان / ط5(1424هـ-2004م) ،ص20

(٤)الخالدي :د. صلاح عبد الفتاح ،إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، / دار عمار – عمان/ ط3 1426هـ -2008م ،ص:18

تعالى:﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نـزلنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة:23-24] .

3. السلامة من المعارضة، فلا يستطيع أحد من الناس الإتيان بمثلها. قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ [الإسراء: 88].
4. أن تكون المعجزة ظهرت على يد مدعي النبوة، فإن أتى بها غير مدعي النبوة ، فلا يعد ما أتى به معجزة، بل هو كرامة إذا كان ذلك على يد عبد صالح.
5. أن تكون المعجزة بعد ادعاء النبوة، وأما قبل دعوى النبوة فلا تكون معجزة، وإنما إرهاصا للنبوة، ومثاله كلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهد، قال تعالى: ﴿ **قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً** ﴾ [مريم:29-30] ، وأيضا تسليم الحجر على رسول الله ﷺ، في مكة قبل بعثته، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ ، قال : (**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن**). [١] [2]

مراحل التحدي :

جاءت آيات القرآن الكريم، تتحدى الكفار بقوة وصرامة، أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعض سوره، فنجد في القرآن المكي قول الله عز وجل:

1. ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ [الطور: 33-34] ، ففي هذه الآية تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فعجزوا عن ذلك.

٢. ولما لم يأتوا بمثله، وعجزوا عن ذلك، أرخى لهم العنان، فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور فقط، قال تعالى ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنـزِل بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [هود : 13-14] .

---

(١) القشيري: الإمام مسلم بن حجاج،صحيح مسلم: أخرجه في الفضائل الحديث الثاني والترمذي في المناقب رقم (3626) والدارمي في المقدمة، والإمام أحمد :89/5

(٢) انظر إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني (18-20)

٣. ثم أرخى لهم العنان مرة أخرى، بأن خفف عنهم، ما يطلبه منهم، فطلب سورة واحدة، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس:38] . ثم جاء العهد المدني :

٤. فسايرهم أكثر فأكثر، فتحداهم أن يأتوا بسورة مثله، شبها له ولو بوجه من الوجوه، فقال الله عز من قائل: ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نزلنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة : 23-24] .

يقول سيد قطب :" والتحدي هنا عجيب، والجزم بعدم إمكانه أعجب، ولو كان في الطاقة تكذيبه ما توانوا عنه لحظة، وما من شك أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا، وتحقق هذا كما قرره هو بذاته معجزة لا سبيل إلى المماراة فيها ".[١]

وذهبت بنت الشاطئ إلى أن أول آيات التحدي هي آية الإسراء : ﴿**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ [الإسراء:88]،تقول: "وأول ما نـــزل من آيات المعاجزة آية الإسراء المكية "[٢]

أقول درج كثير من العلماء على ترتيب مراحل التحدي،من القرآن،إلى عشر سور منه إلى سورة،ولكن لا يقوم دليل على ترتيب ذلك زمنياً،من القرآن الكريم،أو السنة النبوية،وإنما ذلك ترتيب عقلي.

---

(١)قطب: سيد ، في ظلال القرآن دار الشروق – ط9 / 1400هـ 1980م ،1 / 48.

(٢) بنت الشاطئ د. عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقرآن لهـ / دار المعارف – القاهرة ط3، ص:66 .

المبحث الأول
جهود الأقدمين

وقد قسم أستاذنا الدكتور فضل عباس، جهود الأقدمين في دراسة الإعجاز إلى ثلاثة أدوار:

١. دور الإشارات:و يشمل إشارات كل من: النظام، الجاحظ، ابن قتيبة، الواسطي، الطبري .

٢. دور الرسائل وفيه : رساالة الرماني، رسالة الخطابي .

٣. دور الكتب وفيه : إعجاز القرآن للباقلاني ، إعجاز القرآن لعبد الجبار الهمذاني، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ونظرية النظم للزمخشري " [١]

المطلب الأول : دور الإشارات

يتميز هذا الدور بأن من كتب فيه عن الإعجاز، ذكر ذلك متناثراً هنا أوهناك، في كتابه أو كتبه، أو أنه كتب عن بعض القضايا التي هي من صلب الإعجاز، كما فعل أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن، والفراء في كتابه معاني القرآن .

النظّام[٢] والإعجاز:

بدأ الكلام عن الإعجاز في بداية القرن الثالث الهجري، حيث تكلم (النّظّام) عن كون القرآن دليلا على صدق الرسول ﷺ بما تضمنه من أخبار الغيب، لا من حيث نظمه وأسلوبه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فقال بالإعجاز بالصرفة، مما جعله موضع انتقاد،حتى من أقرب المقربين إليه وهو تلميذه (الجاحظ).

الجاحظ[٣] والإعجاز

تحدث الجاحظ عن القرآن في كتبه الكثيرة، حديثا متناثرا، فكان حديثه تارة عن بديع نظم القرآن، وأخرى عن صحة أخباره، وأخرى عن قوة حجته الضاحدة للشبهات الموجهة لهذا القرآن .

---

(١)إعجاز القرآن الكريم ص : 33

(٢) النّظّام: هو إبراهيم بن سيار بن هاني البصري، أبو إسحاق النظام، ورد بغداد وكان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة، وله في ذلك تصانيف عدة، وكان أيضاً متأدباً، وله شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين من أئمة المعتزلة، قال فيه الجاحظ:" الأوائل يقولون في كل سنة رجل لا نظير له، فإن صح فأبو إسحاق من أولئك" كان ينظم الخرز في سوق البصرة. وفي(لسان الميزان) أنه متهم بالزندقة، وكان شاعرا أيضا بليغا . الأعلام:43/1 ، تاريخ بغداد 97/6 رقم 3131 ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي /دار الكتب العلمية.

(٣) الجاحظ:(163-255 هـ / 780-869م) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي أبو عثمان، الشهير بالجاحظ. كبير أئمة الأدب ورئيس فرقة الجاحظية من المعتزلة. فلج في آخر عمره وكان مشوه الخلقة قال عنه ابن حجر العسقلاني: "كان من أئمة البدع" /لسان الميزان أحمد بن حجر العسقلاني ت: 852هـ دار الفكر 409/4، ط1 1407هـ /1987م،قال الخطيب البغدادي: "المصنف الحسن الكلام، البديع التصانيف، وكان من أهل البصرة وأحد شيوخ المعتزلة، تاريخ بغداد212/12-213، وذكر الخطيب أنه كان لا يصلي. انظر نفس المصدر 217/4، له مؤلفات كثيرة منها (الحيوان)، (البيان والتبيين) و(البخلاء)و غيرها . الأعلام 5 / 74 .

يقول الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس :

" ونستطيع أن نلخص نظرية الإعجاز عند الجاحظ بما يلي :

١. القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة، ومن حيث نظمه ورصفه، الذي يقوم على ابداع في الإيجاز والتشبيه والمجاز .

٢. القرآن معجز من حيث الصرفة، ولكنها تختلف كثيرا عن تلك التي ذكرها أستاذه النظام من قبل، ولذا فهو يرد عليه في كتابه (نظم القرآن) فأساس نظرية الإعجاز وعمود القول فيها بلاغته أولاً، أما القول بالصرفة فإنما يأتي في المرتبة الثانية، فهو دليل يضاف إلى دليل عجز العرب عن محاكاة القرآن في أسلوبه ونظمه .

لقد وضع الجاحظ بحق بذوراً لنظرية الإعجاز التي تطورت فيما بعد، وإن كانت هذه البذور جاءت موزعة في مواضع من كتبه ومؤلفاته " [١]

الطبري[٢] والإعجاز:

ولخص نعيم الحمصي قول ابن جرير الطبري في الإعجاز بنقاط خمس:

١. القرآن معجزة باقية أبد الدهر لا يستطيع الجن والإنس في كل عصر الإتيا ن بمثلها في البيان. قال الإمام الطبري :" ومن حجة محمد ﷺ على صدقه و برهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي –عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم عن أن تأتوا بسورة من مثله"[٣].

٢. القرآن معجز لما فيه من القدرة على إبانة ما يقصده المتكلم.

٣. تحدّي القرآن العرب الإتيان بمثل القرآن الذي هو بلغتهم، ومعاني منطقه موافقة معاني منطقهم.

٤. عجز العرب عن معارضته

(١) إعجاز القرآن الكريم ص : 38 .

(٢)الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، ولد سنة 224هـــ، روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث، وصنف التاريخ الحافل. وله التفسير الكامل، الذي لا يوجد له نظير، وغيرها من المصنفات النافعة في الأصول والفروع. وقد روي عنه أنه مكث أربعين سنة كل يوم يكتب أربعين ورقة. استوطن بغداد حتى مات فيها سنة 310ه. البداية والنهاية:11/145-146

(٣)الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ،جامع البيان في تفسير آي القرآن ،دار الكتب العلمية ،(1/200).

5. ذكر الوجوه التي يتفاوت فيها الكلام بلاغة، وما ورد منها في اللسان العربي، وهي في جملتها لا تخرج عما يطرقه علم البلاغة من أبحاث التقديم والتأخير والاستعارة والإيجاز والإطناب".[١]

ابن قتيبة[٢] والإعجاز:

ابن قتيبة: إمام من أئمة أهل السنة، له كتابان متعلقان بالقرآن هما: (غريب القرآن) و (تأويل مشكل القرآن) ومن كتبه الأخرى (تأويل مختلف الحديث)، و(أدب الكاتب) وغيرها. والذي يعيننا ما يتعلق بالقرآن الكريم، حيث تحدث عن مواضيع بلاغية كالتشبيه والاستعارة والمجاز . و ردّ على المعتزلة المفرطين في التأويل، كما ورد على اللغويين المنكرين للمجاز .

الواسطي[٣] والإعجاز:

قال الرافعي[٤]: " بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف إنما هو فيما نعلم كتاب (إعجاز القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى سنة 306هـــ وهو كتاب شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحاً كبيراً سماه المعتضد ، وشرحاً آخر أصغر منه ، ولا نظن الواسطي بنى إلاّ على ما ابتدأه الجاحظ، كما بنى عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) على الواسطي، ثم أبي عيسى الرماني المتوفى سنة382هـــ." [٥]

(١) الحمصي :نعيم، فكرة الإعجاز / تقديم بهجة البيطار،: / مؤسسة الرسالة طبعة2، ص:60 .

(٢) ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد سنة213هـــ، وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور فنسب إليه. توفي بغداد سنة276هـــ، من كتبه (عيون الأخبار)و(الإمامة والسياسة)/وفيات الأعيان:251/1، الأعلام137/4 .

(٣) الواسطي: أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي توفي سنة306هـــ .

(4) الرافعي : مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي(1298-1356هـــ/1881-1937م) عالم بالأدب شاعر من كبار الكتاب أصله من طرابلس الشام ووفاته في طنطا – مصر. له ديوان شعر وتاريخ آداب العرب وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية وتحت راية القرآن والرد على طه حسين/الأعلام: 235/7.

(5) الرافعي :مصطفى صادق إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة الإيمان / ط1 (1417هـــ - 1997م)، ص131 .

المطلب الثاني : دور الرسائل

قام كل من (محمد خلف الله أحمد) والدكتور (محمد زغلول سلام) بتحقيق ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ولما كان عبد القاهر الجرجاني له كتاب دلائل الإعجاز، فسأكتفي بعرض موجز لرسالتي الرماني والخطابي، رحمهما الله تعالى.

أولا: النكت في إعجاز القرآن للرماني[١]

عرض المحققان الكريمان رسالة الرماني في أربعين صفحة (73-112) بدأ الرماني رسالته ببيان أنها جاءت إجابة لسائل عن ذكر النكت[٢] في إعجاز القرآن دون تطويل بالحجاج.

وجوه الإعجاز عند الرماني سبعة هي :

- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
- والتحدي للكافة .
- والصّرفة .
- والبلاغة.
- و الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.
- ونقض العادة
- وقياسه بكل معجزة.

ثم شرع ببيان الوجه الرابع وهو البلاغة، وتكلم عن الوجه الأول والأخير باختصار بعد ذلك. وفي حديثه عن البلاغة قال: **فأما البلاغة فهي ثلاث طبقات :**

١. منها ما هو في أعلى طبقة.
٢. ومنها ما هو في أدنى طبقة .
٣. ومنها ما هو الوسط بين الأعلى والأدنى.

وقرر الرماني أن الأعلى معجز، وهي بلاغة القرآن، وعرف البلاغة أنها :" إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من صور اللفظ".

والبلاغة تقوم على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان[٣].

---

(١) الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى (296-384هـ) أخذ عن أبي بكر بن دريد والزجاج و أبي بكربن سراج كان متقناً في علوم كثيرة من القرآن والفقه والنحو والكلام على مذهب المعتزلة صنّف في التفسير والنحو واللغة شرح كتاب سيبويه له التصريف والاشتقاق وصيغة الاستدلال وكتاب الأكوان/ سير أعلام النبلاء 575/12.

(2) النكتة:" الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، والفكرة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر" د.ابراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسبط 950/2 ط2

(٣) الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن،مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن -ص75-76.

وقبل أن نودع الرماني في حديثه عن الإعجاز، لابد من الإشارة إلى قوله:" وأما الصّرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة،كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول".

أقول: وهذا مأخذ كبير على الرماني، فقد رفع مكانة البلاغة ، وجعل القرآن في أعلى مقاماتها مما أعجز الناس عن معارضته، ولا يخفف من هذا الأمر قوله إن الصرفة أحد وجوه الإعجاز، وكأني به لا يقوى على مخالفة شيوخه، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثانياً: بيان إعجاز القرآن للخطابي(١)

وجه الإعجاز عند الخطابي :

يرى الإمام الخطابي أن إعجاز القرآن كامل فيه،لا لسبب خارج عنه،و لهذا ركّز بحثه في القرآن،يستخرج منه ما يثبت إعجازه،مبيناً عدم قدرة الناس على الإتيان بمثله،قال رحمه الله:

" وقد اسْتَقْرَيْنا أوصافه الخارجة عنه، وأسبابه النابتة منه، فلم نجد شيئاً منها يثبت على النظر، أو يستقيم في القياس، ويطّرد على المعايير، فوجب أن يكون ذلك المعنى مطلوباً من ذاته، ومستقصى من جهة نفسه: فدلّ النظر وشاهد العبر أن السبب له والعلة فيه، أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة البيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة غير متساوية، فمنها :

١. البليغ الرصين الجزل .
٢. الفصيح القريب السهل .
٣. الجائز الطلق الرسل .

وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم. الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة"(٢).

(1) الخطابي: هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي. ولد سنة319هـ،وأقام ببست، ومات فيها سنة388هـ وإليها نسب. طوف في طلب العلم شرقاً وغرباً، فتلقى العلوم بالبصرة وبغداد ومكة ونيسابور وعاد إلى بست حتى أدركته منيته، وكان رجلا عفاً صالحاً كريماً، يأكل من تجارته الحلال، وينفق من سعة على العلماء من إخوانه ومريديه. وله تصانيف كثيرة في الحديث والفقه، ومنها معالم السنن، غريب الحديث، وتفسير أسماء الرب عز وجل وشرح صحيح البخاري، وكتاب العزلة ومعالم التنزيل وغيرها /وفيات الأعيان :127/12،البداية والنهاية :324/11

(٢) بيان إعجاز القرآن مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ص: 26 .

وهذه المستويات الثلاثة مزج بينها القرآن فحاز بها قصب السبق، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بينة لنبيه، ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه.

أسباب عدم القدرة على الإتيان بمثل القرآن:

وأسند تعذر البشر عن الإتيان بمثله إلى الأسباب التالية :

أولاً:إلى عدم إحاطة علمهم بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها، التي هي ظروف المعاني والحوامل لها.

ثانياً :عدم إدراك أفهامهم جميع المعاني التي تُحمل عليها تلك الألفاظ .

ثالثاً : عدم معرفتهم بجميع وجوه النظم التي تربط الألفاظ بعضها ببعض،فتتآلف فيما بينها. حيث إن الكلام لا يقوم إلا بهذه الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم .

وقد سجل القرآن سبقاً: فألفاظه جزلة عذبة، ونظمه متلائمٌ متشاكلٌ، والمعاني التي حواها القرآن في أعلى درجات الفضل. ثم قال رحمه الله:" فتفهم الآن واعلم:أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ،في أحسن نظوم التأليف، مُضَمَناً أصح المعاني"[١].

الخطابي والإعجاز النفسي:

وآخر ما عرض له الخطابي رحمه الله الإعجاز النفسي، فقال:" قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس. فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه"[٢]

المطلب الثالث : دور الكتب

أولاً : كتاب إعجاز القرآن للباقلاني[٣]

حظي كتاب الباقلاني في إعجاز القرآن باهتمام كبير لدى طلاب العلم، واشتهر شهرة واسعة على مدى القرون السابقة.

---

(١)المصدر السابق: 27 .

(٢) المصدر السابق:70.

(٣) الباقلاني: هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني المتكلم على المذهب الأشعري من أهل البصرة سكن بغداد وسمع بها الحديث من أبي بكر ا بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي أعرف الناس، وأجودهم لساناً وأوضحهم بياناً، كان ثقة له تصانيف كثيرة في الردّ على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والخوارج توفي سنة372هـ/ وفيات الأعيان270/4، تاريخ بغداد 379/5

تناول كتاب الباقلاني موضوعات متعددة، يتصل بعضها اتصالا مباشراً بموضوع الإعجاز، وبعضها صلتها بالإعجاز ضعيفة،تحليل قصائد شعرية لامرئ القيس والبحتري وأبي تمام وغيرهم، وكذلك مقارنة بين أسلوب القرآن وخطب للرسول ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وغيرهم وما يهمنا هو ما قاله الإمام الباقلاني في الإعجاز ..

وجوه الإعجاز عند الباقلاني:

الباقلاني من أئمة الأشاعرة المشهورين،المدافع عن الدين بطريقة المتكلمين،ألّف كتابه هذا دفاعاً عن كتاب الله عزّوجل،ويرى أنّ وجوه الإعجاز تنحصر في ثلاثة أوجه،قال:" وذكر أصحابنا وغيرهم، في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز :

أحدها: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه.

الثاني: أنه كان معلوماً من حال النبي ﷺ، أنه كان أمِّياً لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام،إلى حين مبعثه .

الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحدِّ الذي يُعلم عجزُ الخلق عنه"(١)

النظم عند الباقلاني:

وقد فصّل الباقلاني في الوجه الثالث،

ويمكن تلخيص رأي الباقلاني في هذا الوجه بما يلي:

١. مباينة أسلوب القرآن للأساليب المعروفة من شعر و نثر.
٢. بلاغة القرآن لا تتفاوت،مع أن كلام الفصحاء القليل يتفاوت.
٣. موضوعات القرآن الكريم –و إن اختلفت–تبقى في أعلى درجات البلاغة،في حين نرى الشعراء و الأدباء،يبدعون في نوع معين،ما لا نجد نظيره في غيره كالمدح،والهجاء،والغزل...إلخ.
٤. انتقال القرآن من موضوع إلى موضوع في السورة الواحدة،لا يغير من مستوى نظمه ولا يشعر بالنقلة.
٥. الإنس و الجن في التحدي سواء.
٦. أساليب القرآن تتناسب مع السياق الواردة فيه.
٧. فصاحة الألفاظ القرآنية وتناسبها مع المعاني المبتكرة غير المتداولة بين العرب.

---

(١)الباقلاني:الإمام محمد بن الطيب، إعجاز القرآن /تحقيق الشيخ عماد الدين حيدر، /دار الفكر. ط1 (1406هـ/1986م)، انظر ص: 57-59

٨. الكلمة القرآنية هي درة العقد، فلا يمكن إستبدالها بغيرها.

٩. الحروف المقطعة في فواتح السور تمثل نصف حروف المعجم، وهي تشتمل على صفات الحروف ومخارجها منصّفة كذلك.

أقول: قد سجل الباقلاني سبقاً، في حديثه عن ظاهرة التنصيف في صفات ومخارج الحروف، في فواتح السور. وقد أشار إليه الزمخشري في تفسيره.(١)

١٠. القرآن سهل ميسر، بعيد عن غريب الكلام، لاتكلّف فيه، لكنه ممتنع المطلب، عسير المتناول، فهو من السهل الممتنع.

ثانيًا: كتاب "المغني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبار(٢)

هذا الكتاب سفر عظيم متعدد الأجزاء، متنوع العلوم، تناول مؤلفه الإعجاز في جزئه السادس عشر، المشتمل على مئات الصفحات.

يقول أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس عن هذا الجزء:

"عرض القاضي عبد الجبار في هذا الجزء لقضايا متعددة، فقد تحدث عن الخير وما يتصل به، ثم تحدث عن الرسالة والرسول، وعن التواتر الذي ثبت به القرآن.

١ –وقد بين لنا المراد من كلمة (الإعجاز) حين قال: ومعنى قولنا في القرآن إنه معجز أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي قد اختص به.

٢ –ويتحدث عن الفصاحة، فيبين أن الكلام يكون بجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بد من اعتبار هذين الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحًا، والفصاحة لا تظهر في الكلمات المفردة، إنما بضم هذه الكلمات بعضها إلى بعض، ويذكر جهات ثلاث لا رابع لها، تظهر بها فصاحة الكلام:

الجهة الأولى:اختيار الكلمة نفسها.

الجهة الثانية:حركة هذه الكلمة من جهة الإعراب.

الجهة الثالثة:موقع هذه الكلمة تقديماً أو تأخيراً، تعريفاً أو تنكيراً، إلى ما هنالك من أساليب.

---

(١) الزمخشري:محمود بن عمر الكشاف عن غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وصححه: مصطفى حسين أحمد/ دار الكتاب العربي (1406هـ-1986م) انظر 29/1-30.

(٢) القاضي: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، ولي القضاء في الري ومات فيها له تصانيف كثيرة منها تتريه القرآن عن المطاعن والأمالي والمجموع المحيط بالتكليف والمغني في أبواب التوحيد والعدل/الأعلام :273/3، تاريخ بغداد 113/11.

٣ -ويرى الشيخ أن الإعجاز ليس في نظم الكلام، وهو يعني بالنظم ورود الكلام على طريقة مخصوصة، أي القالب الشكلي الذي جاء عليه القرآن الكريم، وليس النظم الذي تحدث عنه الخطابي، والذي سنتحدث عنه عند الجرجاني، وقد تحدثنا عن هذا من قبل، فهذا الذي سماه الرماني (نقض العادة)، وجعله الباقلاني الوجه الأول من الوجوه العشرة التي ذكرها لبلاغة القرآن، يقول عبد الجبار، أن ذلك ليس وجها مستقلا من وجوه الإعجاز، لأنه لو كان كل قالب جديد معجزًا، لكان ينبغي أن يكون أول ما قيل من الشعر معجزًا، لأنه لم يعرف من قبل.

٤ -ويعرض للقول بالصرفة، ويذهب إلى أنها لا تصلح أن تكون وجهًا من وجوه الإعجاز، وقد أطال الحديث عن هذه القضية وأتى على الشبهات التي يمكن أن تعرض في هذا الأمر.

٥ -وأما الإخبار عن الغيب فيرى الشيخ أنه لا يصلح وجها عاما من وجوه الإعجاز لأن التحدي كان بسورة من سور القرآن وكثير من هذه السور ليس فيها شيء من أنباء الغيب.

٦ -ويقرر القاضي أن القرآن، ليس معجزة العرب وحدهم، إنما هو معجزة لسائر الناس كذلك، وإن العجم وإن لم يعرفوا مزايا الفصاحة، لكنهم عرفوا عجز العرب الذين هم أهل الفصاحة بسليقتهم، وهذا كاف في إقامة الحجة عليهم(١).

ثالثًا: دلائل الإعجاز للجرجاني(٢)

كان الناس فريقين متناحرين، فريق ينتصر للفظ على أساس الكلام، وفريق ينتصر للمعنى على أنه أساس الكلام، فجاء عبد القاهر الجرجاني يرد قول الفريقين، مبيناً أهمية النظم الذي يجمع بين اللفظ والمعنى، فقال—رحمه الله-:"واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك أن: لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسببٍ من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس. إذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق، فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسببٍ من صاحبتها، ما معناه وما محصوله، وذكر بعد ذلك توضيحاً لكلامه، بجعل الاسم فاعلاً أو مفعولاً أوصفة، ونميز ذلك من تراكيب النحو، ثمّ بيّن بعد ذلك تبعية اللفظ للمعنى في النظم(٣).

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ص : 56- 58

(2) الجرجاني: (ت471) هو عبد القاهر بن محمد الجرجاني، أبو بكر. واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) من كتبه: "أسرار البلاغة"، و "دلائل الإعجاز"، و "المغني في شرح الإيضاح"، "العمدة في تصريف الأفعال"، وغيرها. الأعلام: 48/4-49 ٢، له شعر رقيق، شيخ العربية، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسين ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي. من مؤلفاته غير ما ذكر: "العوامل المئة" في النحو، و"الجمل" و "المفتاح" وكان شافعياً عالماً أشعرياً، ذا نسك ودين. سير أعلام النبلاء432/18-433، تحقيق شعيب الأرناؤوط /مؤسسة الرسالة ط14107هـ / 1990م.

(٣)الجرجاني :عبد القاهر دلائل الإعجاز – شرح وتعليق د. محمد التُنْجي – دار الكتاب العربي ط1(1415هـ/1995م) : 59-60.

ويضرب لذلك مثالاً، قول الله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود:44]، مبيناً ما في الآية من اتساق بين الألفاظ ومعانيها ونظمها(١)

احتمالات الإعجاز عند الجرجاني:

وحتى يحقق هذا المعنى للنظم، وضع للإعجاز عدة احتمالات، سأعرضها كما بينها في كتابه دلائل الإعجاز، حيث قال: "ثمّ إنّ هذا الوصف ينبغي أن يكون وصفًا قد تجدّد بالقرآن، وأمرًا لم يوجد في غيره، و لم يُعرف قبل نزوله.

وإذا كان كذلك فقد وجب أن يُعلم:

أولا: أنه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة، لأن تقدير كونه فيها يؤدي إلى المحال.

ثانيًا: ولا يجوز أن تكون في معاني الكلم المفردة التي هي لها بوضع اللغة.

ثالثًا: ولا يجوز أن يكون هذا الوصف في تركيب الحركات والسكنات، حتى كأنهم تُحُدُّوا إلى أن يأتوا بكلام تكون كلماتُه على تواليها في زنة كلمات القرآن.

رابعًا: وكذلك الحكم إن زعم زاعم أن الوصف الذي تُحُدوا إليه أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذي تراه في القرآن.

خامسًا: ولا يجوز أن يكون الإعجاز بأن لم يُلتَقَ في حروفه ما يثقل على اللسان.

سادسًا: ولا يمكن أن تُجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز وأن يُقصر عليها، لأن ذلك يُؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة.

سابعًا: وإذا امتنع ذلك فيها لم يبق إلا أن يكون في النظم والتأليف، لأنه ليس من بعد ما أبطلنا أن يكون فيه إلا النظم"(٢).

---

(١) انظر دلائل الإعجاز ص:53-54.

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص: 290-292.

المبحث الثاني
جهود المعاصرين في إعجاز القرآن الكريم

سأتناول في هذا المبحث ما قدمه كل من: الرافعي ودراز وسيد قطب وبنت الشاطئ وزغلول النجار في الإعجاز .

شهد القرن الرابع عشر الهجري جهوداً مشكورة للعلماء في موضوع الإعجاز، وإن كانوا قد أفادوا كثيراً ممن تقدم من العلماء، وبنوا على علومهم ما توصلوا إليه من ملحوظات جديرة بالتقدير.

ويُعدُّ هذا القرن العصر الذهبي للإعجاز، لكثرة ما كتب فيه، لأن ما كتبه هؤلاء العلماء يلائم العصر الحديث، فيسهل على الناس الفهم(١) ، وسأذكر جانباً من هذه الكتب.

المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية للرافعي.

عرض الرافعي – رحمه الله– في أكثر من مائة صفحة من كتابه حديثاً طيباً عن تاريخ القرآن وعلومه، والقراءات وما فيها من طرق الأداء، وفائدتها في استنباط الأحكام الشرعية.

وقد أبدع الرافعي في بيان تأثير القرآن الكريم في اللغة وخلودها، فقال :

" فقد وضح لك أنه لولا القرآن وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم، بالاختلاط الذي وقع و لم يكن منه بد، حتى تنتقض الفطرة، وتختبل الطباع، ثم يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة، إذ لا يخلفهم عليها إلا من هو أشد منهم اختلاطاً وأكثر فساداً، وهكذا يتسلل الأمر حتى تستبهم العربية فلا تبين – وهي أفصح اللغات – إلا بضرب من إشارة الآثار، وتنزل منزلة (الهير غليف)(٢) الذي قبره المصريون في الأحجار وأحيته هذه الأحجار." (2)

وتحدث عن نظم القرآن، فقال :

"والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة:

١. حروف هي من الأصوات .
٢. وكلمات هي من الحروف.
٣. وجمل هي من الكلم.

---

(١) أنظر البيان في إعجاز القرآن : 121

(٢) مصطلح إغريقي معناه النقش المقدس ، أطلقه الغربيون على الكتابة المصرية القديمة المحفورة في قبور المصريين القدماء ومعابدهم، وغير ذلك من تراثهم.

وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به، فليس لنا بد في صفته من الكلام في ثلاثتها جميعاً."(١)

ويضيف -رحمه الله-:" فالحرف الواحد في القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان، إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وما أنـــزله إلا الذي يعلم السر في السماوات والأرض."(٢)

ويرى الرافعي –رحمه الله- أن الكلمات في حروفها، والجمل في كلماتها ينتج عنها أصوات ثلاثة:

"1. **صوت النفس**: وهو الصوت الموسيقى الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة.

٢. **صوت العقل**: وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام، ومن الوجوه البيانية التي يداور بها المعنى، لا يخطئ طريقة النفس من أي الجهات انتحى إليها.

٣. **صوت الحس**: وهو أبلغهن شأناً، لا يكون إلا من دقة التصور المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان، أو يسوق إليها من طرائف المعاني"(٣)

ويعقب على ذلك فيقول: "ذلك بأن صوت النفس طبيعي في تركيب لغتهم، وإن كان فيها من التفاوت كمالا ونقصًا، وصوت الفكر لا يعجزهم أن يستبينوه في كثير من كلام بلغائهم، وأما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريحه، وانفرد به القرآن وقد كانوا يجدونه في أنفسهم منذ افتنوا في اللغة وأساليبها، لكنهم لا يجدون البيان به في ألسنتهم.

أقول: فأنى لهم أن تكون كلماتهم موزونة محكمة التقدير لمعانيها كما هو القرآن الكريم: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[هود:1] "(٤)

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص: 179.

(٢) المصدر السابق: 180.

(٣) المصدر السابق: 187-188.

(4) المصدر السابق: 188

الرافعي والصرفة:

هاجم الرافعي النظّام هجومًا قويًا لأنه أول من قال بالصرفة، فقال: "فذهب شيطان المتكلمين أبو اسحق إبراهيم النظّام إلى أن الإعجاز كان بالصرفة" [١] وبالغ في الإنكار فقال: "وهو عندنا رأي لو قال به صبية المكاتب وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدعوه، لكان ذلك مذهبًا من تخاليطهم في بعض ما يحاولونه" [٢]

وأبطل الصرفة بمقارنتها بقول العرب عن القرآن سحر، فقال: "وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه ﴿ **إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ** ﴾ [المدثر:24] هذا زعم ردّه الله على أهله وأكذبهم فيه وجعل القول به ضربًا من العمى، ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الطور:15] اعتبر ذلك بعضه بعضا فهو كالشيء الواحد" [٣]

المطلب الثاني: كتاب النبأ العظيم لدراز [٤]

كتاب النبأ العظيم لدراز رحمه الله، جمع بين دقة المعاني ، وعمق الأفكار، أودع فيه صاحبه عصارة قلبه، لإثبات إعجاز القرآن العظيم، بأسهل عبارة وأوجزها.

وقد قسم الدكتور دراز كتابه إلى بحثين:

البحث الأول: في تحديد القرآن. مبينًا معناه وخصائصه، ومفرقًا بينه وبين الأحاديث النبوية والأحاديث القدسية .

البحث الثاني: في بيان مصدر القرآن . وقسمه إلى مراحل :

المرحلة الأولى: بيان أن القرآن لا يمكن أن يكون إيحاءً ذاتيًا من نفس محمد .

المرحلة الثانية: بيان أن محمداً ﷺ لم يكن له معلم من البشر.

المرحلة الثالثة: البحث في ظروف الوحي وملابساته الخاصة عن مصدر القرآن.

المرحلة الرابعة: البحث في جوهر القرآن نفسه عن حقيقة مصدره.

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص:124.

(٢) المصدر السابق: 125.

(٣) المصدر السابق:126.

(٤) دراز: هو محمد بن عبد الله دراز، ولد في مصر عام1894م، حصل على الشهادة العالمية من الأزهر عام1916، ونال درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف من السوربون عام1947، وعمل في التدريس في كثير من الكليات المصرية، واختير لعضوية مجلس كبار العلماء، وعضوية اللجنة العليا لسياسة العلوم، وكانت وفاته في باكستان عام1958م.(النبأ العظيم ص:7) ، فقيه متأدب مصري أزهري كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب منها "الدين"، دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام. الأعلام: 246/6.

و استغرقت المرحلة الرابعة ثلثي الكتاب أو يزيد، حيث تحدث د.دراز فيه عن أسلوب القرآن وخصائصه.

جوانب الإعجاز عند دراز:

يرى د.دراز أن الإعجاز القرآني يتجلى في جوانب ثلاثة:

١) الإعجاز اللغوي. 2) الإعجاز العلمي. 3) الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي.

"فلنأخذ –بعون الله وتوفيقه– في دراسة هذه النواحي الثلاث من الإعجاز القرآني: أعني ناحية الإعجاز اللغوي، وناحية الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي، ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلا في سورة منه. ولذلك نبدأ بها."(١)

خصائص أسلوب القرآن :

وعند حديثه عن القرآن في قطعة منه قرّر أن أسلوب القرآن قد بلغ الذرى، وجمع بين فضائل البيان على ما يبدو من تباعد بين أطرافها، وأهم خصائص أسلوب القرآن:

١)القصد في اللفظ، والوفاء بحق المعنى.

"فانظر حيث شئت من القرآن الكريم، تجد بيانًا قد قُدِّرَ على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحسّ بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقتير"(٢)

٢)خطاب العامة وخطاب الخاصة:

وهاتان غايتان أخريان متباعدتان عند الناس. ويبيّن أن مخاطبة العامة غير مخاطبة الخاصة الذين تكفيهم الإشارة، ثمّ يقول عن القرآن: "فهو متعة العامة والخاصة على السواء. ميسّر لكل من أراد".(٣)

٣)إقناع العقل وإمتاع العاطفة:

يتساءل عن الذي يجمع بين هذين ويجيب: ذلك الله ربّ العالمين. فهو الذي لا يشغله شأن عن شأن. وهو القادر على أن يخاطب العقل والقلب معًا بلسان، وأن يمزج الحق والجمال معًا يلتقيان ولا يبغيان"(٤)

---

(١)دراز :د.محمد عبد الله ، النبأ العظيم/ دار القلم (1376هـ–1957م) ص:79.

(٢)النبأ العظيم:109-111.

(٣) المصدر السابق:113.

(٤) المصدر السابق :113-116.

٤) البيان والإجمال:

بيان القرآن شافٍ، يأتي على قدر الحاجة، إن أطنب فلغرض لايفيه الاّ الإطناب، وإن أجمل لم يضيع المعنى، ينهل منه كلٌّ ذي حاجة على قدر حاجته، يقول لهؤلاء وهؤلاء: ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء:84]"[١]

المطلب الثالث: الإعجاز القرآني عند سيّد قطب[٢]

التصوير الفني عند سيد قطب:

يقول نعيم الحمصي عن الإعجاز عند سيد قطب: "من خير من كتب في موضوعات القرآن في هذا العصر سيد قطب، ولم يؤلف كتابًا خاصًا في الإعجاز، ولم يتكلم عليه صراحة في كتابيه (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن)، ولكن قارئ الكتابين يشعر بأنه يؤمن بالإعجاز إيمانًا عظيمًا عميقًا، ويبيّن بالأمثلة التي يأتي بها من القرآن سحره الفني، الذي يرادف في حقيقة الأمر إعجازه البياني. وقد تكلم عن الإعجاز صراحة في تفسيره (في ظلال القرآن) وذلك خلال تفسيره آيات التحدي في القرآن"[٣]

وفي كتابه التصوير الفني يعرض لوجه يتميز به القرآن عن سائر الكلام فيقول عن التصوير الفني: "هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصورة المحسّة المُتخيّلة عن: المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركات المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية، وأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردّها شاخصة حاضرة فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها عناصر التخييل."[٤]

---

(١) انظر المصدر السابق:117-118.

(٢)قطب: هو سيد قطب إبراهيم (1324-1387هـ/1906-1966م) مفكر إسلامي مصري، له مؤلفات كثيرة منها: في ظلال القرآن الكريم، التصوير الفني في القرآن الكريم، وغيرها. (الأعلام 147/3) ورجح د.صلاح الخالدي أن يكون سيد قطب هندي الأصل كما صرّح هو لأبي الحسن الندوي –رحمهم الله– وذكرها الندوي في (مذكرات سائح في الشرق العربي ص:53) (سيد قطب: من الميلاد إلى الاستشهاد ص:29-30).

(٣) فكرة إعجاز القرآن ص:343.

(٤) قطب: سيد التصوير الفني في القرآن / دار الشروق ط9 عام2000م، ص:36.

خصائص الأسلوب القرآني عند سيد قطب –رحمه الله:

تحدث سيد عن الأسلوب القرآني عند حديثه عن آية التحدي في سورة يونس: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [يونس:38].

١. **التأثير في النفوس:** يقول سيد قطب: "إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري.. إنّ له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً" [1]

٢. **استعمال الألفاظ القليلة للتعبير عن الدلالات الكثيرة:** يقول سيد قطب:" إن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا و مدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض،و ذلك بأوسع مدلول،وأدق تعبير،وأجمله وأحياه أيضاً! " [2]

٣. **الاحتمالات المتعددة الصحيحة للنص الواحد:** يقول سيد قطب:" النص الواحد يحوي مدلولات متنوعة متناسقة في النص، وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء أو اختلاط بين مدلولات، وكل قضية وكل حقيقة تنال الحيز الذي يناسبها.".[3]

٤. **استحضار المشاهد وتصويرها تصويراً دقيقاً:**" وللأداء القرآني طابع بارز كذلك في القدرة على استحضار المشاهد، والتعبير المواجه كما لو كان المشهد حاضراً، بطريقة ليست معهودة على الإطلاق في كلام البشر، ولا يملك الأداء البشري تقليدها"[4]

وجوه الإعجاز عند سيد قطب:

تحدث سيد عن الإعجاز وهو يفسر قول الله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [يونس:38]. بقوله:"وقد ثبت هذا التحدي ، وثبت العجز عنه، وما يزال ثابتاً ولن يزال. والذين يدركون بلاغة هذه اللغة، ويتذوقون الجمال الفني والتناسق فيها، يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان. وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به القرآن، يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة . كل ذلك أكبر من أن

---

(1) في ظلال القرآن 1786/3.

(2) المصدر السابق: 1787/3.

(3) المصدر السابق: 1787/3.

(4) المصدر السابق: 1787/3.

يحيط به عقل بشري واحد، أو مجموعة العقول في جيل واحد أو في جميع الأجيال، ومثلهم الذين يدرسون النفس الإنسانية ووسائل الوصول إلى التأثير فيها وتوجيهها ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه .

فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده، ولكنه الإعجاز المطلق الذي يلمسه الخبراء في هذا وفي النظم والتشريعات والنفسيات وما إليها"(١)

أقول: رغم حديث سيد قطب عن وجوه متعددة للإعجاز فإنه لم يذكر الإعجاز العلمي، وإن لم يتناوله بالغمز ، كأنه يميل إليه بتحفظ والله أعلم .

وحتى لا أهضم الرجل حقه، وأُقَوِّلَهُ ما لم يقل، أذكر بعض ما قاله من كلام نفيس عند تفسير قول الله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ [البقرة:189] قال: "وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه ، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يتخذوا منه جزيئات في علوم الطب والفلك وما إليها .. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه.

ثم يضيف: وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة ، أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي. كما أنها تنطوي على معانٍ ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم:

١. الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع.

٢. سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وهي أن حقيقته نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان.

٣. التأويل المستمر، مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن لتوافق ما يجد من نظريات ويضرب بعد ذلك أمثلة للمقبول من التفسير العلمي والمرفوض"(٢)

---

(١) في ظلال القرآن 1785/3.

(٢) المصدر السابق: 1/181-183.

المطلب الرابع: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لبنت الشاطئ[١]

يقع هذا الكتاب في نيف وستمائة صفحة، ويشتمل على موضوعين هما :

الأول: الإعجاز البياني في القرآن.

الثاني: مسائل نافع بن الأزرق.

ولما كان حديثنا عن الإعجاز فسأقف مع القسم الأول ، حيث قسمته المؤلفة إلى مبحثين،الأول عرضت فيه بعد التمهيد إلى المعجزة، وقضية الجدل والتحدي، ووجوه الإعجاز والبيان القرآني، والبلاغيون والإعجاز.

أما المبحث الثاني فتناولت فيه:فواتح السور، ودلالات الألفاظ وسر الكلمة ، والأساليب وسر التعبير.

اللاءات الثلاثة :

قبل الحديث عن هذه اللاءات يجدر بنا أن نتوقف مع الكاتبة والحروف المقطعة في فواتح السور، حيث مدحت الزمخشري في التفاته إلى ظاهرة التنصيف في هذه الحروف [٢]، من حيث الصفات والمخارج، كما وافقت على كون هذه الحروف للتحدي وهو ما ذهب إليه الطبري وكثير من المفسرين، حيث تقول:" هذا الوجه الذي لمحه الإمام الطبري، وقال به عدد من أئمة المحققين، لغويين ومفسرين، وقرره الزمخشري ونصره أتم نصر، وأيده ابن كثير بما حكاه عن شيوخه...

هو فيما نرى أقرب ما يكون إلى طبيعة الكتاب العربي المبين في إعجاز بيانه."[٣]

وتحدثت كثيراً عن فواتح السور ودلالة ذلك على الإعجاز.

والآن مع اللاءات الثلاث:

اللاء الأولى:لا للزيادة في القرآن

تقول الكاتبة:"وباستقراء ما في القرآن من خبر (ما وليس) تلقانا كثيراً ظاهرة مجيء هذه الباء المقول بزيادتها في خبرهما المفرد الصريح غير المؤول.

---

(١) بنت الشاطئ : د. عائشة عبد الرحمن (1912م-1988م) هي مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تحاضر بالأزهر الشريف، ومن أوليات من اشتغلن بالصحافة في مصر و بالخصوص في جريدة الأهرام، وهي أول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية ، وقد عملت في جامعة القرويين في المغرب ومن مؤلفاتها: التفسير البياني للقرآن الكريم ، القرآن وقضايا الإنسان، تراجم سيدات بيت النبوة، ولها بعض الروايات من أشهرها على الجسر..وغيرها من المؤلفات.(من موقع إسلام أون لاين) – Islam On Line.

(٢) سبق الباقلانيُّ الزمخشريَّ في إشارته إلى ظاهرة التنصيف في الحروف المقطعة كما بينت ذلك سابقاً على صفحة (50) من هذا البحث.

(٣) بنت الشاطيء: عائشة عبد الرحمن،الإعجاز البياني للقرآن/ دار المعارف ط3 (1404هـ-1984م) ص: 157.

وقد أحصيت من مواضع مجيء الباء في خبر (ليس) الصريح المفرد ثلاثاً وعشرين آية، في مقابل ثلاث آيات فحسب، جاء فيها خبر ليس غير مقترن بالباء. وهي آيات:(النساء: 94، هود: 8، الرعد: 43) ولها سياقها الخاص، نتدبره بعد.

وبعد استعراضها للآيات التي ورد فيها خبر (ما) منصوباً بعد كان ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة:16]خلصت إلى القول: وأمام هذه الظاهرة الأسلوبية، من غلبة اقتران خبر (ليس، ما) بالباء لا يهون القول بأنها حرف زائد، إذ مقتضى القول بزيادتها، إمكان الاستغناء عنها واطراحها، وهو ما لا يؤنس إليه. والمفسرون يذهبون كذلك إلى أن هذه الباء الزائدة للتأكيد."[١]

اللاء الثانية :لا للتناوب بين حروف المعاني أو حذفها

وتمثل لنفي التناوب بقول الله تعالى: ﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:45] فتقول:" قيل إن حرف (في) يمكن أن يُتَأَوَل بحرف من أو اللام، على تقدير: فهم من ريبهم، أو لريبهم يترددون.

ولا يقوم أحد الحرفين مقام الحرف في النص القرآني، وليس المقصود منه التعليل المستفاد من حرف اللام.

وإنما مناط التعبير فيه هذا الانغماس والملابسة الملحوظة في ظرفية (في) "[٢]

اللاء الثالثة:لا للترادف في القرآن

عرضت المؤلفة لاختلاف العلماء في هذه القضية، ثم صرمت حبلها وقالت:" وفيما أشتغلُ به على المدى الطويل من تخصص في الدراسات القرآنية، شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها، أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلّ أو كثر من الألفاظ"[٣]

وأذكر مما فرقت به بين الكلمات المتقاربة مثالين ملخصين :

١. التصدع والتحطم:

التصدع من الصدع، والأصل فيه الشق في الأجسام الصلبة، وتستعمله العربية مجازاً في الصداع، قال تعالى: [لا يصدعون عنها ولا هم يترفون] (الواقعة: 19)، كما يستعمل معنوياً في التصدع بمعنى التفرق والتمزق.

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ص:181-183.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ص: 202 .

(٣) المصدر السابق: 215.

أما الحطم فأصله في العربية الهشم. قال تعالى: -: ﴿ **حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [النمل:18].(١)

٢. زوج وامرأة :

كلمة زوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف، حكمة وآية، أو تشريعاً وحكماً: في آية الزوجية، قال تعالى: -:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم:21].

فإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم أو ترمل، فامرأة لا زوج، وخير مثال على الفرق بينهما في زكريا– عليه السلام – حيث ذكر الحق على لسانه: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً** ﴾ [مريم:5] ، فلما تحققت الزوجية بالحمل، قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء:90].(٢)

الأساليب وسر التعبير:

تناولت الكاتبة تحت هذا العنوان أربعة أبحاث قيمة هي:

الاستغناء عن الفاعل ، والبدء بواو القسم، والسجع و رعاية الفواصل، و"لا أقسم".(٣)

المطلب الخامس: الإعجاز العلمي وزغلول النجار(٤)

يقول الدكتور زغلول النجار تحت عنوان الإعجاز العلمي:" يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما به من الكائنات (أحياء وجمادات)، وإلى صور نشأتها ومراحل تكونها، وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، السنن الإلهية التي تحكمها، وما يستتبعه كل ذلك من استخلاص للعبر

---

(١) انظر الإعجاز البياني 224-226.

(٢) انظر الإعجاز البياني : 229-231.

(٣) انظر الإعجاز البياني للقرآن: 241-285.

(٤)النجار: الأستاذ الدكتور زغلول راغب محمد النجار، أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والأجنبية، ولد بمصر سنة1933م، وتعلم القرآن على يد والده منذ الصغر، حصل على درجة الدكتوراة من جامعة ويلز/ بريطانيا عام1963م، له أكثر من150بحثاً منشوراً وأكثر من25كتاباً/ كتاب الحيوان في القرآن الكريم ص:5

وتفهّم للحكمة، وما يستوجبه من إيمان بالله وشهادة بكمال صفاته وأفعاله، وهو سبحانه وتعالى – الخالق البارئ المصّور– الذي أبدع الخلق وقدرة وحكمة لا تحدّها حدود، ولا يفيها حقها وصف.

وقد أحصى الدارسون لهذه الإشارات الكونية في كتاب الله ما يقّدر بحوالي ألف آية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة، وبدوام اتساع دائرة المعرفة الإنسانية، وتكرار تأمل المتأملين في كتاب الله، وتدبر المتدبرين لآياته جيلاً بعد جيل، وعصرًا بعد عصر– لا ينفك العلماء والمتخصصون يكتشفون من حقائق الكون الثابتة في كتاب الله ما يؤكد تحقق الوعد الإلهي الذي يقول فيه ربنا –تبارك وتعالى-: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت:53][١]

يرى الدكتور مبررات الاهتمام بهذه القضية كثيرة،أذكر أهمها باختصار:

١. لا يمكن فهم الآيات الكونية في القرآن الكريم في إطار اللغة وحدها رغم أهمية ذلك.
٢. الإعجاز العلمي هو وسيلة مقنعة بالدين الحنيف كتاباً وسنة.
٣. الاعتصام بالدين هو الوسيلة الوحيدة للوقوف في وجه العولمة،والدعوة إلى صراع الحضارات، وطغيان الفكر المادي المعادي للتدين.
٤. إنكار سماوية الإسلام، وربانية القرآن الكريم، ونبوة خاتم المرسلين ﷺ من قبل أعداء الله، لابد من مواجهته بأنجع الوسائل وهي الإعجاز العلمي.
٥. الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة أهم وسيلة لإقناع المنبهرين بالتقدم العلمي والتقنيات الحديثة، بأن هذا الدين حقّ لا ريب فيه.
٦. لابد من استخدام الإعجاز العلمي وسيلة لتبليغ دين الله عزّ وجل للناس أجمعين، لتجاوز التقصير الذي اعترانا في الدعوة إلى دين الله.
٧. الإعجاز العلمي فيه استنهاض لعقول المسلمين، واستثارة للتفكير والإبداع والتشجيع على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية التي تخلفنا فيها تخلفاً كبيرًا.
٨. القرآن الكريم خطاب البشرية جميعاً عرباً وعجماً، وهو ميسر للعرب بالإعجاز البياني، ولغير العرب بجوانب أخرى من الإعجاز.[٢]

---

(١)النجار :أ.د زغلول /قضية الإعجاز العلمي - عمان جمعية المحافظة على القرآن ط1(2006م)، ص:10-11.

(2) النجار: أ.د. زغلول الحيوان في القرآن الكريم، دار المعرفة – بيروت ط2 (1428هـ/2007م) انظرص:30-34.

وأذكر مثالاً لما ذكره د. زغلول، وذلك عند قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾[الأنعام:38]

من الدلالات العلمية للآية الكريمة :

يتعرف علماء الأحياء اليوم على أكثر من مليون ونصف مليون نوع من أنواع الأحياء التي تعمر مختلف البيئات المائية والأرضية والهوائية. وبالإضافة إلى ذلك تعرّف علماء الأحافير على أكثر من ربع مليون نوع من أنواع الحياة البائدة، وبمعدلات الاكتشافات السنوية في هذين الميدانين يقدر العلماء أن المجموع المتوقع لأنواع الأحياء على كوكبنا الأرض قد يصل إلى نحو أربعة ملايين ونصف المليون نوع. ولما كان كل نوع من هذه الأنواع يمثل ببلايين الأفراد المتزامنين والمتعاقبين —حيث إن المدى الزمني لكل نوع من أنواع الحياة يتراوح بين نصف مليون سنة وخمسة ملايين من السنين (بمتوسط مليونين وسبعمائة مائة وخمسين ألف سنة)، وإن أقدم أثر للحياة على الأرض يمتد إلى ثلاثة بلايين وثمانمائة مليون سنة، فإنه يصبح من العسير تتبع كل فرد من هذه البلايين من ملايين الأنواع مهما أوتي الإنسان من علم، ومهما توافر له من وسائل الإحصاء، ومن هنا كانت ضرورة التصنيف الذي أشارت إليه سورة الأنعام، بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾[الأنعام:38] والآية الكريمة تشير إلى أن وحدة التصنيف الأساسية هي النوع الذي ينقسم إلى جماعات تضم أعدادا من هذا النوع، تعيش في منطقة معينة من مناطق الأرض —أمة من الأمم- فبنو الإنسان ينقسمون إلى أعراق، يمثل كل عرق منها أمة من الأمم، وتنتهي هذه الأمم كلها إلى أصل واحد، وأب واحد وهو آدم —عليه السلام- الذي وصفه ربنا —تبارك وتعالى- بقوله العزيز: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾[النساء:1][1]

(١) الحيوان في القرآن الكريم ص: 45.

الفصل الثالث

جهود الإمام النورسي في الإعجاز

المبحث الأول: الإعجـــاز البيـــاني

المبحث الثاني: الإعجـــاز العلمي

المبحث الثالث: الإعجاز التشريعي

المبحث الرابع : الإعجاز الغيبـــي

بين يدي الفصل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، النبي العربي المبين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فلا يزال موضوع الإعجاز القرآني يشغل بال كثير من الباحثين، منذ بزغ فجر التأليف في الفنون الإسلامية، إلى يومنا هذا.

وقد شهد القرن الهجري الماضي، ثورة عارمة في البحث في إعجاز القرآن الكريم، وتعددت المدارس وتنوعت، فمن قاصر للإعجاز على الوجه البياني، إلى المفرط في وجوه الإعجاز، وما زالت هذه الثورة على قدم وساق إلى يومنا هذا، حيث تشكلت مؤسسات علمية لبحوث إعجاز القرآن الكريم، تبرز حجته القاطعة إلى يوم الدين !!. تحدٍّ مستمر لبني الإنسان، ليبقى هذا الكتاب مهيمناً على الكتب كلها، ويظهر هذا الدين على الدين كله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ [الإسراء:88].

تساءل الناس قديماً وحديثاً عن وجه إعجاز القرآن الكريم لغير العرب، وهل هم مخاطبون بالإعجاز البياني؟ أم هناك وجوه إعجاز أخرى هم مخاطبون بها؟، ويجيب أستاذنا بديع الزمان النورسي عن هذا التساؤل، فيقول: "إن القرآن الكريم لا يدع أحداً محروماً من تذوق إعجازه، فلكل طبقة من أربعين طبقة من الطبقات المتباينة للناس لهم حظهم من هذا الإعجاز أو يشعرهم القرآن بإعجازه."(١)

و يقول أيضاً عن القرآن الكريم :" فإن بياناته المعجزة التي تخص حقيقة الموجودات (تلك الحقيقة التي تعود إلى شجرة الخلق الممتدة من بدء الدنيا إلى نهاية الآخرة، والمنتشرة من الفرش إلى العرش و من الذرات إلى الشموس) قد حافظت ـــ تلك البيانات الفرقانية ـــ على الموازنة و التناسب، وأعطت لكل عضو من الأعضاء و لكل ثمرة من الثمرات صورة تليق بها، بحيث خَلُص العلماء المحققون ـــ لدى إجراء تحقيقاتهم وأبحاثهم إلى الانبهار والانشداه قائلين :ما شاء الله ، بارك الله . إنّ الذي يحل طلسم الكون ويكشف معمّى الخلق إنما هو أنت وحدك أيها القرآن الحكيم !".(٢)

---

(١)النورسي: سعيد رسائل النور- المكتوبات 240/2.

(٢)النورسي: سعيد رسائل النور – ذو الفقار، ص:98.

الخطاب القرآني لا يستثني أحداً من الناس، ويقيم الحجة عليهم جميعاً، يدعوهم إلى اللجوء إليه لحل المشكلات البشرية الغارقة في أوحال المادية، لتنفض التعاسة عن وجه الحياة بعيداً عن الظلم والطغيان السائدان في الأرض.

العلماء المسلمون مدعوون اليوم لتقديم القرآن للناس بلسماً شافياً، حجةً دامغة تبدد ظلام المدنية الحديثة، لتهتدي البشرية جميعها به إلى معرفة الحق، تنتهج منهج الخير، فتهتدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً** ﴾ [الإسراء:9].

وقد بذل الإمام بديع الزمان النورسي —رحمه الله– عصارة فكره، ومهجة قلبه ليقدم القرآن، حجةً دامغةً، ودليلاً قاطعاً، كتاباً معجزاً للناس أجمعين. وهذا ما أسعى إلى إبرازه في هذا الجهد المتواضع، خدمة لكتاب الله أولاً، وإظهاراً لجهد الإمام ثانياً. والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول
الإعجاز البياني

قد ألف الإمام النورسي –رحمه الله- كتابه (إشارات الإعجاز) للبحث في نظم القرآن، وبيان إعجاز هذا النظم، حيث صرح عن هذا المقصد في التقديم لـــ(إشارات الإعجاز) قائلاً: "إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن، لأن الإعجاز يتجلى من نظمه. وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم."[١]

رسم الإمام النورسي –رحمه الله- الإطار الذي يبين فيه وجه إعجاز النظم القرآني وتميزه عن غيره، بهذه المسائل الاثنتي عشرة، وجعلها أساس البلاغة التي يحكم من خلالها على الكلام.

وإذا تتبعنا هذه المسائل نجد أن بلاغة القرآن لا تقف على تركيب الألفاظ والمفردات وما تحويه من استعارات وتشبيهات، أو على الرابط الذي يربط بين الألفاظ والمعاني، وما يتبع ذلك من مرام ومقاصد، بل يهتم بالمقام الذي صدر عنه الكلام، فالقرآن الكريم صادر من مقام الألوهية مما يضفي عليه قداسة، تجعل الانقياد له أمراً محتوماً، لما للإله سبحانه وتعالى من مهابة في النفوس، ليبقى الخطاب القرآني متميزاً لا مطمع لمماثلته من أحد من البشر، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نـزلنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة:23-24].

يقول الإمام النورسي: "أما بعد، فاعلم!

أولاً: إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن، لأن الإعجاز يتجلى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم."[٢]

والإمام بهذا الكلام الجزل يقدم الإعجاز البياني القائم على النظم على ما سواه من وجوه الإعجاز الأخرى، ولإيضاح هذا الإعجاز يقدم اثنتي عشرة مسألة لتحديد معنى الكلام البليغ، فيقول: "ثمّ إني استخرجت –فيما مضى من الزمان- من أسّ أساس البلاغة مقدمة لبيان إعجاز القرآن ثنتي عشرة مسألة."[٣]

---

(١) المصدر السابق: 23/5.

(٢) إشارات ا لإعجاز في مظان الإيجاز:23/5.

(٣)المصدر السابق:118/5.

المطلب الأول: أساس البلاغة عند النورسي.

وسأعرض هذه المسائل وفق ترتيبها الذي ارتآه المؤلف –رحمه الله– :

الأولى: المعاني أساس البلاغة.

"إن منشأ نقوش البلاغة إنما هو نظم المعاني دون نظم اللفظ، كما جرى عليه اللفظيون المتصلفون، وصار حب اللفظ فيهم مرضاً مزمناً إلى أن ردّ عليهم عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وحصر على المناظرة معهم أكثر من مائة صحيفة."(١)

ويعزو تقديم اللفظ على المعنى إلى دخول الأعاجم والدخلاء في صفوف الأدباء فيقول: "وبناء على هذا فإنّ نظم اللفظ الذي هو أرض قاحلة جرداء لا تصلح لأن تكون مسيلاً لجريان الأفكار ومنبتاً لأزاهير البلاغة، اعترض مجرى البلاغة الطبيعي وهو نظم المعنى فشوش البلاغة." (٢)

ويمثل لذلك بمقامات الحريري الذي استهواه حب اللفظ فأخل بأدبه الرفيع.

أقول: الألفاظ ظروف المعاني والترابط بينهما وثيق، ولما كانت البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال، فلا بد من مناسبة بين المعنى واللفظ ، وقد أحسن الخطابي لما بيّن أنّ الكلام يقوم على لفظٍ حامل ومعنىً به قائمٍ ورباط لهما ناظم.(٣)

الثانية : التصوير الفني وسحر البيان

"إن السحر البياني إذا تجلى في الكلام، صيّر الأعراض جواهر، والمعاني أجساماً، والجمادات ذواتِ أرواحٍ والنباتات عقلاء، فيوقع بينها محاورة قد تنجر إلى المخاصمة وقد توصل إلى المطايبة، فترقص الجمادات في نظر الخيال." (٤)

أقول: هذا كلام نفيس يقدمه الإمام النورسي، يتفق مع ما ذهب إليه سيد قطب – رحمهما الله– في نظرية التصوير الفني من التخييل الحسي القائم على التشخيص .

---

(١) المصدر السابق:118/5.

(٢) صيقل الإسلام : 98/8.

(٣) انظر ثلاث رسائل في الإعجاز، ص: 27.

(٤) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز :119/5

يشترط الإمام النورسي لهذا الخيال أساساً من الحقيقة :" ولا بد في كل خيال من نواة من الحقيقة نظير هذا المثال، ولا بد في زجاجة كل مجاز من سراج الحقيقة."(١) والمثال:

تشكّي الأرضُ غيبتَــهُ إليــه وتَرشُفُ ماءه رشْفَ الرِّضابِ (٢)(٣)

فهذه الصورة إنما تسنبلت على تصوٌّت الأرض اليابسة بنزول المطر بعد تأخر.

أقول: لم يذكر الإمام النورسي مثالاً من القرآن الكريم أيضاً وهذا أمرٌ غير مقبول منه.

ومثاله من كتاب الله عزَّ وجلّ ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ** ﴾ [الكهف:77]، فالتعبير القرآني يخلع الحياة على الجدار ويمنحه إرادة.

الثالثة : الأسلوب والكلام.

"اعلم! أن كمال الكلام وجماله وحلته البيانية بأسلوبه. وأسلوبه صورة الحقائق وقالب المعاني، المتخذ من قطعات الاستعارة التمثيلية."(٤)

ويبين فائدة الأسلوب، فيقول:" فالأسلوب بهذا قالب الكلام كما هو معدن جماله ومصنع حلله الفاخرة. فكأن المتكلم ينادي بإرادته –التي تنبه العقل- فيوقظ المعاني الراقدة في زوايا القلب المظلمة، فتخرج حفاةً عراةً وتدخل الخيال الذي هو محل الصور."(٥)

ومن أمثلته التي ذكرها، قول الله تعالى: ﴿ **حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾[يس:39].

أقول: الاستعارة التمثيلية تقوم على تشبيه صورة بصورة ، وهنا شبه القمر في أ واخر الشهر القمري بضلع النخل اليابس القديم، فالشبه بينهما الدقة والصفرة والانحناء.

الرابعة : منابع قوة الكلام.

"إن قوة الكلام وقدرته أن تتجاوب قيوده وتتعاون كيفياته، ويمد كلّ بقدره مشيراً إلى الغرض الأصلي ويضع إصبعه على المقصد."(٦)

---

(١) المصدر السابق: 120/5.

(٢) البيت للمتنبي من ديوانه 263/1. بشرح أبي البقاء العكبري- ضبط مصطفى السقا ورفاقه- دار المعرفة / بيروت

(٣) الرّضاب : الريق أو الريق المرشوف /المعجم الوسيط : 349/1.

(٤) إشارات الإعجاز 120/5.

(٥) صيقل الإسلام : 100/8.

(6) إشارات الإعجاز: 121/5. صيقل الإسلام :101/8

ويوضح ذلك بقوله: "فتأمل في كلام رب العزة :﴿ **وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء:46].

المسوقة للتهويل، وتخويف الإنسان، وتعريفه بعجزه وضعفه. فبناء القاعدة البيانية :" ينعكس الضد من الضد" ترى الآية الكريمة تبين تأثير القليل من العذاب بقصد التهويل والتخويف، فكل طرف من الكلام يمد المقصد، وهو التقليل عن جهته وذلك بـــ :

التشكيك والتخفيف في لفظ (إن).

والمسّ وحده دون الإصابة في (مسّت).

والتقليل والتحقير في مادة (نفحة) وصيغتها وتنكيرها.

التبعيض في (من).

والتهوين في (عذاب) بدلاً من نكال.

وإيماء الرحمة في (ربك).

كل ذلك يهول العذاب ويعظمه بإراءة القليل، إذ إن كان قليله هكذا فكيف بعظيمه... نسأل الله العافية"[١]

أقول: قد أحسن النورسي أيما إحسان، وهو يبين تعاضد الكلمات القرآنية بأسمائها وأفعالها وحروفها لإعطاء المعنى المراد، وهذا يدعو علماء التفسير للتدبر والسؤال الدائم لماذا إزاء كل لفظة من كتاب الله.

الخامسة : الدلالات واللطائف

"اعلم! أن غناء الكلام وثروته ووسعته هو أنه كما أن أصل الكلام يفيد أصل المقصد، كذلك كيفياته وهيئاته ومستتبعاته تشير وترمز وتلوح إلى لوازم الغرض وتوابعه وفروعه، فكأنما تتراءى طبقة بعد طبقة، ومقاماًخلف مقام، وإن شئت مثالاً تأمل في ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ** ﴾ [البقرة:11] ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [البقرة:14] على الوجه المفسر سابقاً."[٢]

حيث ذكر توضيح ذلك عند تفسير: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ** ﴾ [البقرة:11] فيقول: "القطعية في (إذا) إشارة إلى لزوم النهي عن المنكر ووجوبه، وبناء المفعول في (قيل) رمز إلى أن النهي فرض كفاية على العموم.

---

(١) صيقل الإسلام : 102/8.

(٢) إشارات الإعجاز : 122/5.

وفي لام (لهم) إيماء إلى أن النهي لا بد أن يكون على وجه النصيحة دون التحكم، والنصيحة على وجه اللطف دون التقريع... .

و (لا تفسدوا) فذلكة وخلاصة لصورة قياس استثنائي [1]،أي لا تفعلوا هكذا، وإلا نشأ منه الهرج والمرج، فينقطع خيط الإطاعة، فيشوش نظام العدالة فتنحل رابطة الإتفاق، فيتولد منه الفساد، فلا تفعلوا لئلا تفسدوا.

ولفظ (في الأرض)تأييد وتأكيد للنهي، وإدامة للزجر،إذ نهي الناصح موقت لا بد من إدامته في ذهن المنصوح بتوكيل وجدانه، ليزجره دائماً من تحته.وهو إما بتحريك عرق الشفقة الجنسية،وإما بتهييج عرق التنفر من نفرة العموم.

و(في الأرض) هو الذي يوقظ العرقين وينعشهما.[2]

أقول: الإمام النورسي يختط طريقاً مهماً في توظيف الألفاظ لتحقيق المعاني، يرى ما وراء اللفظ متمثلاً قول الله تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد:24].

السادسة : مطابقة الكلام لمقتضى الحال

"فمن شأن البليغ أن يفيد بصريح الكلام ما تعلق به الغرض واقتضاه المقام، وطلبه المخاطب" أي لا يكون الكلام بليغاً حتى يكون مفيداً، ولا يكون مفيداً حتى يبين الغرض منه مع مراعاة المقام.

ويضيف:"ثمّ يحيل الطبقات الأخر- بمقدار نسبة درجة القرب من الغرض على دلالة القيود، وإشارة الفحوى، ورمز الكيفيات، وتلويح مستتبعات التراكيب وتلميح الأساليب، وإيماء أطوار المتكلم.

ويضرب لذلك الأمثلة: كالتحسر في ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ [آل عمران: 36]، التأسف في ليت الشباب.......إلخ" .[3]

أقول: يريد النورسي أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، تتحقق منه الفائدة صراحة، بالابتعاد عن التعقيد والتقعر في الألفاظ، وإذا أضيفت القيود على المسند والمسند إليه لإفادات أخرى يستنبطها المتدبر لآيات الله –عزّ وجل-.

---

(١) القياس الاستثنائي:ما يكون عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه بالفعل. الشريف علي ابن محمد الجرجاني كتاب التعريفات ص:181، /دار الكتب العلمية- بيروت ط3 1408هـ - 1988م.

(٢) إشارات الإعجاز : 5/99-100.

(٣) إشارات الإعجاز : 5/122-123.

السابعة : الحقيقة والمجاز.

"اعلم: أن الخيال المندمج في أسلوب لا بد أن يتسنبل [١] على نواة حقيقةً، ويكون كالمرآة في أن ينعكس به —في المعنويات– القوانين والعلل المندرجة في سلسلة الخارجيات.

وفلسفة النحو التي هي المناسبات المذكورة في كتبه أيضاً من هذا القبيل، كما يقال: الرفع للفاعل لأن القوي يأخذ القوي. وقس عليه....."[٢]

ويوضح ذلك: "نعم! لو لم تكن في الكلام حقيقة، ففي الأقل لا بد فيه من شبيه للحقيقة، وما يستمد من نظامها والتسنبل على نواتها، ولكن لكل حبة سنبلها الخاص فلا تتسنبل الحنطة شجرة.

فإن لم تأخذ فلسفة البيان بنظر الاعتبار، فالبلاغة تكون كالخرافة، لا تغني السامع غير الحيرة."[٣]

الثامنة : التناوب بين حروف المعاني.

"اعلم!أن سيبويه[٤] نص على أن الحروف تتعدد معانيها كـــ(من) و(إلى) و(الباء) ، وغيرها، أصل المعنى فيها واحد لا يزول، لكن باعتبار المقام والغرض قد يتشرب معنى معلقاً، ويجذبه إلى جوفه، فيصيرالمعنى الأصلي صورة وأسلوباً لمسافره. وكذلك إن العارف بفقه اللغة إذا تأمل عرف أن اللفظ المشترك في الأغلب معناه واحد، ثمّ بالمناسبات وقع تشبيهات ثمّ منها مجازات....ثمّ منها حقائق عرفية... ثمّ يتعدد. [٥]

أقول: أراد بذلك أن حروف المعاني، كل منها يعود إلى معنى واحد، ولكنه قد يضمن معنى حرف آخر بالاستعمال، (في) ظرفية أو (على) للاستعلاء، كما في قول الله تعالى :﴿ **وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾ [طه:71] حيث ضمن في معنى على.

---

(١) يتسنبل: سنبل الزرع أخرج سنبله المعجم الوسيط 453/1، ويريد المؤلف في هذا الكلام أنه لا بد أن يستند المعنى المجازي إلى المعنى الحقيقي كالسنبلة تنبت من حبة القمح.

(٢) إشارات الإعجاز 123/5.

(٣) صيقل الإسلام : 108/8.

(4) هو عمرو بن عثمان، أمام نحاة البصرة ، ولد بالبيضاء من مدن شيراز نشأ بالبصرة ودرس النحو على الخليل الفراهيدي، ورد بغداد فناظر أمام نحاة الكوفة الكسائي فحكم بانتصاره عليه، فأسف وعاد إلى موطنه، وألف كتابه الذي هو أصل النحو وفيات الأعيان– ابن خلكان. توفي سنة180هـــ.

(٥) إشارات الإعجاز 123/5.

وأما المشترك اللفظي فيبين حده السيوطي [١] فيقول: "وقد حدّه أهل الأصول بأنه الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة."[٢]

"وقد ذكر ابن فارس في معجم المقاييس في اللغة معاني مختلفة لكلمة العين."[٣]

التاسعة : المناسبة بين الكلمات والجمل.

"اعلم! أعلى مراتب البلاغة أن يحافظ ويراعي وينظر المتكلم دفعةً نسب قيود الكلام، وروابط الكلمات، وموازنة الجمل التي يظهر كلّ مع الآخر نقشاً متسلسلاً إلى النقش الأعظم، حتى كأن المتكلم استخدم عقولاً إلى عقله.

ويضيف: "وأيضاً من أسباب علو الكلام أن يكون كشجرة النسب، يتسلسل متناسلاً إلى المقاصد التي تتدلى على المقام والغرض...وأيضاً من أسباب رفعة طبقة الكلام أن يكون مستعداً لاستنباط كثير من الفروع والوجوه كقصة موسى على نبينا وعليه السلام."[٤]

العاشرة : المناسبة بين المعنى العام والمعاني الجزئية.

"اعلم! أن سلاسة الكلام المنتجة للطافته وحُلوه هو أن تكون المعاني والحسيات المندمجة فيه ممتزجة تتحد، أو مختلفة تنتظم، لئلا تتشرب الجوانب قوة الإفادة والغرض، بل يجذب المركز القوة من الأطراف...وأيضاً من السلاسة أن يتعين المقصد...وأيضاً منه أن يتظاهر ملتقى الأغراض."[٥]

الحادية عشرة : التناسب بين الكلام ودلائله.

"اعلم! أن سلامة الكلام التي هي سبب صحته وقوته هي: أن يكون الكلام بحيث يشير إلى المبادئ والدلائل، ويرمز إلى اللوازم والتوابع، وبقيود الموضوع والمحمول وكيفياتهما يومئ إلى ردّ الأوهام ودفع الشبهات، كأن كل قيد جواب لسؤال مقدر وإن شئت مثالاً عليه فعليك بفاتحة الكتاب."[٦]

---

(١) الجلال السيوطي: (849-911هـ، 1445-1505م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي إمام وحافظ مؤرخ أديب له نحو (600 مصنف) منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة /الأعلام:301/3، وزاد صاحب معجم المؤلفين الطولوني المصري الشافعي عالم مشارك في أنواع من العلوم من مؤلفاته: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المزهر في اللغة، الجامع الصغير في الحديث، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة./ معجم المؤلفين 128/5، وللمزيد انظر 128-131.

(٢)السيوطي: العلامة جلال الدين عبد الرحمن ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،شرحه وضبطه وصححه وعنوّن موضوعاته وعلّق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر 369/1،.

(٣) انظر معجم المقاييس الصفحات 725-728.

(٤) إشارات الإعجاز: 124/5.

(٥) إشارات الإعجاز: 124/5.

(٦) المصدر السابق : 124/5.

وتوضيح ذلك في بيان مقاصد القرآن الأربعة كما بينها الإمام النورسي وهي: (التوحيد والنبوة والحشر والعدالة)، في قوله تعالى:﴿ **بسم الله** ﴾، حيث يقول:" لما أُنـــزل ﴿ **بسم الله** ﴾ لتعليم العباد كان ﴿**قُلْ**﴾، مقدراً فيه وهو الأم في تقدير الأقوال القرآنية. فعلى هذا يكون في ﴿ **قُلْ**﴾ إشارة إلى الرسالة، وفي ﴿ بسم الله ﴾ رمز إلى الألوهية... وفي تقديم الباء تلويح إلى التوحيد...وفي (الرحمن) تلميح إلى نظام العدالة والإحسان...وفي ﴿ **الرحيم** ﴾ إيماء إلى الحشر."[١]

الثانية عشرة : أنواع الأساليب.

"اعلم! أن الأساليب ثلاثة أنواع :

أحدها: الأسلوب المجرد، الذي لونه واحد، وخاصته الاختصار والسليقية والسلامة والاستقامة، فهو أملس سوي، ومحل استعماله المعاملات والمحاورات والعلوم الآلية.

والثاني: الأسلوب المزين، وخاصته التزيين والتنوير، وتهييج القلب بالتشويق أو التنفير، والمقام المناسب له الخطابيات كالمدح والذم وغيرهما، والإقناعيات ونظائرهما.

والثالث: الأسلوب العالي، وخاصته الشدة والقوة والهيبة والعلوية الروحانية، ومقامه المناسب الإلهيات والأصول والحكمة. وإن شئت مثلاً بيناً وتمثالاً معجزاً فعليك بـــ "القرآن." فإن فيه ما لاعين رأت ولا خطر على قلب بليغ."[٢]

منابع الإعجاز :

يبرز الإمام النورسي –رحمه الله– أربعة عناصر تتضافر لإبراز جمال القرآن فيقول: "انظر إلى من قال؟ ولمن قال؟ ولما قال؟ وفيما قال؟

نعم! إنّ منابع علو طبقة الكلام، وقوته وحسنه وجماله أربعة:

المتكلم، والمخاطب، والمقصد،والمقام، لا المقام فقط...كما ضل فيه الأدباء وكذا إنّ الكلام لفظُه ليس جسداً بل لباسٌ له، ومعناه ليس روحاً بل بدن له، وما حياته إلا من نية المتكلم وحسّه. وما روحه إلّا معنًى منفوخٌ من طرف المتكلم.

فالكلام إن كان أمراً أو نهياً فقد يتضمن الإرادة والقدرة ، بحسب درجة المتكلم، فتتضاعف علوية الكلام وقوته."[٣]

---

(١) المصدر السابق: 124/5.

(٢) إشارات الإعجاز: 125/5.

(٣) المثنوي العربي النوري : 156/6.

ويضرب لذلك مثالاً، فيقول:

نعم! أين صورة أمر فضولي ناشئ من أماني التمني وهو غير مسموع، وأين الأمر الحقيقي النافذ المتضمن للإرادة والقدرة؟ فانظر أين ﴿ **يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي** ﴾[هود:44] ، وأين خطاب البشر للجمادات كهذيان المبرسمين(١): "اسكني يا أرض وانشقي يا سماء وقومي يا أيتها القيامة" وكذا أين أمر أمير مطاع لجيش عظيم مطيع بـــ(آرش!...) -بمعنى تقدموا- واهجموا على أعداء الله، فهجموا وغلبوا، ثمّ أين هذا الأمر إذا صدر من حقير لا يُبالى به وبأمره.(٢)

أقول: قوله (اسكني يا أرض وانشقي يا سماء...) لا يستقيم مع معنى الآية السالفة ال ذكر، بل يتفق معها انشقي يا أرض، واسكني يا سماء...

المطلب الثاني: اللفظ والمعنى عند النورسي

يرسم الإمام النورسي –رحمه الله- لوحة متناسقة لعناصر البيان المختلفة، فيقول: "كما أن اللفظ مرضٌ، كذلك حب التصوير، وحب الأسلوب، وحب التشبيه، وحب الخيال، وحب القافية مرض مثله. بل ستكون هذه الأمراض بالإفراط أمراضاً مزمنة في المستقبل، كما تبدو البوادر من الآن. حتى يضحى بالمعنى في سبيل ذلك الحب، بل بدأ كثير من الأدباء بإساءة الأدب والأخلاق لأجل نادرة ظريفة، أو لإتمام قافية رنانة.

نعم! اللفظ يُزيِّن ولكن إذا اقتضته طبيعة المعنى وحاجته...وصورة المعنى تُعظِّم وتعطي مهابة ولكن إذا أذن بها المعنى...والأسلوب ينوِّر ويلمِّع ولكن إذا ساعده استعداد المقصود...والتشبيه يلطّف ويجمّل ولكن إذا تأسس على علاقة المقصود وارتضى به المطلوب...والخيال" ينشّط ويسيّح ولكن إذا لم يؤلم الحقيقة، ولم يثقل عليها، وأن يكون مثالاً للحقيقة متسنبلاً عليها"(٣)

أقول: لا يكون اللفظ مرضاً، إلا إذا كان المعنى تبعاً له.

بلاغة القرآن معجزة :

"هذه البلاغة المعجزة نبعت من جزالة نظم القرآن وحسن متانته، ومن بداعة أساليبه وغرابتها وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه و صفوته، ومن قوة معانيه وصدقها، ومن فصاحة ألفاظه وسلاستها."(٤)

---

(١) البرسام: ذات الجنب، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة والمبرسم هو الذي بالبرسام أصيب. المعجم الوسيط49/1.

(٢) المثنوي العربي النوري : 156/6-157.

(٣) صيقل الإسلام : 98/8-99.

(٤) الكلمات : 424/1.

وجه الإعجاز في البلاغة:

ثمّ يقول: ونشير إلى وجه الإعجاز في بلاغته بصورتين :

الصورة الأولى: فصاحة العرب

العرب الذين نـــزل فيهم القرآن كانوا في أغلبهم أميين، يحفظون مفاخرهم وأمثالهم وحكمهم في شعرهم وبليغ كلامهم، ويتشافهون ذلك دون كتابة، فكانت الفصاحة والبلاغة بضاعتهم الغالية في أسواقهم، ومدار اعتزازهم، حتى وصل بهم الأمر إلى كتابة قصائدهم بماء الذهب وتعليقها على جدار الكعبة.

ونـــزل القرآن في هذه البيئة القمة في البلاغة، يتحداهم أن يأتوا بمثله، يتوعدهم بالعذاب، يكسر غرورهم ويستخف بعقولهم.

لو كانت معارضة القرآن ممكنة، لما عدل القوم إلى المقارعة بالسنان، بدل الرد باللسان، وهم من هم في الفصاحة والبلاغة، فمعارضة القرآن تعني الانتصار ، وتخلي القرآن عن دعوته، رغم وجود دافِعَين غاية في القوة:

الأول: حرص الأعداء على معارضته.

الثاني: شغف الأصدقاء على تقليده.

ودليل عدم المعارضة هو عدم اشتهار ذلك بين الناس، فقد سجل العرب خصاما بسيطًا بأشعارهم، فكيف يتركون صراعًا كهذا بلا تسجيل.

أما محاولات مسيلمة الكذاب فمحكوم عليها بالفشل ، لأن مقارنتها ببلاغة القرآن، تدل على سخافتها وعدم قيامها على ساق.

ويختم بديع الزمان كلامه على هذه الصورة بقوله: " وهكذا فالإعجاز في بلاغة القرآن يقين ، كيقين حاصل ضرب الاثنين في اثنين يساوي أربعاً. "[١]

الصورة الثانية: بيان القرآن

بلاغة القرآن هي الأساس في الإعجاز، ذكر ذلك الخطابي، والرماني، والباقلاني، والجرجاني، وغيرهم، وكلٌّ منهم رأى إعجاز البلاغة ينبع من عناصر معينة، وكذلك الإمام النورسي، رأى بلاغة القرآن تنبع من جزالة نظمه، وبداعة أساليبه، وبداعة بيانه، وسعة معانيه، وفصاحة ألفاظه، يقول الإمام النورسي:

---

(١) انظر الكلمات: 1/ 424-426.

"سنبين حكمة الإعجاز في بلاغة القرآن بخمس نقاط:

النقطة الأولى: الجزالة الخارقة في نظم القرآن.

إن في نظم القرآن جزالة خارقة:

وقد بين كتاب (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) من أوله إلى آخره هذه الجزالة والمتانة في النظم، إذ كما أن عقارب الساعة العادة للثواني والدقائق والساعات يكمل كل منها نظام الآخر، كذلك النظم في هيئات كل جملة من جمل القرآن، والنظام الذي في كلماته، والانتظام الذي في مناسبة الجمل كل تجاه الآخر.

وقد ساق الإمام النورسي –رحمه الله– مثالين لتوضيح ذلك، الأول قول الله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾[الأنبياء:46] وقد ذكرته فيما مضى (ص:81) ولا داعي للإعادة، والثاني قول الله تعالى: ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [البقرة:3] فيقول: "فهيئات هذه الجملة تشير إلى خمسة شروط لقبول الصدقة:

الشرط الأول: المستفاد من (من) التبعيضية في لفظ (مما) أي: أن لا يبسط المتصدق يده كل البسط فيحتاج إلى الصدقة.

الشرط الثاني: المستفاد من لفظ (رزقناهم) أي: أن لا يأخذ من زيد ويتصدق على عمرو، بل يجب أن يكون من ماله، بمعنى: تصدقوا مما هو رزق لكم.

الشرط الثالث: المستفاد من لفظ (نا) في (رزقنا) أي: لا يمن فيستكثر، أي لا منة لكم في التصدق، فأنا أرزقكم، تنفقون من مالي على عبدي.

الشرط الرابع: المستفاد من (ينفقون) أي: أن ينفقوا على من يضعه في حاجاته الضرورية ونفقته، وإلا فلا تكون الصدقة مقبولة على من يصرفها في السفاهة.

الشرط الخامس: المستفاد من (رزقناهم) أيضًا. أي: يكون التصدق باسم الله، أي: المال مالي فعليكم أن تنفقوه باسمي.

ومع هذه الشروط هناك تعميم في التصدق، إذ كما أن الصدقة تكون بالمال، تكون بالعلم أيضًا، وبالقول والفعل والنصيحة كذلك، وتشير إلى هذه الأقسام كلمة (ما) التي في (مما) بعموميتها، وتشير إليها في هذه الجملة بالذات، لأنها مطلقة تفيد العموم."[١]

---

(١) الكلمات : 427/1-428.

النقطة الثانية: البلاغة الخارقة في معناه

إذا شئت أن تتذوق بلاغة المعنى في الآية الكريمة: ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[الحديد:1] فانظر إلى هذا المثال الموضح في "الكلمة الثالثة عشرة" حيث يقول: "إذا شئت أن تشاهد وتتذوق كيف تنشر كل آية من القرآن الكريم نور إعجازها وهدايتها، وتبدد ظلمات الكفر كالنجم الثاقب، تصوّر نفسك في ذلك العصر الجاهلي، وفي صحراء تلك البداوة والجهل ، فبينا تجد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة، وغشيه ظلام الجهل ولُفّ بغلاف الجمود والطبيعة، إذا بك تشاهد وقد دبّت الحياة في تلك الموجودات الهامدة أو الميتة في أذهان السامعين، فتنهض مسبحةً ذاكرةً الله بصدى قوله تعالى: ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الجمعة:1] وما شابهها من الآيات الجليلة.

ثم إن وجه السماء المظلمة التي تستعر فيها نجوم جامدة، تتحول في نظر السامعين، بصدى قوله تعالى:﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ** ﴾ [الإسراء:44] إلى فم ذاكر لله، كل نجم يرسل شعاع الحقيقة ويبث حكمة حكيمة بليغة.

وكذا وجه الأرض التي تضم المخلوقات الضعيفة العاجزة تتحول بذلك الصدى السماوي إلى رأس عظيم، والبر والبحر لسانين يلهجان بالتسبيح والتقديس، وجميع النباتات والحيوانات كلمات ذاكرة مسبّحة، حتى لكأن الأرضَ كلَّها تنبض بالحياة.

ويضيف: وهكذا بانتقالك الشعوري إلى ذلك العصر ، تتذوق دقائق الإعجاز في تلك الآية الكريمة. وبخلاف ذلك تحرم من تذوق تلك الدقائق اللطيفة في الآية الكريمة"(١)

أقول: كثيراً ما يبدأ الإمام النورسي كلامه حول آية، ثمّ ينتقل إلى الحديث عن غيرها.

النقطة الثالثة: البداعة الخارقة في أسلوبه

"نعم، إن أساليب القرآن الكريم غريبة وبديعة، كما هي عجيبة ومقنعة، لم يقلّد أحداً قط، ولا يستطيع أحد أن يقلده. فلقد حافظ وما يزال يحافظ على طراوة أساليبه وشبابيته وغرابته مثلما نـــزل أول مرة"(٢)

وبعد حديثه عن الحروف المقطعة في فواتح السور يقول: "والآن نشير عدة إشارات إلى أساليب القرآن، باعتبار السورة، والمقصد، والآيات، والكلام، والكلمة:

(١) الكلمات: 152/1 و ذو الفقار:20-21.

(٢) المصدران السابقان: 431/1 و ص: 22.

الأسلوب في السورة:

"فمثلا: سورة "النبأ" ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ إلى آخرها، إذا أُ معن النظرُ فيها فإنها تصف وتثبت أحوال الآخرة والحشر والجنة وجهنم، بأسلوب بديع يطمئن القلب ويقنعه، حيث تبين أن ما في هذه الدنيا من أفعال إلهية وآثار ربانية متوجهة إلى كلٍّ من تلك الأحوال الأخروية.

ولما كان إيضاح أسلوب السورة كلها يطول علينا، فنشير إلى نقطة أو نقطتين منه:

تقول السورة في مستهلها إثباتا ليوم القيامة: لقد جعلنا الأرض لكم مهدًا، قد بسط بسطا جميلا زاهيًا.

والجبال أعمدة وأوتادًا، مليئة بالخزائن لمساكنكم وحياتكم .. وخلقناكم أزواجًا تتحابون فيما بينكم ويأنس بعضكم ببعض .. وجعلنا الليل ساترًا لكم لتخلدوا إلى الراحة .. والنهار ميدانًا لمعيشتكم .. والشمس مصباحًا مضيئاً ومدفئًا لكم .. وأنـــزلنا من السحب لكم ماءً با عثًّعلى الحياة يجري مجرى العيون .. وننشئ بسهولة من ماء بسيط أشياء شتى، من مزهر ومثمر يحمل أرزاقكم .. فإذًا يوم الفصل — وهو يوم القيامة ينتظركم، وإن إتيانه ليس بعسير علينا.

وبعد ذلك يشير إشارة خفية إلى إثبات ما يحدث في يوم القيامة ، من سير الجبال وتناثرها، وتشقق السموات وتهيؤ جهنم، ومنح الجنة أهلها الرياض الجميلة، وكأنه يقول: إن الذي يفعل هذه الأفعال في الجبال والأرض بمرأى منكم سيفعل مثلها في الآخرة، أي إن ما في بداية السورة من جبال تشير إلى أحوال الجبال يوم القيامة، وإن الحدائق التي في صدر السورة تشير إلى رياض الجنة في الآخرة.

فقس سائر النقاط على هذا لتشاهد علو الأسلوب ومدى لطافته "[١]

أقول: هذا بيان للمناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها.

الأسلوب والمقصد:

" ومثلاً: ﴿ **قُلْ اللّهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران 26-27].

هذه الآية تبين بأسلوب عالٍ رفيعٍ: ما في بني الإنسان من شؤون إلهية، وما في تعاقب الليل والنهار من تجليات إلهية، وما في فصول السنة من تصرفات ربانية، وما في الحياة والممات والحشر والنشر الدنيوي على

---

(١) الكلمات: 1/432-433، ذو الفقار 23- 24.

وجه الأرض من إجراءات ربانية .. هذا الأسلوب عالٍ وبديع إلى حد يسخّر عقول أهل النظر. وحيث أن هذا الأسلوب العالي ساطع يمكن رؤيته بأدنى نظر فلا نفتح الآن هذا الكنز"[1]

أقول: الآية الثانية برهان قاطع لما تضمنته الآية الأولى من أمور تتعلق ببني الإنسان ، فكما أن الله عز وجل يغير الظواهر المرئية من تداخل الليل والنهار، وإخراج الأحياء من الأموات فإنه هو الذي يعطي ويمنع ، ويذل ويرفع، وإن بدا لبعض الناس غير ذلك، والآيتان معاً تقصدان إثبات حقيقة أن الله هو الفعّال لما يريد.

الأسلوب والآيات:

"ومثلا قوله تعالى:﴿**إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ* وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ**﴾ [الانشقاق :1-5].

تبين هذه الآيات مدى انقياد السماوات والأرض وامتثالهما أوامر الله سبحانه، تبينها بأسلوب عالٍ رفيع، إذ كما أن قائداً عظيماً يؤسس دائرتين عسكريتين لإنجاز متطلبات الجهاد، كشُعب المناورة والجهاد، وشُعب التجنيد والسَوق إلى الجهاد، وأنه حالما ينتهي وقت الجهاد والمناورة يتوجه إلى تينك الدائرتين ليستعملهما في شؤون أخرى، فقد انتهت مهمتهما. فكأن كلاً من الدائرتين تقول بلسان موظفيها وخدّامها أو بلسانها لو أُنطقت:

"يا قائدي أمهلنا قليلاً كي نهيئ أوضاعنا ونطهّر المكان من بقايا أعمالنا القديمة ونطرحها خارجاً.. ثمّ شرِّف وتفضّل علينا!" وبعد ذلك تقول: "فها قد ألقيناها خارجاً، فنحن طوع أمرك، فافعل ما تشاء فنحن منقادون لأمرك. فما تفعله حقّ وجميل وخير."

فكذلك السماوات والأرض دائرتان فتحتا للتكليف والامتحان، فعندما تنقضي المدة، تخلّي السماوات والأرض بإذن الله ما يعود إلى دائرة التكليف، ويقولان: يا ربنا استخدمنا فيما تريد، فالامتثال حقّ واجب علينا، وكل ما تفعله هو حقّ.

فانظر إلى سمو هذا الأسلوب الخارق في هذه الجملة أمعن النظر فيه."[2]

أقول: الإنسان ابن بيئته، وها هو الإمام النورسي يوضح بأمثلته من واقعه الجهادي في الحرب العالمية الأولى، وهو توظيف موفق لتوضيح المعاني.

---

(١)المصدران السابقان: 433/1، و ص:24.

(٢) الكلمات 433/1-434.

الأسلوب والكلام:

"ومثلا قوله تعالى :﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود : 44].

للإشارة إلى قطرة من بحر بلاغة هذه الآية الكريمة نبين أسلوبًا منها في مرآة التمثيل، وذلك أنَّ قائدًا عظيمًا في حرب عالمية شاملة يأمر جيشه بعد إحراز النصر: أوقفوا إطلاق النار ، ويأمر جيشه الآخر، كُفوا عن الهجوم. ففي اللحظة نفسها ينقطع إطلاق النار ويقف الهجوم، ويتوجه إليهم قائلاً، لقد انتهى كل شيء واستولينا على الأعداء وقد نُصبتْ راياتُنا على قمة قلاعهم ونال أولئك الظالمون الفاسدون جزاءهم وولوا إلى أسفل سافلين.

كذلك، فإنَّ السلطان الذي لا ند له ولا مثيل، قد أمر السموات والأرض بإهلاك قوم نوح. وبعد أن امتثلا الأمر توجه إليهما: أيتها الأرض ابلعي ماءَك، وأنت أيتها السماء اسكني واهدئي، فقد انتهت مهمتكما. فانسحب الماء فورًا من دون تريث، واستوت سفينة المأمور الإلهي كخيمة ضربت على قمة جبل، ولقي الظالمون جزاءهم.

فانظر إلى علو هذا الأسلوب، إذ الأرض والسماء كجنديين مطيعين مستعدين للطاعة وتلقي الأوامر. فتشير — الآية- بهذا الأسلوب إلى أن الكائنات تغضب من عصيان الإنسان ، وتغتاظ منه السموات والأرض. وبهذه الإشارة تقول: "إن الذي تمتثل السموات والأرض بأمره لا يُعصى ولا ينبغي أن يعصى" مما يفيد زجرًا شديدًا رادعًا للإنسان. فأنت ترى أن الآية جمعت ببيان موجز معجز جميل مجملٍ في بضع جمل حادثة الطوفات التي هي عامة وشاملة مع جميع نتائجها وحقائقها." (١)

الأسلوب والكلمة:

" ومثلاً: كلمة "تجري" في الآية الكريمة: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس:38].

تفتح نافذة لأسلوب عالٍ- كما أثبت في ختام الكلمة التاسعة عشرة- وذلك:

أنَّ لفظ "تجري" الذي يعني دوران الشمس، يفهّم عظمة الصانع الجليل بتذكيره تصرفات القدرة الإلهية المنتظمة في دوران الصيف والشتاء، وتعاقب الليل والنهار، ويلفت الأنظار إلى المكتوبات الصمدانية التي كتبها قلم القدرة الإلهية في صحائف الفصول، فيعلّم حكمة الخالق ذي الجلال.

---

(١) الكلمات : 434/1، ذو الفقار ص: 25-26.

وأنَّ قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً** ﴾ [نوح : 16] أي مصباحًا، يفتح بتعبير "سراجًا" نافذة لمثل هذا الأسلوب، وهو:

أنه يُفهِّم عظمة الصانع وإحسان الخالق بتذكيره: أن هذا العالم كأنه قصر، وأنَّ ما فيه من لوازم وأطعمة وزينة قد أعدت للإنسان وذوي الحياة، وأن الشمس أيضًا ما هي إلا مصباح مسخر. فيبين بهذا دليلاً للتوحيد، إذ الشمس التي يتوهمها المشركون أعظم معبود لديهم وألمعها ، ما هي إلا مصباح مسخر ، ومخلوق جامد.

فإذا بتعبير (سراجًا) يذكِّر رحمة الخالق في عظمة ربوبيته، ويفهِّم إحسانه في سعة رحمته، ويشعر – بذلك الإفهام- بكرمه في عظمة سلطانه ويفهّم الوحدانية بهذا الإشعار. وكأنه يقول: إنَّ مصباحًا مسخرًا وسراجًا جامدًا لا يستحق العبادة بأي حال من الأحوال. ثم إنّ جريان الشمس بتعبير (تجري) يذكّر بتصرفات منتظمة مثيرة للإعجاب في دوران الصيف والشتاء والليل والنهار، ويفهّم بذلك التذكير عظمة قدرة الصانع المنفرد في ربوبيته"[١]

وقد بيّن علماؤنا أهمية الكلمة القرآنية في سياقها، وها أنا ذا أذكر بعضها:

1. يقول الإمام السيوطي في الإتقان:

"مراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض، لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

الثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام.

الثالثة: ضمّ بعض ذلك إلى بعض ضمّا له مبادٍ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم.

الرابعة: أن يُعتبر أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: السجع.

الخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن، ويقال له: الشعر والمنظوم ثم يقول: والقرآن جامع لمحاسن الجميع."[٢]

---

(١) الكلمات : 436/1، ذو الفقار ص: 26-27.

(٢) السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن علي- دار الحديث /القاهرة (1425هـ/2004م) 4/ 309-310.

2.يقول الأستاذ الرافعي:

"فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً ، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان."(١)

3. يقول الدكتور دراز تحت عنوان القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى:

"فإن سرك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع. فانظر حيث شئت من القرآن الكريم. تجد بياناً قد قدّر على حاجة النفس أحسن تقدير. فلا تحس فيه بتخمة الإسراف، ولا بمخمصة التقتير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية:

نقية: لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها.

وافية: لا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه. ففي كل جملة منه جهازٌ من أجهزة المعنى، وفي كل كلمة منه عضو من الأعضاء. وفي كل حرف منه جزء بقدره."(٢)

4.تقول الدكتورة بنت الشاطئ:

"والقرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، ومن الحقّ ألا نأخذ في قضية الترادف برأي دون عرضها على الكتاب العربي المبين، لأنه الذي يحسم ذلك الخلاف الذي طال.

وفيما أشتغلُ به على المدى الطويل من تخصص في الدراسات القرآنية، شهد التتبع الاستقرائي في ألفاظ القرآن في سياقها، أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلّ أو كثر من الألفاظ."(٣)

5.ويقول الدكتور السامرائي:

" ولا شك أن كلّ مفردة وُضِعت وضعاً فنياً مقصوداً في مكانها المناسب، وأن الحذف من المفردة مقصود، كما أن الذكر مقصودٌ، وأنّ الإبدال مقصود كما أن الأصل مقصود، وكل تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غَرَضه."(٤)

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص:180.

(٢) النبأ العظيم ص: 111-112.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن ص:214-215.

(٤) د.فاضل صالح السامرائي بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص:6 - دار عمار-ط3 /1426هـ-2005م.

6.ويقول الإمام النورسي:

"اعلم! أنه ما من كلمة في التنـــزيل يأبى عنها مكانها، أو لم يرض بها، أو كان غيرُها أولى به، بل ما من كلمة من التنـــزيل إلا وهي كدُرٍّ مرصّع مرصوص متماسك بروابط المناسبات."[(١)]

النقطة الرابعة: الفصاحة الخارقة في لفظه:[(٢)]

الألفاظ القرآنية منتقاة بعناية فائقة، لا يأبى مكان لفظه، لأن كل كلمة قرآنية في مكانها هي جوهرة العقد، التي لايمكن استبدالها بغيرها، وهي مع أخواتها تشكل نسيجاً لا نظير له.

"نعم، إن القرآن كما هو بليغ خارق من حيث أسلوبه وبيان معناه ، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه. والدليل القاطع على فصاحته هو عدم إيراثه السأم والملل. كما أن شهادة علماء فن البيان والمعاني برهان باهر على حكمة فصاحته"[(٣)].

ثم يضيف:

إنّ إيضاح أسباب الفصاحة في آيات القرآن الكريم وفي كلامه وفي جمله يطول كثيرًا، فتفاديًا من الإطالة نُقصر الكلام على إظهار لمعة إعجاز تتلمع من أوضاع الحروف الهجائية وكيفياتها في آية واحدة فقط، على سبيل المثال وهو قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنـزل عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ الله مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَالله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [آل عمران :154].

لقد جمعت هذه الآية جميع حروف الهجاء وأجناس الحروف الثقيلة، ومع ذلك لم يفقدها هذا الجمع سلاستها بل زادها بهاءً إلى جمالها ومزج نغمة من الفصاحة نبعت من أوتار متناسبة متنوعة.

فأمعن النظر في هذه اللمعة ذات الإعجاز وهي: أن الألف والياء لأنهما أخف حروف الهجاء، وتنقلب إحداهُما بالأخرى كأنهما أختان، تكّرر كلٌّ منهما إحدى وعشرين مرة .. وأنَّ الميم والنون – التنوين أيضًا نون– لأنهما أختان، ويمكن أن تحل إحداهما محل الأخرى فقد ذكر كل منهما ثلاثًا وثلاثين مرة .. وأن

---

(١) إشارات الإعجاز : 59/5.

(٢) يعطى كل حرف رقماً معيناً يدل عليه، فمن تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود، استخدم في اللغات السامية وكثر استخدامه في بلاد الهند. موقع الموسوعة الحرة (www. Wiknedia.org)

(٣) الكلمات : 436/1.

الصاد والسين والشين متآخية حسب المخرج والصفة والصوت فذُكر كل واحد منها ثلاث مرات .. وأن العين والغين متآختان فذكر العين ست مرات لخفتها بينما الغين لثقلها ذُكرت ثلاث مرات أي نصفه.

وذكر باقي الحروف وأعدادها، ودخل إلى حساب " أبجدية الجمل" إلى أن خلص إلى: وهكذا فإن هذه الحروف بهذا الوضع المنتظم الخارق، مع تلك المناسبات الخفية، والانتظام الجميل، والنظام الدقيق، والانسجام اللطيف تثبت بيقين جازم كحاصل ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعاً: أنه ليس من شأن البشر ولا يمكنه أن يفعله. أما المصادفة فمحال أن تلعب به.

"هذا فإن ما في أوضاع هذه الحروف من الانتظام العجيب والنظام الغريب مثلما هو مدار للفصاحة والسلاسة اللفظية، يمكن أن تكون له حِكم كثيرة أخرى."[١]

أقول: ملحظ طيب من الإمام النورسي أن هذه الآية تشتمل جميع حروف الهجاء ولكن الأعداد التي ذكرها غير دقيقة، لأن الألف ذكرت ضعف الياء تقريباً، والصاد أربع مرات لا ثلاث.

النقطة الخامسة: براعة البيان:[٢]

"أي التفوق والمتانة والهيبة، إذ كما أن في نظم القرآن جزالة، وفي لفظة فصاحة، وفي معناه بلاغة، وفي أسلوبه إبداعًا، ففي بيانه أيضًا براعة فائقة.

نعم! إن بيان القرآن لهو في أعلى مرتبة من مراتب طبقات الخطاب وأقسام الكلام" كالترغيب والترهيب، والمدح والذم، والإثبات والإرشاد، والإفهام والإفحام.

فمن بين آلاف أمثلة مقام" الترغيب والتشويق" سورة " الإنسان" إذ بيان القرآن في هذه السورة سلس ينساب كالسلسبيل، ولذيذ كثمار الجنة، وجميل كحلل الحور العين.

ومن بين الأمثلة التي لا تحد لمقام "الترهيب والتهديد" مقدمة سورة " الغاشية" إذ بيان القرآن في هذه السورة يؤثر تأثير غليان الرصاص في صماخ الضالين، ولهيب النار في عقولهم، وكالزقوم في حلوقهم، وكلفح جهنم في وجوههم، وكالضريع الشائك في بطونهم نعم، إن كانت مأمورة العذاب جهنم ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ الْغَيْظِ**﴾[الملك:8] ، فكيف يكون تهديد وترهيب آمرها بالعذاب؟.

---

(١) الكلمات : 427/1-428، ذو الفقار ص: 28-30.

(٢) الأسلوب يتعلق بطريقة العرض، وأما البيان فيتعلق بالموضوع.

ومن بين آلاف أمثلة مقام "المدح" السور الخمس المستهلة بـــ "الحمد لله" إذ بيان القرآن في هذه السور ساطع كالشمس، مزّين كالنجوم، مهيب كالسموات والأرض، محبوب مأنوس كالملائكة، لطيف رؤوف كالرحمة على الصغار في الدنيا، وجميل بهيج كالجنة اللطيفة في الآخرة." [(١)]

أقول: قد أحسن الإمام النورسي في اقتباس الألفاظ القرآنية لبيان المعاني المرادة.

"ومن بين آلاف أمثلة مقام "الذم والزجر" الآية الكريمة: ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات : 12].

تنهى هذه الآية الكريمة عن الغيبة بست مراتب، وتزجر عنها بشدة وعنف، وحيث أن خطاب الآية موجه إلى المغتابين فيكون المعنى كالآتي:

إنّ الهمزة الموجودة في البداية للاستفهام الإنكاري، حيث يسري حكمه ويسيل كالماء إلى جميع كلمات الآية، فكل كلمة منها تتضمن حكمًا.

ففي **الكلمة الأولى** تخاطب الآية الكريمة بالهمزة.

أليس لكم عقل- وهو محل السؤال والجواب- ليعي هذا الأمر القبيح؟

وفي **الكلمة الثانية:** "أيحب" تخاطب الآية بالهمزة.

هل فسد قلبكم –وهو محل الحب والبغض- حتى أصبح يحب أكره الأشياء وأشدها تنفيرًا.

وفي **الكلمة الثالثة:** "أحدكم" تخاطب بالهمزة.

ماذا جرى لحياتكم الاجتماعية –التي تستمد حيويتها من حيوية الجماعة- وما بال مدنيتكم وحضارتكم حتى أصبحت ترضى بما يسمم حياتكم ويعكر صفوكم.

وفي **الكلمة الرابعة:** "أن يأكل لحم" تخاطب بالهمزة.

ماذا أصابت إنسانيتكم؟ حتى أصبحتم تفترسون صديقكم الحميم.

وفي **الكلمة الخامسة:** "أخيه" تخاطب بالهمزة.

أليس بكم رأفة ببني جنسكم، أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم، حتى أصبحتم تفتكون بمن هو أخوكم من عدة جهات، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشًا قاسيًا، أيملك عقلاً من يعض عضوًا من جسمه؟ أو ليس هو بمجنون؟

---

(١) الكلمات : 439/1.

وفي **الكلمة السادسة**: "ميتًا" تخاطب بالهمزة: [١]

أين وُجدانك؟ أَفَسَدَت فطرتكم حتى أصبحتم تجترحون أبغض الأشياء وأفسدها –وهو أكل لحم أخيكم– في الوقت الذي هو جدير بكل احترام وتوقير.

يفهم من هذه الآية الكريمة وبما ذكرناه من دلائل مختلفة في كلماتها– أن الغيبة مذمومة عقلاً وقلبًا وإنسانية ووجدانًا وفطرةً وملةً"[٢]

ويذكر في مقام الإثبات قول الله تعالى: ﴿ **فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ الله كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الروم:50] يقول: "فإنها تثبت الحشر وتزيل استبعاده ببيان شافٍ ووافٍ لا بيان فوقه."[٣]

أقول: ورد دليل الحشر في سور كثيرة، ا ستدلالاً بإحياء الأرض ، بما ينتشر على سطحها من نبات بعد تفلج تربتها، فإذا نــزل المطر تغير الحال واخضرت الأرض، كذلك فإن الله يحيي الموتى كما أحيا الأرض، ومن هذه السور مطلع سورة الحج وسورة ق وغيرها.

ويذكر في مقام الإفحام والإلزام قول الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نـزلنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ الهي إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة:23] فيقول: "إن القرآن المعجز البيان يقول: يا معشر الإنس والجن إن كانت لديكم شبهة في أن القرآن ليس كلام الله، وتتوهمون أنه من كلام بشر، فهيا، فها هو ميدان التحدي. فأتوا بقرآن مثل هذا يصدر عن شخص أميّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، مثل محمد الذي تصفونه أنتم بـــ (الأمين).

فإن لم تفعلوا هذا فأتوا به من غير أميّ، وليكن بليغاً أو عالماً."[٤]

ويذكر مثالاً آخر هو آيات سورة الطور (29-43) من قوله تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ الله سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ ويذكر تعليقاً طيباً على كل آية من هذه الآيات بما يناسبها، أذكر مما ذكره: ﴿ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** ﴾ [الطور:40] أم أنهم يرون تكاليف العبودية التي تطلبها منهم ثقيلاً عليهم؟ كما يراها الطغاة الباغون الحريصون على الدنيا ، المعتادون على الخسة ، فيهربون من تلك التكاليف! ألا يعلمون أنك لا تريد منهم أجراً ولا من أحد غيره

---

(١) يعني بالهمزة : همزة الإستفهام الإنكاري في [أيحب أحدكم....]

(٢) الكلمات : 1/439-440، ذو الفقار ص: 31-32.

(3) الكلمات :1/441.

(٤) الكلمات : 1/443.

سبحانه؟ أيعز عليهم التصدق من مال الله الذي أعطاه إياهم ، ليزداد المال بركة وليحصّن من حسد الفقراء، ومن الدعاء بالسوء على مالكه؟."(١)

أقول: ليس في الآية أمر بالصدقة، وإنما هي إخبار بتبرم الكفار من الدعوة رغم عدم طلب الأجر عليها.

وعن إفهام القرآن يقول: "القرآن الكريم مائدة سماوية تجسد فيها آلاف من مختلف طبقات الأفكار والعقول والقلوب والأرواح غذاءهم، كل حسب ما يشتهيه ويلبي رغباته حتى إن كثيراً من أب واب ظلت مغلقة لتفتح في المستقبل من الزمان."(٢)

أقول: استخدم الإمام النورسي براعة البيان لتدل على قسم من أقسام الخطاب، كالترغيب والترهيب وذكر لمقام الترهيب والتهديد مقدمة سورة الغاشية فيقول:"إذ بيان القرآن في هذه السورة يؤثر تأثير غليان الرصاص في صماخ الضالين ، ولهيب النار في عقولهم كالزقوم في حلوقهم وكلفح جهنم في وجوههم، وكالضريع الشائك في بطونهم..." (٣)

وبيّن إن البلاغة الخارقة في معناه تتناول الآية الواحدة وما تتضمنه من معاني كثيرة ، فذكر مثالاً على ذلك قول الله تعالى :﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ** ﴾ [الإسراء:44] .

حيث يقول: " ثم إن وجه السماء المظلمة التي تستعر فيها نجوم جامدة، تتحول في نظر السامعين، بصدى قوله تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ** ﴾ [الإسراء:44] إلى فم ذاكر لله، كل نجم يرسل شعاع الحقيقة، ويبث حكمة حكيمة بليغة.

وكذا وجه الأرض التي تضم المخلوقات الضعيفة العاجزة ، تتحول بذلك الصدى السماوي إلى رأس عظيم، والبر والبحر لسانين يلهجان بالتسبيح والتقديس، وجميع النباتات والحيوانات كلمات ذاكرة مسبّحة، حتى لكأن الأرضَ كلَّها تنبض بالحياة.

ويضيف: وهكذا بانتقالك الشعوري إلى ذلك العصر تتذوق دقائق الإعجاز في تلك الآية الكريمة. وبخلاف ذلك تحرم من تذوق تلك الدقائق اللطيفة في الآية الكريمة"(٤)

وأما بيان القرآن فيتناول البلاغة الخارقة وبراعة البيان كجزء منه، حيث يقوم عليها وعلى الجزالة الخارقة في نظم القرآن ، والبداعة الخارقة في اسلوبه والفصاحة الخارقة في لفظه.

---

(١) المصدر السابق : 448/1.

(٢) المصدر السابق : 450/1-451.

(٣) الكلمات : 439/1

(٤) الكلمات: 152/1 و ذو الفقار:20-21.

معاني القرآن:

ويردف الإمام النورسي –رحمه الله– بحثه السابق والمتعلق ببيان القرآن الكريم ببحث آخر يتناول المعاني، وهو بهذا يبين الترابط الوثيق بين اللفظ والمعنى، ويوضح هذا البحث في نقاط خمسٍ كما فعل في سابقه، ويسمي هذا النقاط اللمعات، وسأذكرها مرتبة كما أوردها– رحمه الله– وأختصر ما أستطيع اختصاره، دون إخلال بالمعنى الذي يريده، بعون الله تعالى.

اللمعة الأولى: الجامعية الخارقة في لفظه:

"هذه الجامعية واضحة جلية في الآيات المذكورة في "الكلمات" السابقة وفي هذه "الكلمة".

نعم! إن الألفاظ القرآنية قد وُضعت وضعًا بحيث: أن لكل كلام بل لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى لسكون أحيانًا وجوهًا كثيرة جدًا، تمنح كل مخاطب حظّه ونصيبه من أبواب مختلفة، كما يشير إلى ذ لك الحديث الشريف (**فلكل آيةٍ ظهرٌ وبطنٌ وحدٌ ومطّلع**)[1] ،ولكلٍ شجون وغصون وفنون.

فمثلاً قوله تعالى:﴿ **وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً** ﴾ [النبأ : 7] فحصة عامي من هذا الكلام أنه: يرى الجبال كالأوتاد المغروزة في الأرض، كما هو ظاهرٌ أمام عينه، فيتأمل ما فيها من نعم وفوائد، ويشكر خالقه.

وحصة شاعر من هذا الكلام أنه يتخيل أن الأرض سهل منبسط، وقبة السماء عبارة عن خيمة عظيمة خضراء ضربت عليه، وزينت الخيمة بمصابيح، وأن الجبال تتراءى وهي تملأ دائرة الأفق، تمس قممها أذيال السماء، وكأنها أوتاد تلك الخيمة العظيمة، فتغمره الحيرة والإعجاب، ويقدس الصانع الجليل.

أما البدوي البليغ فحصته من هذا الكلام أنه: يتصور سطح الأرض كصحراء واسعة، وكأن سلاسل الجبال سلسلة ممتدة لخيم كثيرة بأنواع شتى لمخلوقات متنوعة، حتى أن طبقة التراب عبارة عن غطاء ألقي على تلك الأوتاد المرتفعة فرفعتها برؤوسها الحادة، جاعلةً منها مساكن مختلفة لأنواع شتى من المخلوقات. هكذا يفهم فيسجد للفاطر الجليل سجدةً حيرةٍ وإعجاب ، يجعله تلك المخلوقات العظيمة كأنها خيام ضربت على الأرض.

أما الجغرافي الأديب فحصته من هذا الكلام أن: كرة الأرض عبارة عن سفينة تمخر عباب بحر المحيط الهوائي أو الأثيري. وأن الجبال أوتاد دُقّت على تلك السفينة للتثبيت والموازنة.. هكذا يفكر الجغرافي ويقول أمام عظمة القدير ذي الكمال الذي جعل الكرة الأرضية الضخمة سفينة منتظمة وأركبنا فيها، لتجري بنا في آفاق العالم: (سبحانك ما أعظم شأنك).

---

(١) الراوي: الحسن البصري المحدث: البغوي – المصدر: شرح السنة : 214/1 خلاصة حكم المحدث: مرسل .

أما المتخصص في أمور المجتمع والملم بمتطلبات الحضارة الحديثة فحصته من هذا الكلام: أنه يفهم الأرض عبارة عن مسكن، وأن عماد حياة هذا المسكن هو حياة ذوي الحياة، وأن عماد تلك الحياة هو الماء والهواء والتراب، التي هي شرائط الحياة، وأن عماد هذه الثلاثة هو الجبال، لأن الجبال مخازن الماء، مُشّاطة الهواء ومصفاته- إذ ترسب الغازات المضرة-حامية التراب- إذ تحميه من استيلاء البحر والتوحل- وخزينة لسائر ما تقتضيه حياة الإنسان.. هكذا يفهم فيحمد ويقدّس ذلكم الصانع ذا الجلال والإكرام ، الذي جعل هذه الجبال العملاقة أوتادًا ومخازن معايشنا على الأرض التي هي مسكن حياتنا.

وحصة فيلسوف طبيعي من هذا الكلام: أنه يدرك أن الامتزاجات والانقلابات والزلازل التي تحصل في باطن الأرض تجد استقرارها وسكونها بظهور الجبال، فتكون الجبال سببًا لهدوء الأرض واستقرارها حول محورها ومدارها ، وعدم عدولها عن مدارها السنوي ، وكأن الأرض تتنفس بمنافذ الجبال فيخفُّ غضبُها وتسكن حدتها .. هكذا يفهم ويطمئن ويلج في الإيمان قائلاً: "الحكمة لله" [١] ، وضرب بعد ذلك أمثلة عدة.[٢]

اللمعة الثانية:"الجامعية الخارقة في معانيه:

"نعم، إنَّ القرآن قد أفاض من خزينة معاني ه الجليلة مصادر جميع المجتهدين، ومذاق جميع العارفين، ومشارب جميع الواصلين، ومسالك جميع الكاملين، ومذاهب جميع المحققين فضلاً عن أنه صار دليلهم في كل وقت، ومرشدهم في رقيهم كل حينٍ ، ناشرًا على طرقهم أنواره الساطعة من خزينته التي لا تنضب، كما هو مصدَّق ومتفق عليه بينهم"[٣]

وأذكر مثالاً على ذلك، قال تعالى :﴿ **وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً * وَمَنْ يُطِعْ الهد وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**﴾[النساء:68-69]

يقول النورسي –رحمه الله تعالى- :

"نشير إلى نكتتين فقط من بين ألوف نكات هذه الآية الكريمة:

أقول: هذا الكلام مبالغة من الإمام النرسي فليس في الآية لا ألوف ولا مئات من النكات.

---

(١) الكلمات : 451/1-453.

(٢) المصدر السابق انظر: 453/1-457.

(٣) المصدر السابق : 457/1.

النكتة الأولى: المعاني الإشارية في الآية:

إن القرآن الكريم مثلما يبين الحقائق بمفاهيمه ومعناه الصريح فأنه يفيد كذلك معاني إشارية كثيرة بأساليبه وهيئاته، فلكل آية طبقات كثيرة من المعاني، لأن القرآن الكريم قد نـــزل من العلم المحيط، فيمكن أن تكون جميع معانيه مرادة، إذ معاني القرآن لا تنحصر في واحد أو اثنين من المعاني ، كما ينحصر كلام الإنسان الحاصل بإرادته الشخصية، وبفكره الجزئي المحدود.

فبناءً على هذا السر فقد بيّن المفسرون ما لا يُحَدُّ من الحقائق لآيات القرآن.

وهناك حقائق كثيرة جداً لم يبينها المفسرون بعد. ولا سيما حروف القرآن وإشاراته ففيها علوم مهمة سوى معانيه الصريحة...

أقول: القرآن الكريم حثَّ على التدبر، وعدم الوقوف عند المعاني الصريحة وحدها، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرّد.

النكتة الثانية: دلالات الآية.

تبيّن هذه الآية الكريمة: ﴿ **مِنْ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ أن أهل الصراط المستقيم والمنعم عليهم بالنعم الإلهية حقاً هم :

طائفة الأنبياء، وقافلة الصديقين ، وجماعة الشهداء ، وأصناف الصالحين ، وأنواع التابعين. فكما تبيّن الآية هذه الحقيقة فهي تفيد صراحة أكمل مَن في تلك الأقسام الخمسة في عالم الإسلام وتدل على تلك الأقسام الخمسة وعلى رؤسائهم المتقدمين بذكر صفاتهم المشهورة ، ثمّ تعيّن بجهة بلمعة إعجاز أئمة تلك الأقسام في المستقبل، وأوضاعهم بنوع من إخبار غيبي.

نعم! كما أن لفظ ﴿ **مِنْ النَّبِيِّنَ** ﴾ينظر صراحة إلى الرسول الكريم ﷺ فإن فقرة ﴿ **وَالصِّدِّيقِينَ** ﴾ تنظر إلى أبي بكر الصدّيق، مشيرة إلى أنه الشخص الثاني بعد الرسول الكريم ﷺ وأول من يخلفه، واسم الصدّيق عنوانه الخاص الذي لقّب به وهو المعروف لدى الأمة جميعاً. وأنه سيكون على رأس الصديقيين.

كما تشير بكلمة ﴿ **وَالشُّهَدَاءِ** ﴾ إلى عمر وعثمان وعلي –رضي الله عنهم أجمعين، وتفيد إفادة غيبية أن هؤلاء الثلاثة سينالون الخلافة بعد الصدّيق –رضي الله عنه– وأنهم سيستشهدون مما يزيد فضيلة إلى فضائلهم.

وكما تشير بكلمة ﴿ **وَالصَّالِحِينَ** ﴾ إلى أصحاب الصُفَّة وبدر وبيعة الرضوان، وتشوّق بجملة ﴿**وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ وبمعناه الصريح على أتباعهم وتبين جمال أتباع التابعين لهم ، (**وحَسُنَ**) مشيرة

بالمعنى الإشاري إلى الحسن –رضي الله عنه– أنه خامس الخلفاء الأربعة، مصدقة الحديث الشريف: (**الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة**). فمع قصر مدة خلافته فهي عظيمة الشأن."[١] [٢]

اللمعة الثالثة:"الجامعية الخارقة في علمه:

نعم، إنَّ القرآن الكريم مثلما أجرى من بحر علومه علوم الشريعة المتعددة الوفيرة، وعلوم الحقيقة المتنوعة الغزيرة، وعلوم الطريقة المختلفة غير المحدودة، فإنه أجرى كذلك من ذلك البحر بسخاء وانتظام، الحكمة الحقيقية لدائرة الممكنات، والعلوم الحقيقية لدائرة الوجوب والمعارف الغامضة لدائرة الآخرة.

ولو أردنا ايراد مثال لهذه اللمعة، فلا بد من كتابة مجلد كامل! لذا نبين " الكلمات" الخامسة والعشرين[٣] السابقة فحسب

نعم إن الحقائق الصادقة للكلمات الخمس والعشرين كلها إن هي إلا خمس وعشرون قطرة من بحر علم القرآن. فإن وجد قصور في تلك "الكلمات" فهو راجع إلى فهمي القاصر.[٤]

ومن أهم الأمثلة على الجامعية الخارقة في علمه ما ذكره الإمام النورسي عن معجزات الأنبياء حيث قال: "ولما كان العلماء المحققون من أهل البلاغة قد اتفقوا جميعاً أن لكل آية كريمة وجوهاً عدة للإرشاد، وجهاتٍ كثيرة للهداية، فلا يمكن إذاً أن تكون أسطع الآيات وهي آيات المعجزات، سرداً تاريخياً، بل لا بد أنها تتضمن أيضاً معاني بليغة جمّة للإرشاد والهداية.

نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف."[٥]

أقول: فهو يرى المعجزات دعوات لبني البشر أن يبحثوا ويصنعوا ما فيه خيرهم.

فمثلاً قوله تعالى:"﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾ [سبأ:12]، هذه الآية الكريمة تبين معجزة سيدنا سليمان –عليه السلام– وهي تسخير الريح له، أي أنه قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد.

---

(١) اللمعات : 3/47-48.

(٢) رواية الحديث (خلافة النبوة ثلاثون سنة) رواه أبو داوود سنة8 ، والترمذي أبواب القدر/ باب ما جاء في الخلافة1813 صحيح، والإمام أحمد 4/273، 5/44

(٣) يعني الكلمات السابقة للكلمة الخامسة والعشرين.

(٤) الكلمات: 1/457.

(٥) المصدر السابق : 1/279.

فالآية الكريمة تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء."(١)

" ومثلاً قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾ [البقرة:60]، هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى – عليه السلام- وهي تشير إلى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه"٢.

ثم يضيف: "فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية:

"ما دمت أُسلِّم بيد عبد يعتمد عليّ ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجر الماء أينما شاء. فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضاً أن تخترع آلةً شبيهةً بتلك العصا، أو نظيرة لها. فهيا اسع لتجد تلك الآلة."(٣)

"ومثلاً قوله تعالى: ﴿ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله ﴾ [آل عمران:49]، فالقرآن الكريم يحث البشرية صراحة على اتباع الأخلاق النبوية السامية ، التي يتحلى بها سيدنا عيسى –عليه السلام- فهو يرغّب فيها، ويحض عليها رمزاً إلى النظر إلى ما بين يديه من مهنة مقدسة وطب رباني عظيم. فهذه الآية الكريمة تشير إلى: "أنه يمكن أن يُعثر على دواءٍ يشفي أشد الأمراض المزمنة والعلل المستعصية، فلا تيأس أيها الإنسان، لا تقنط أيها المبتلى المصاب، فكل داء مهما كان له دواء ، وعلاجه ممكن ، فابحث عنه وجده، واكتشفه بل حتى يمكن معالجة الموت نفسه بلون من ألوان الحياة المؤقتة."(٤) ٥

أقول: وهكذا يعرض لمعجزات أخرى ليبره ن أن القرآن الكريم يؤسس لكل العلوم التي برع بها الناس اليوم وهذا ملحظ جيد كدعوة للبحث دون المساس بقدسية المعجزات على أنها أمر خارق للعادة من فعل الله عزّ وجلّ، فمهما بلغت قدرة الإ نسان لن يفجر الماء من حجر أملس غير مرتبط بالأرض ، وإن استطاع استخراج المياه من جوفها.

اللمعة الرابعة:الجامعية الخارقة في مباحثه:

"نعم، إن القرآن قد جمع المباحث الكلية لما يخص الإنسان و وظيفته، والكون وخالقه، والأرض والسموات، والدنيا والآخرة، والماضي والمستقبل، والأزل والأبد، فضلاً عن ضمه مباحث مهمة أساسية

(١) الكلمات : 280/1.

(٢) المصدر السابق: 280/1

(٣) المصدر السابق : 280/1.

(4) المصدر السابق:280/1

(٥) لا يُعالج الموت بأي لون من ألوان الحياة المؤقتة لقوله تعالى: [إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] (يونس:49).

ابتداءً من خلق الإنسان من النطفة إلى دخوله القبر، ومن آداب الأكل والنوم إلى مباحث القضاء والقدر، ومن خلق العالم في ستة أيام إلى وظائف هبوب الريح التي يشير إليها القسم في (والمرسلات) (والذاريات) ومن مداخلته سبحانه في قلب الإنسان وإرادته بإشارات الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [التكوير:29] وقوله تعالى: ﴿ **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾ [الأنفال :24] إلى وقوله تعالى: ﴿ **وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ** ﴾ [الزمر:67] من قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ** ﴾ [يس: 34] إلى الحقيقة العجيبة التي يعبر عنها قوله تعالى: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ [الزلزلة:1] ومن حالة السماء **في قوله تعالى:** ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ** ﴾ [فصلت:11] إلى انشقاق السماء وانكدار النجوم وانتشارها في الفضاء الذي لا يُحد"(١)

ثمّ يضيف:

"ومن انفتاح الدنيا للامتحان إلى انتهاء الاختبار... ومن الحادثة الأزلية في قوله تعالى: ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾ [الأعراف:172] إلى قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة :22-23] التي تفيد الأبدية."(٢)

ثم يصف القرآن فيقول: "فالقرآن الكريم كذلك كلام مبين يليق بمن خلق هذا الكون ويديره ، وكتب صحيفة أعماله وفهارس براجه. إن جاز التعبير وأظهرها. فلا يُشاهد فيه أثرٌ من تصنع وتكلف بأي جهة كانت."(٣)

أقول: مما يدل على الجامعية الخارقة لمباحث القرآن قول الله تعالى: ﴿ **ونـزلنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [النحل:89] وما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (**ألا إنها ستكون فتنة**)، قلت: وما المخرج يا رسول الله؟ (**قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجنّ إذ سمعوه حتى قالوا:** ﴿ **إِنَّا**

(١) الكلمات : 457/1-458.

(٢) الكلمات :258/1 باختصار

(٣) المصدر السابق:258/1.

سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ [الجنّ:1-2] **من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم)** وقال عنه حديث غريب.(١)

اللمعة الخامسة: "الجامعية الخارقة في أسلوبه وإيجازه:

"في هذه اللمعة خمسة أضواء"- أي خمسة ملاحظات أو أمور-:

الضوء الأول:

"أن لأسلوب القرآن جامعية عجيبة، حتى إن سورة واحدة تتضمن بحر القرآن العظيم الذي ضم الكون بين جوانحه، وأن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة. وإن أكثر الآيات-كل م نها- كسورة صغيرة، وأكثر السور –كل منها- كقرآن صغير. ويمثل لذلك بسورة الفاتحة، فيقول: حتى أن أهل الكشف متفقون أن القرآن في الفاتحة والفاتحة في البسملة. أما البرهان على هذا فهو إجما ع أهل التحقيق العلماء" (٢).

أقول: لا يُوافق المؤلف على قوله كسورة صغيرة وكقرآن صغير لأن هذا الوصف يشعر بالتفاضل والصواب أن يقال سورة قصيرة، وقرآن قصير.

الضوء الثاني:

أن الآيات القرآنية جامعة بدلالاتها وإشاراتها لأنواع الكلام والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية كالأمر والنهي، والوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، الزجر والإرشاد، القصص والأمثال، الأحكام والمعارف الإلهية، العلوم الكونية، وقوانين وشرائط الحياة الشخصية والحياة الاجتماعية والحياة القلبية والحياة المعنوية والحياة الأخروية. حتى يصدق عليه المثل السائر بين أهل الحقيقة: "خذ ما شئت لما شئت" لمعنى أن الآيات القرآنية فيها من الجامعية ما يمكن أن يكون دواء لكل داء وغذاء لكل حاجة.

نعم هكذا ينبغي أن يكون، لأن الرائد الكامل المطلق لجميع طبقات أهل الكمال الذين يقطعون المراتب دومًا إلى الرقي- ذلك القرآن العظيم- لا بد أن يكون مالكًا لهذه الخاصية" (٣).

أقول: القرآن كتاب هداية للبشرية في كل زمان ومكان، فلا بد أن يكون شاملاً لكل مجالات الحياة، لا يسْتثنى منها مجالٌ قط، والذين يبعدون القرآن عن الحياة، يبعدون الخير عن الناس.

---

(١) رواه الترمذي (2906)، والدارمي (3211)، والبزار (836)، والبيهقي في شعب الإيمان (1935)، ولم يصح مرفوعاً الى النبي .

(٢) الكلمات: 1/459-460 باختصار.

(٣) الكلمات: 1/460.

الضوء الثالث:

الإيجاز المعجز للقرآن، فقد يذكر القرآن مبدأ سلسلة طويلة ومنتهاها ذكراً لطيفاً يُري السلس لةَ بكاملها، وقد يدرج في كلمة واحدة براهينُ كثيرةٌ لدعوى، صراحةً وإشارةً ورمزًا وإيماءً.

فمثلاً:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾[الروم : 22] هذه الآية الكريمة تذكر مبدأ سلسلة خلق الكون ومنتهاها. وهي سلسلة آيات التوحيد ودلائله، ثم تبين السلسلة الثانية، جاعلة القارئ يقرأ السلسلة الأولى وذلك:

أن أُولى صحائف العالم الشاهدة على الصانع الحكيم هي خلق السموات والأرض، ثم تزيين السموات بالنجوم وإعمار الأرض بذوي الحياة، ثم تبدل المواسم بتسخير الشمس والقمر، ثم سلسلة الشؤون الربانية في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما ... وهكذا تدريجيًا حتى تبلغ خصوصية الملامح والأصوات وامتيازها وتشخصاتها التي هي أكثر مواضع انتشار الكثرة.

فإذا ما وجد انتظام بديع حكيم محير للألباب، وتبينَ عملُ قلمٍ صنّا ع حكيم في أكثر المواضع بعدًا عن الانتظام وأزيدها تعرضًا للمصادفة ظاهرًا، تلك هي ملامح وجوه الإنسان وألوانه، فلا بد أن الصحائف الأخرى الظاهر نظامها تُفهم بنفسها وتدل على مصورها البديع.

ثم إنه ما كان أثر الإبداع والحكمة يُشاهد في أصل خلق السموات والأرض التي جعلها الصانع الحكيم الحجر الأساس للكون، فلا بد أنَّ نقش الحكمة وأثر الإبداع ظاهر جدًا في سائر أجزاء الكون.

فهذه الآية حوت إيجاز اً لطيفاً معجزاً في إظهار الخفي وإضمار الظاهر فأوجزت وأجملت. حقاً إنّ سلسلة البراهين المبتدئة من ﴿ **فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ** ...﴾ إلى ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الروم: 18-27] والتي تكرر فيها ست مرات " **وَمِنْ آيَاتِهِ** .. **وَمِنْ آيَاتِهِ** " إنما هي سلسلة جواهر، سلسلة نور، سلسلة إعجاز، سلسلة إيجاز إعجازي، يتمنى القلب أنْ أبيِّن الجواهر الكامنة في هذه الكنوز، ولكن ما حيلتي والمقام لا يتحمله، فلا أفتح ذلك الباب، وأعلق الأمر إلى وقت آخر بمشيئة الله"[١] وضرب الإمام النورسي –رحمه الله– أمثلة أخرى على الإيجاز المعجز[٢].

---

(١) الكلمات : 460/1-461.

(٢) انظر الكلمات: 461-463.

ومثلاً: ﴿ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف:45-46] فبين كلمة (فأرسلون) وكلمة (**يُوسُفُ**) يكمن معنى العبارة التالية: إلى يوسف لأستعبر الرؤيا، فأرسلوه. فذهب إلى السجن، وقال... بمعنى أنه أوجز عدة جمل في جملة واحدة من دون أن يخلّ بوضوح الآية ولا أشكل في فهمها. (١)

الضوء الرابع:

"إن إيجاز القرآن جامع ومعجز، فلو أنعم النظر فيه لشوهد بوضوح أنَّ القرآن قد بيّن في مثال جزئي وفي حادثة خاصة، دساتير كلية واسعة عامة طويلة وكأنه يبين في غرفة ماء بحرًا واسعًا."(٢)

وذكر على ذلك مثالين:

"المثال الأول هو الآيات الثلاث التي فصلنا شرحها في المقام الأول من "الكلمة العشرين، وهي: أنه بتعليم آدم عليه السلام الأسماء كلها تفيد الآية الكريمة، تعليم جميع العلوم والفنون الملهمة لبني آدم.

وبحادثة سجود الملائكة لآدم عليه السلام وعدم سجود الشيطان تبين الآية: أن أكثر الموجودات من – السمك إلى الملك– مسخرةٌ لبني الإنسان، كما أن المخلوقات المضرة — من الثعبان إلى الشيطان لا تنقاد إليه بل تعاديه."(٣)

"وبحادثة ذبح قوم موسى عليه السلام البقرة تعبّر الآية عن: أن فكرة عبادة البقر قد ذُبحتْ بسكين موسى عليه السلام، تلك الفكرة التي كانت رائجة في مصر حتى أنّ لها أثرًا مباشرًا في حادثة العجل."(٤)

"وبنبعان الماء من الحجر وتشقق الصخور وسيلان الماء منها تبين الآية: أن الطبقة الصخرية التي تحت التراب خزائن أوعية الماء تزوّد التراب بما يبعث فيه الحياة."(٥)

المثال الثاني "إن قصة موسى —عليه السلام قد تكررت كثيراً في القرآن الكريم، إذ أن في كل جملة منها، وفي كل جزء منها إظهاراً لطرفٍ من دستور كليّ، ويعبر عن ذلك الدستور."(٦)

وذكر في هذا الإطار آيات، أذكر منها:

١. "قول الله تعالى: ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [البقرة:49] فإنه بحادثة ذبح بني إسرائيل واستحياء نسائهم وبناهم في عهد فرعون يبين الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود في

(١) الكلمات :461/1.
(٢) المصدر السابق : 463/1.
(٣) المصدر السابق : 463/1.
(٤) المصدر السابق: 463/1.
(٥) المصدر السابق : 463/1.
(٦) الكلمات : 464/1.

أكثر البلدان وفي كل عصر، والدور المهم الذي تؤديه نساؤهم وبناهم في حياة السفاهة للبشرية وتحلل أخلاقها."(١)

ويتوافق ذلك مع ما ذكره ابن هشام على لسان حيي بن أخطب لما أُتِيَ به لضرب عنقه قوله: (إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل).(٢)

٢. "قوله تعالى: ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً ﴾ [البقرة: 94-95] فالآية تبين بعنوان حادثة جزئية وقعت في مجلس صغير في الحضرة النبوية الكريمة كم أن اليهود الذين هم أحرص الناس على الحياة وأخوفهم من الموت، لن يتمنوا الموت ولن يتخلوا عن الحرص على الحياة حتى قيام الساعة."(٣)

الضوء الخامس:

"هو الجامعية الخارقة لمقاصد القرآن ومسائله ومعانيه وأساليبه ولطائفه ومحاسنه . نعم! إذا أنعم النظر في سور القرآن الكريم وآياته، ولا سيما فواتح السور، ومبادئ الآيات ومقاطعها تبيّن:

أن القرآن المعجز البيان قد جمع أنواع البلاغة، وجميع أقسام فضائل الكلام، وجميع أصناف الأساليب العالية، وجميع أفراد محاسن الأخلاق، وجميع خلاصات العلوم الكونية، وجميع فهارس المعارف الإلهية، وجميع الدساتير النافعة للحياة البشرية الشخصية والاجتماعية، وجميع القوانين النورانية السامية لحكمة الكون ..
وعلى الرغم من جمعه هذا لا يظهر عليه أي أثر كان من آثار الخلط وعدم الاستقامة في التركيب أو المعنى" (٤)
المعنى"(٤)

أقول: الجمع بين كثرة المعاني مع انسجامها وتوافقها وترابطها من أسرار الإعجاز في الأسلوب ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً

ثم يقول: "نعم، إنه واضح جلي في القرآن أنه كلام رب العالمين ... هذا الكلام الجاد الحق السامي الحقيقي الخالص، ليس عليه أية أمارة كانت تُومئ بالتقليد. فلو فرضنا محالاً أن هناك مَن هو مثل مسيلمة الكذاب الذي تجاوز حده بغير حدود فقلّد كلام خالقه ذي العزة والجبروت، وتكلم من بنات فكره ناصبًا نفسه متكلمًا عن الكون، فلا بد أن ستظهر آلاف من أمارات التقليد والتصنع وآلاف من علامات الغش

(١) المصدر السابق :464/1.
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية، 241/3، تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا و إبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة –بيروت.
(٣) الكلمات : 465/1.
(٤)المصدر السابق: 1/ 466.

والتكلف. لأن من يتلبّس طورًا أسمى وأعلى بكثير عن حالته الدنيئة لا شك أن كل حالة من حالاته تدل على التقليد والتصنع.

أقول: حاول مسيلمة الكذّاب فيما مضى محاكاة القرآن في بعض السور والآيات، وظهر تهافت ما قاله، ولكن محاولات الشر لا تقف عند حدّ، فالصراع بين الحقّ والباطل مستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فها هو القسيس ا لأمريكي (أنيس شوروس) يدعي أنه نجح في معارضة القرآن، وأن كتابه (الفرقان الحقّ) بديل عن القرآن ولا أريد الإطالة، بل أجتزئ بعض ما أورده أستاذنا الدكتور صلاح الخالدي–جزاه الله خيراً– في الردّ على بعض ما أورده هذا الدعي، حيث يقول: "وقال في الجملتين العاشرة والحادية عشرة: "تقولون: تبيّن الرشد من الغيّ فلا إكراه في الدين، وقد اخترتُم الغيَّ وأكرهتم الناس بالسيف على دين الكافرين."

يُكذّب المفتري المسلمين في عقائدهم، ويُكذِّب القرآن تكذيباً صريحاً،فيأخذ بعض آية من القرآن ثمّ يردها، ويذم المسلمين لممارستهم القتال.

يرِد قول الله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ [البقرة:256].

ويتلاعب بالآية، فيقدم جملة منها على جملة، فالآية أصبحت عنده –بعد التحريف– هكذا: "تقولون: تبيّن الرشد من الغي فلا إكراه في الدين."

وفَهِمَ الجاهلُ من الآية عدم الدعوة إلى الدخول بالإسلام، وعدم الجهاد والقتال للكفار، الذين يقفون في وجه الدعوة، ولذلك هاجم المسلمين وذمّهم وشتمهم، لأنهم قاتلوا وجاهدوا في سبيل الله.

وحَكَمَ على المسلمين بأنهم كافرون، وأنهم أكرهوا الآخرين على الدخول في دينهم الباطل، عن طريق السيف والقتل، وبذلك اختاروا الغيّ وتركوا الرشد!"[1]

يقول الإمام النورسي: "فانظر إلى هذه الحقيقة التي يعلنها هذا القَسم وأنعم النظر فيها:

﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[النجم :1- 4]"[2]

ويذكر القاضي أبو السعود –رحمه الله تعالى– كلاماً نفيساً في هذا المقام فيقول: "المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم، وهويه غروبه وقيل طلوعه، يُقال هوى هوياً بوزن قبول إذا غرب،

(١)الخالدي: د. صلاح ، الانتصار للقرآن ، /مؤسسة الفرسان للنشر ط2005،1م/1426هـ، ص:96.
(٢) الكلمات : 467/1.

وهوياً بوزن دخول إذا علا وصعد، وأما النجم من نجوم القرآن فهويه: نزوله. والعامل في (إذا) فعل القسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال، كما في قولك آتيك إذا حمر البسر، وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة والبديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه.

أما الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدي به الساري إلى مسالك الدنيا كأنه قيل: والنجم الذي يهتدي به السابلة إلى سواء السبيل (ما ضل صاحبكم) أي م ا عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة (وما غوى) أي وما اعتقد باطلاً قط، أي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء أصلاً.

وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير إليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحقّ ما ضل عنها محمد –عليه الصلاة والسلام- وما غوى.

والخطاب لقريش، وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان (صاحبيته لهم) وللإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة، وإحاطتهم خبراً ببراءته –عليه الصلاة والسلام- مما نفي عنه بالكلية واتصافه عليه الصلاة السلام بغاية الهدى والرشاد، فإن طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتماً.

وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الأخير ظاهر، وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يُعلم المشرق من المغرب، ولا الشمال من الجنوب، وإنما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام، هذا هو اللائق بشأن التنـــزيل الجليل، وأما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذي يُرجم به أو حمل النجم على النبات، وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو على ظهوره منها فما لا يناسب المقام .

﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى** ﴾[النجم:3]، أي ما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلاً، فإن المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مرّ مراراً. ﴿ **إِنْ هُوَ** ﴾ أي ما الذي ينطق به مفيدا للاستمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مرّ مراراً. ﴿ **إِنْ هُوَ** ﴾ أي ما الذي

ينطق به من القرآن ﴿ **إِلاَّ وَحْيٌ** ﴾ من الله تعالى، قوله تعالى **(يوحى)** صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجديدي."[١]

المطلب الثالث: التكرار في القرآن

الناظرون في كتاب الله –عز وجل– تلاوةً وتدبرًا، يجدون قضايا تكرر ذكرها هنا أو هناك من كتاب الله عز وجل، في موضوعات كثيرة: موضوعات العقيدة، والقصص القرآني، وبعض الجمل كـــ: ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ [الرحمن:13]، و ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [المرسلات:15]، و ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ [القمر:17].

سمى بعض الباحثين هذه الظاهرة "تكرارًا"، ولكنهم اختلفوا بعد ذلك فمن عادٌ لها بلاغةً وإعجازاً وسحر بيان، إلى فئة ضالة مضلة اتخذتها مطعناً في الدين بل في كتاب رب العالمين .

الفئة الأولى: التي رأت فيه بلاغةً وإعجازا وسحر بيان، حاولوا البرهنة على ذلك بشتى الوسائل والسبل، مستمدين براهين من كلام العرب الذين نـــزل فيهم القرآن، شعراً ونثراً، ومما استقر في نفوس البشر أن الإعادة فيها إفادة.

وأما **الفئة الثانية** المتعامية عن الحق، المدفوعة بحقدها الدفين، فقد ظهروا متأخرين بعد فساد السليقة وضعف اللغة، ولو كان لهم مستندٌ من العصر الأول،لكان لهم بعض حجة، لكنَّ رأيهم مبتور مثلهم، لا يقوم على ساق، فلو كان كلامهم حقًا لسبقهم إليه من كانوا أشد منهم حنقًا وأكثر حرصًا وأفصح لساناً على نقد كتاب الله ونقضه ولو بشبهة أوهى من بيت العنكبوت كهذه.

أسباب وحكم التكرار:

١ –"أن القرآن الحكيم كتاب ذكر، وكتاب فكر، وكتاب حُكم، وكتاب علم، وكتاب حقيقة وكتاب شريعة، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين" [٢] والذكر لا بد من تكراره وكذلك باقي الأمور لترسخ في حياة المؤمن، وكما أن الإنسان لا يضره بل لا يستغني عن تكرار بعض المألوفات، ولا يستغني عنها فكذلك ما ورد في القرآن يقول: مثلاً: "بسم الله" كالهواء

---

(١)العمادي: القاضي أبو السعود محمد بن محمد ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الرابعة 1414هـ/1994م ، 8/154-155.

(٢) المثنوي العربي النوري : 231/6.

النسيمي يطهِّر الباطن داخلاً ويثمر خارجًا في نَفْسِك كَنَفسِك في جسمك .. وأيضًا تكرار القرآن بعض الحادثات الجزئية إشارة إلى أن الحادثة الجزئية تتضمن دستورًا كليًا"(١)

٢ لأن القرآن خطابٌ ودواءٌ لجميع طبقاتِ البشر، من أذكى الأذكياء، إلى أغبى الأغبياء، ومن أتقى الأتقياء، إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفقين المجدِّين الفارغين من الدنيا، إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا، فإذًا لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحدٍ في كل وقت. فلهذا أدرج الحكيمُ والرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره، لا سيما الطويلة حتى صار كل سورة قرآنًا صغيرًا ــ **أقول:** الصواب قرآنًا قصيرًا- فسهل السبيل لكل أحدٍ. وينادي مشوقًا ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر:17].

ويقول: "فمن هذه اللمعة الإعجازية تصير السورة قرآناً تامًا لمن قرأها"(٢)

٣ -"اعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفة في الأوقات، فإلى بعضٍ في كل آنٍ كالهواء، وإلى قسم في كل وقت حرارة المعدة كالماء، وإلى صنف في كل يوم كالغذاء، والى نوع في كل أسبوع كالضياء، ولأي طائفة في كل شهر، وإلى بعض في كل سنة كالدواء، كلها في الأغلب، وقس على ذلك. ثمّ يضيف:

فتكرار الآيات والكلمات" للدلالة على تكرر الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عِرق الاحتياج وإيقاظه، وتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية"(٣)

٤ -"اعلم! أنَّ القرآن مؤسِّس لهذا الدين العظيم المتين ولأساساته، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها. ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

وكذا أن القرآن فيه أجوبة لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة البشرية بألسنة الأقوال والأحوال"(٤).

٥ -"اعلم! أنَّ القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها، فلا بد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صورة مختلفة وأساليب متنوعة"(١)

---

(١) المصدر السابق: 6/230-231.

(٢)المثنوي العربي النوري: 6/208.

(٣) المصدر السابق : 6/71.

(٤)المصدر السابق: 6/71.

٦ -"اعلم! أنَّ لكل آيةٍ ظهرًا و بطنًا وحدًّا ومطّلعًا، ولكل قصدٍ وجوهاً و أحكامًا وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه، وفي آخر لأخرى، وفي سورةً لمقصدٍ وفي أخرى لآخر وهكذا، فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة"[٢]

قضية التكرار في القرآن قديما وحديثا:

أولاً : قديماً

تناول الإمام الخطابي في رسالته (بيان إعجاز القرآن) قضية التكرار فقال: "وأما ما عابوه من التكرار، فإن تكرار الكلام على ضربين: أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً. وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة. فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه. وتدعو الحاجة إليه فيه. بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها."[٣]

وقد عرفه الإمام الزركشي بقوله:

"وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنىً، خشية تناسي الأول لطول العهد به. فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ الله أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ [الزمر:11-15].

يقول أيضاً: "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، ولا سيما إذا تعلق بعضه ببعض."[٤]

وذكر له عدة فوائد هي:

١. التأكيد.

---

(١) المصدر السابق : 71/6.

(٢) المثنوي العربي النوري :71/6.

(٣) بيان إعجاز القرآن مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ص:52.

(٤) الزركشي: محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تعليق مصطفى عبد القادر عطا، ط1 (1408هـ/ 1988م) 3/13-14.

٢. زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول.

٣. إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانياً تطرية له، وتجديداً لعهده.

٤. في مقام التعظيم والتهويل ﴿ **الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ** ﴾ [الحاقة:1-2].

٥. في مقام الوعيد والتهديد﴿ **كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[التكاثر:6-7].

٦. التعجب ﴿ **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** ﴾ [المدثر:19-20].

٧. لتعدد المتعلق ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن:13].

ملاحظتان على تعريفي التكرار عند الخطابي والزركشي:

١. عدّ الخطابي من التكرار ما فيه زيادة معنى، وهذا ليس فيه تكرار.

٢. عدّ الزركشي من التكرار إعادة اللفظ أو مرادفه، وإعادة اللفظ في سياق آخر ليس تكراراً كما في ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ ، وكذلك لا ترادف في القرآن.

ثانياً : حديثاً

يقول الأستاذ الرافعي:

"وههنا معنى دقيق في التحدي، ما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجباً: وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه، لتوكيد الزجر الوحيد وبسط الموعظة، وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنّة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون هذا الباب، وهو مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم، للتهويل والتوكيد والتخويف والتفجع وما يجري مجراها من الأمور العظيمة، وكل ذلك مأثور عنهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة.

بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته."[١]

وفي حديث أستاذنا الدكتور فضل عباس عن التكرار، حصر التكرار في :

١. آيات العقيدة. 2.القصص القرآني. 3.بعض الجمل والآيات.

وقد ناقش القائلين بالتكرار في هذه الثلاثة وأبطل حججهم، محتكماً بهم إلى السياق، ومبيناً في كل ما ادعوا فيه التكرار من معان وفوائد لا توجد في غيرها.[٢]

وقد عرّف التكرار بقوله:

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص:166. وللرافعي كلام جيد حول هذا الموضوع انظر ص:166-168.

(٢) انظر إعجاز القرآن الكريم ص: 221-228.

" هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، فإذا لم يتوافر هذا الشرطان،أي لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص، فإنّ ذلك لا نسميه تكراراً أبداً. هذا هو التعريف الدقيق للتكرار لما يظهر لنا."(١)

أقول: ما ذكره أستاذنا الكريم من قيود في التعريف ينفي التكرار نفياً قاطعاً عن كتاب الله عزّ وجل ، إذ السياق هو الذي يفرض المعنى المراد من اللفظ المعاد.

وبيَّنَ معنى نفي التكرار عن القصص القرآني بقوله:

"ليس نفي التكرار –إذن– أن لا يُذكر حدثٌ من أحداث القصة في سورة أو أكثر، إنَّ هناك أموراً كلية وأحداثاً مهمة رئيسية، لا يجوز أن تخلو منها سورة من السور، ولو خلت منها لخلت القصة من رحيقها الشذي، وسلسبيلها العذب، وعلى هذا فالمنهج القصصي في القرآن هو المنهج البديع المعجز، حيث ذُكرت القصة في سور كثيرة، خُصَت بعض السور بذكر حدث واحد، ثمّ توزعت هذه المشاهد والأحداث على السور التي ذُكرت فيها القصة، قلت أم كثرت، بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها وبحيث يذكر في كل سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها، وبحيث تذكر القصة في السورة في الموضع الذي اختيرت له والذي اختير لها."(٢)

أقول: لاتكرار في القرآن، لأن السياق الذي ترد فيه الآية ، أو الجملة المعادة، هو الذي يحدد معناها.

الإمام النورسي و التكرار في القرآن:

أقول: يمكن القول أن الإمام النورسي نبّه على جملة من القضايا المتعلقة بالتكرار قلما يلتفت إليها غيره، حيث يقول :

١. أن القرآن كتاب ذكر، والذكر جلاء للقلوب، فكان لا بد من تكرار بعض الأمور التي تحتاجها القلوب للتخلص من أمراضها وعللها.
٢. القرآن الكريم خطاب لجميع طبقات البشر، فلهذا أدرج الحكيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر السور ليتسنى لكل واحد أن يصل إلى مأربه بسهولة ويسر.

---

(١) عباس: أ.د. فضل حسن قصص القرآن الكريم، دار الفرقان– عمان،ط1 (1420هـــ/2000م) ص: 63.

(٢) قصص القرآن الكريم ص:73.

٣. إن الحاجات المعنوية الإنسانية تختلف باختلاف الأوقات ، فمنها ما يحتاج إليه من كتاب الله عز وجل في كل آن كـــ(هو و الله) وإلى قسم في كل وقت كـــ(بسم الله) والى قسم في كل ساعة كـــ(لا إله الأ الله) وهكذا فقس.

٤. إن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم، وأساس لقيام العالم الإسلامي، ولابد للمؤسس من التكرير للتثبيت ومن الترديد للتأكيد ، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

٥. المسائل العظيمة التي يدعو إليها القرآن ، لابد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في الأفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة[١] .

ويختم الإمام النورسي موقفه من التكرار فيقول : " اعلم أن لكل آية ظهراً وبطناً وحدّاً ومَطلعا ً، ولكل قصد وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه، وفي آخر لآخر، وفي سورة لمقصد، وفي أخرى لآخر ، فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة"[٢]

المطلب الرابع: الوحدة البنائية في القرآن

أولا :الوحدة البنائية والتفسير الموضوعي:

إذا عرفنا أن دراسة التفسير الموضوعي الذي يتناول القضايا القرآنية في أكثر من سورة، والوحدة الموضوعية تتناول السورة الواحدة وما فيها من موضوعات، فقد يبدو التناقض بينهما، مع أن الدراستين تهدفان إلى خدمة كتاب الله عزّ وجل وبيان إعجازه.

ولإزالة اللبس عن هذا التناقض الموهوم، أبدأ بقول الله تعالى: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴾ [النساء:82]، فالكلام الفصل هو كلام الله سبحانه وتعالى، ولكن ذلك لا يمنع من البرهنة على عدم التناقض.

النظر في التفسير الموضوعي من جانبين:

الأول: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية وبيان ترابطها وما فيها من مناسبات، وقد أبدع الإمام النورسي في هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي، وقد عرضت ذلك من خلال سورة الفاتحة بشكل موجز.

---

(١) انظر المثنوي العربي النوري ص:70-71

(٢) المصدر السابق ص:71.

الثاني: التفسير الموضوعي للموضوع القرآني وبيان ترابط الآيات وإن وردت في سور مختلفة.

والنظر في هذا الجانب يقترب كثيراً من الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

وإذا تجاوزنا السورة الواحدة إلى ترابطها مع السور الأخرى، والموضوع إلى ربطه مع الموضوعات الأخرى وصلنا إلى الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

وأوضح مثال على ذلك الإنسان كمخلوق رباني، يشترك فيه البشر بصفات كثيرة، ولكن يتميز البشر إلى سلالات مختلفة، وكل سلالة فيها أفراد يمتاز بعضهم عن بعض، فالقرآن كلّه كتاب هداية للبشر، وكل سورة تسهم في تحقيق هذا الهدف، وكل آية في كل سورة تعمل مع أخواتها لتحقيق ذلك.

ثانيا: الوحدة البنائية في القرآن

قد وقف العلماء من هذا الموضوع مواقف متباينة، فمن مؤيدين لها وهم كثرة، إلى معارض وهم قلة، وقبل عرض المواقف، أذكر تعريفًا مختصرًا ذكره الأستاذ الدكتور زياد الدغامين، حيث قال: "والمراد بالوحدة البنائية للقرآن الكريم انتظام الآيات في السورة الواحدة، وانتظام السورة في مواقعها التي ثبتت توقيفاً، بحيث يظهر القرآن بصورة بناء واحد منتظم الأركان والمعالم لا ترى فيه عِوجا ولا أمتاً "[(١)]

وقد ذكر الإمام البقاعي [(٢)]:في مقدمة تفسيره جهود بعض العلماء في بيان المناسبات بين السور والآيات، بما يُظهر ارتباط الآيات والسور بعضها ببعض، كأنها بنيان مرصوص يشد بعضه بعضًا.

موقف المعارضين:

من المعارضين للوحدة البنائية في القرآن الكريم، الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله حيث قال:" ومَنْ ربط ذلك فهو متكلف بما لا يُقدر عليه، إلا بربط ركيك يُصان عنه حَسَن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نــزل في نيِّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب"[(٣)]

موقف المؤيدين:

---

(١)الدغامين :أ.د. زياد خليل ، إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي: - منشورات جامعة آل البيت ط 2(1430هـ /2009م). (ص:152)

(٢) برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن الحسن البقاعي (809- 885هـ) نزيل القاصم ثم دمشق .عالم ، أديب ، مفسر ، محدث، مؤرخ، من مؤلفاته نظم الدرر في المتناسب الآي والسور في التفسير، الأصل الأصيل في تحريم التعد من التوراة والإنجيل ، القول المألوف في الرد علىمنكر المعروف وغيرها. معجم المؤلفين / عمر رضا كحاله ، دار إحياء التراث العربي71/1

(٣) البرهان في علوم القرآن: 63/1.

١ -الإمام البقاعي: يقول في مقدمة تفسيره: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقًا، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز." (١).

٢ -الدكتور محمد عبد الله دراز: يقول في كتابه القيم" النبأ العظيم": "أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجّمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيتْ حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرتَ بنيةً متماسكةً قد بنيت من المقاصد الكلية على أُسس وأصول، ،وأُقيم على كل أصل منها شُعبٌ وفصول، وامتدَّ من كل شعبة منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها، كما تنتقل بين حُجُراتٍ وأفنية في بنيان واحد قد وُضع رسمه مرة واحدة، لا تُحسُّ بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفاً."

ويزيد –رحمه الله- الأمر توضيحًا ليبين مزيد الترابط بين السور، فيقول: ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق في السورة الواحدة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباطٌ موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية."(٢)

ثالثا: الإمام النورسي والوحدة البنائية في القرآن:

بديع الزمان النورسي: ذكر ذلك في أكثر من موضع من رسائل النور، حيث استبعد الأسباب المخلة بالتجاوب والتعاضد والتساند بين آيات وسور القرآن الكريم، فقال:

---

(١)البقاعي : برهان الدين إبراهيم بن عمر. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تعليق عبد الرزاق غالب المهدي،دار الكتب العلمية ط3(2006م -1427هـ.)، انظر 1/5-8

(٢) النبأ العظيم: (154-155).

"إن القرآن الكريم قد جمع السلاسة الرائقة والسلامة الفائقة والتساند المتين والتناسب الرصين والتعاون القوي بين الجمل وهيئاها، والتجاوب الرفيع بين الآيات ومقاصدها، بشهادة علم البيان وعلم المعاني، وشهادة ألوف من أئمة هذه العلوم كالزمخشري والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني، مع أن هناك ما يقارب تسعة أسباب مهمة تخل بذلك التجاوب والتعاون والتساند والسلاسة والسلامة، فلم تؤثر تلك الأسباب في الإفساد والإخلال، بل مدّت وعضّدت سلاسته وسلامته وتسانده، إلا ما أجرته بشيء من حِكَمِها في إخراج رؤوسها من وراء ستار النظام والسلاسة، وذلك لتدل على معانٍ جليلة من سلاسة نظم القرآن، بمثل ما تُخرج البراعم بعض البروزات والندب في جذع الشجرة المنسقة، فهذه البروزات ليست لإخلال تناسق الشجرة وتناسبها، وإنما لإعطاء ثمرات يتم بها جمال الشجرة وكمال زينتها."

ثم ذكر الأسباب:

١ -إن ذلك القرآن المبين نـــزل في ثلاث وعشرين سنة، نجمًا نجمًا لمواقع الحاجات، نزولاً متفرقًا متقطعًا، مع أنه يُظهر من التلاؤم الكامل كأنه نـــزل دفعة واحدة.

٢ -وأيضًا إن ذلك القرآن المبين نـــزل في ثلاث وعشرين سنة لأسباب نزول مختلفة متباينة، مع أنه يُظهر من التساند التام كأنه نـــزل لسبب واحد.

٣ -إن ذلك القرآن جاء جواباً لأسئلة مكررة متفاوتة، مع أنه يُظهر من الإمتزاج التام والإتحاد الكامل كأنه جوابٌ عن سؤال واحد.

٤ -وإن ذلك القرآن جاء بيانًا لأحكام حوادث متعددة متغايرة، مع أنه يبين من الانتظام الكامل كأنه بيان لحادثة واحدة.

٥ -وإن ذلك القرآن نـــزل متضمنًا لتنـــزلات كلامية إلهية في أساليب تناسب أفهام مخاطبين لا يُحصرون، وحالات من التلقي متخالفة متنوعة، مع أنه يبين من السلاسة اللطيفة والتماثل الجميل كأن الحالة واحدة والفهم واحد، حتى تجري السلاسة كالماء السلسبيل.

٦ -وإن ذلك القرآن جاء مكلمًا متوجهًا إلى أصناف متعددة متباعدة من المخاطبين، مع أنه يُظهر من سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأن المخاطبين صنفٌ واحد، بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب وحده بالأصالة.

٧ -وإن ذلك القرآن نـــزل هاديًا وموصلاً إلى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع أنه يبين من الاستقامة الكاملة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كأن المقصد واحد.

فهذه الأسباب مع أنها أسباب للتشويش واختلال المعنى والمبنى إلا أنها استخدمت في إظهار إعجاز بيان القرآن وسلامته وتناسبه.

نعم! من كان ذا قلب غير سقيم، وعقل مستقيم، ووجدان غير مريض، وذوق سليم، يرى في بيان القرآن سلاسة جميلة، وتناسقًا لطيفًا، ونغمة لذيذة، وفصاحة فريدة. فمن كانت له عين سليمة في بصيرته، فلا ريب أنه يرى في القرآن عينًا ترى كل الكائنات ظاهرًا وباطنًا بوضوح تام، كأنها صحيفة واحدة، فيقلِّبها كيف يشاء، فيعرِّف معانيها على ما يشاء من أسلوب.

فلو أردنا توضيح حقيقة هذا النور الأول بأمثلة لاحتجنا إلى بضعة مجلدات. لذا نكتفي بالإيضاحات التي تخص هذه الحقيقة في كلٍّ من: "الرسائل العربية" و"إشارات الإعجاز" والكلمات الخمس والعشرين السابقة، بل القرآن الكريم بكامله مثال لهذه الحقيقة. أبيّنه كله دفعة واحدة."(١)

أقول: أشار النورسي أنها تسعة أسباب و لم يذكر منها إلا سبعة ، وقد تكرر ذلك في حديثه عن وجوه الإعجاز، والطبقات التي تُخاطَب بالإعجاز.

تطبيقات الوحدة البنائية عند الإمام النورسي:

وقد طبق الإمام النورسي ما أشار إليه من الوحدة الموضوعية والبنائية على ما فسره في كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، حيث فسر الفاتحة ونيفٍ وثلاثين آيةً من سورة البقرة.

وسأذكر ما بينه إمامنا من الوحدة الموضوعية من خلال سورة الفاتحة، وبيان الترابط بين الآيات والجمل، من خلال تفسير آياتٍ من سورة البقرة:

أولاً: وجه النظم في سورة الفاتحة:

"وجه النظم: إن لفظ الجلالة كما يتجلى منه الجلال بسلسلته، كذلك يتراءى الجمال بسلسلته من ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [الفاتحة:3]. إذ الجلال والجمال أصلان تسلسل منهما- بتجليهما في كل عالم- فروع: كالأمر والنهي، والثواب والعذاب، والترغيب والترهيب، والتسبيح والتحميد، والخوف والرجاء إلى آخره"(٢).

ويقول: "إن قلت: تذييل(٣) (الرحمن) الدال على النعم العظيمة بـــ (الرحيم) الدال على النعم الدقيقة يكون صنعة التدّلي. والبلاغة في صنعة الترقي من الأدنى إلى الأعلى؟

---

(١) الكلمات :481/1-482.

(٢) إشارات الإعجاز: 25/5.

(٣) كلمة تذييل لا يليق استعمالها مع النص الكريم ولو قال تعقيب لكان أولى.

قلتُ: تذييل للتتميم كالأهداب للعين واللجام للفرس... وأيضاً لّما توقفت العظيمة على الدقيقة، كانت الدقيقة أرقى، كالمفتاح للقفل واللسان للروح... وأيضا لما كان هذا المقام مقام التنبيه على مواقع النعم كان الأخفى أجدر بالتنبيه، فيكون صنعة التدّلي في مقام الامتنان والتعداد صنعة الترقي في مقام التنبيه." [١]

﴿ الْحَمْدُ ﴾:

"وجهُ النظمِ مع ما قبله: إن "الرحمن" و"الرحيم" لما دلّتا على النعم استوجبتا تعقيب الحمد"[٢]

ويضيف: "ثم وجه نظمه في هذا المقام، أي جعله فاتحةَ فاتحةِ القرآن هو: أنه كتصور العلة الغائية المقدَّم في الذهن، لأن الحمدَ صورةٌ إجماليةٌ للعبادة التي هي نتيجةٌ للخِلقة، والمعرفة التي هي حكمةٌ وغايةٌ للكائنات، فكأن ذكره تصور للعلة الغائية."[٣]

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[الفاتحة:3]:

"وجهُ النظمِ: إنهما إشارتان إلى أساسَيْ التربية، إذ "الرحمن" لكونه بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع، و" الرحيم" لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار، وهما الأساسان للتربية"[٤].

أقول: هذه النظرة التربوية من بديع الزمان النورسي جديرة بالاهتمام، إذ بناء التربية يشمخ إذا قام على هذين الأساسين، جلب المنافع، ودفع المضار،وهذه قاعدة فقهية لاستنباط الأحكام الشرعية.

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[الفاتحة:4]:

أي يوم الحشر والجزاء.

"وجهُ النظمِ: إنه كالنتيجة لسابقه، إذ الرحمة من أدلة القيامة والسعادة الأبدية، لأن الرحمة إنما تكون رحمةً، والنعمةَ نعمةً إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية. وإلا فالعقل الذي هو من أعظم النِعَم يكون مصيبةً على الإنسان، والمحبة والشفقة اللتان هما من ألطف أنواع الرحمة تتحولان ألَمًا شديدًا بملاحظة الفراق الأبدي"[٥]

"إن قلت: إنّ الله تعالى مالكٌ لكل شيء دائماً فما وجه الاختصاص؟

قلت: للإشارة إلى أن الأسباب الظاهرية التي وضعها الله تعالى في عالم الكون والفساد لإظهار عظمته- أي لئلا يرى في ظاهر نظر العقل مباشرةُ يدِ القدرة بالأمور الخسيسة في جهة ملك الأشياء- ترتفع

(١) المصدر السابق : 26/5

(٢) إشارات الإعجاز: 26/5.

(٣) المصدر السابق:27/5.

(٤) المصدر السابق: 28/5.

(٥) إشارات الإعجاز: 29/5.

في ذلك اليوم وتتجلى ملكوتيةُ كل شيء صافيةً شفافةً، بحيث يرى ويعرف كلُّ شيء سيدّه وصانعه بلا واسطة، وفي التعبير بلفظ (اليوم) إشارة إلى أمارة حدسية من أمارات الحشر بناءً على التناسب البيّن بين اليوم والسنة، وعمر البشر ودوران الدنيا."[1]

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة:5]:

"وجه النظم: أن "نعبد" بيان وتفسير لـــ " الحمد" ونتيجة ولازم لــِ "مالك يوم الدين".

"واعلم أن تقديم" إياك: للإخلاص الذي هو روح العبادة. وأن في خطاب الكاف رمزًا إلى علة العبادة، لأن من اتصف بتلك الأوصاف الداعية إلى الخطاب استحق العبادة." [2]

أقول: ليست الكاف وحدها هي الدالة على علة العبادة وإنما (إياك) مجتمعة، وكأن الإمام النورسي نظر إلى من قال بجواز الوقف على (إيّا) من القراء.

"كرَّر ﴿ إِيَّاكَ ﴾ لتزيد لذة الخطاب والحضور... ولأن مقام العيان أعلى وأجلُّ من مقام البرهان..ولأن الحضور أدعى إلى الصدق وبأن لا يكذب...ولاستقلال كلٍ من المقصدين

واعلم! أن نظم" نستعين" مع"نعبد" كنظم الأجرة مع الخدمة، لأن العبادة حق الله على العبد، والإعانة إحسانُه تعالى لعبده. وفي حصر "إياك" إشارة إلى أنّ بهذه النسبة الشريفة التي هي العبادة والخدمة له تعالى يترفع العبد عن التذلل للأسباب والوسائط، بل تصير الوسائط خادمة له وهو لا يعرف إلا واحدًا، فيتجلى حُكمُ دائرة الاعتقاد والوجدان كما مر. ومن لم يكن خادمًا له تعالى بحقّ يصير خادمًا للأسباب ومتذللاً للوسائط."[3]

﴿ اهْدِنَا ﴾[الفاتحة:6]:

"وجه النظم: أنه جواب العبد عن سؤاله تعالى، كأنه يسأل: أي مقاصدك اعلق بقلبك؟ فيقول العبد: اهدنا.

واعلم! أن (اهدنا) بسبب تعدد مراتب معانيه- بناء على تنوّع مفعوله إلى الهادين والمستهدين والمستزيدين وغيرهم -كأنه مشتق من المصادر الأربعة لفعل الهداية.

فاهدنا باعتبار معشر (ثبّتنا)، وبالنظر إلى جماعة (زدنا)، وبالقياس إلى طائفة (وفّقنا)، وإلى فرقة (أَعطنا)، وأيضاً فإنّ الله تعالى بحكم أنه ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه:50] هدانا بإعطاء الحواس

---

(١) المصدر السابق:29/5.

(٢) المصدر السابق : 29/5.

(٣) إشارات الإعجاز: 30/5-31.

الظاهرة والباطنة، ثمّ هدانا بنصب الدلائل الآفاقية والأنفسية، ثم هدانا بارسال الرسل وانزال الكتب ثمّ هدانا أعظم الهداية بكشف الحجاب عن الحقّ فظهر الحقّ حقاً والباطل باطلاً."(١)

أقول: مصادر الهداية أربع هي: هِداية، هُدى، هُدي، هِدي، ولا تكون مفاعيل وإنما تسد مسد الفاعل.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة:7]:

"اعلم! أن نظم درر القرآن ليس بخيط واحد، بل النظم —في كثير– نقوش تحصل من نسجِ خطوطِ نسبٍ متفاوتةٍ ، قرباً وبُعدًا، ظهورًا وخفاءً. لأن أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش. مثلاً: "صراط الذين أنعمت عليهم" يناسب:

(الحمد لله) لأن النعمة قرينة الحمد.

و(رب العالمين) لأن كمال التربية بترادف النِعَم..

و(الرحمن الرحيم) لأن المنعَم عليهم —أعني الأنبياء والشهداء والصالحين– رحمة للعالمين ومثال (ظاهر للرحمة).

و(مالك يوم الدين) لأن الدين هو النعمة الكاملة.

و(نعبد) لأنهم الأئمة...

و(نستعين) لأنهم الموفقون..

و(اهدنا) لأنهم الأسوة بسر ﴿ **فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ** ﴾ [الأنعام:90].

و(الصراط المستقيم) لظهور انحصار الطريق المستقيم في مسلكهم."(٢)

أقول: ليس المعنى هو ما ذهب إليه من أنّ الدين هو الملة، بل المعنى في الآية الحساب.

وفي لفظ (الصراط) إشارة إلى أن طريقهم مسلوكة محدودة الأطراف، من سلكها لا يخرج عنها.

وفي لفظ (الذين) بناءً على أنه موصول، ومن شأن الموصول أن يكون معهوداً نصب العين للسامع.. إشارة إلى علو شأنهم وتلألؤهم في ظلمات البشر، كأنهم معهودون نصب العين لكل سامع، وإن لم يتحرّ و لم يطلب... وفي جمعيته رمز إلى إمكان الإقتداء بهم، وحقانية مسلكهم بسر التواتر، إذ (**يد الله مع الجماعة**)(٣)

---

(١) المصدر السابق: 31/5.

(٢) إشارات الإعجاز:5/33–34.

(٣) رواه الطبري والترمذي وحسّنه بلفظ (يد الله مع الجماعة)، كشف الخفاء:391/2، وصححه محقق الجامع الصغير (7921) وعزاه للحاكم والبيهقي.

وفي صيغة (أنعمت) إشارة إلى وسيلة طلب النعمة...وفي نسبتها شافع له، كأنه يقول: يا إلهي! من شأنك الإنعام وقد أنعمت بفضلك، فأنعم عليّ وإن لم أستحق.

وفي (عليهم) إشارة إلى شدة أعباء الرسالة وحمل التكليف، وإيماء إلى أنهم كالجبال العالية تتلقى شدائد المطر لإفاضة الصحارى. وما أجمل في (الذين أنعمت عليهم) يفسره ﴿ **فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ﴾ [النساء:69] إذ القرآن يفسر بعضه بعضاً."[١]

﴿ **غَيْرِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾[الفاتحة:7]:

"وجه النظم: اعلم! أن هذا المقام لكونه مقام الخوف والتخلية يناسب المقامات السابقة، فينظر بنظرة الحيرة والدهشة إلى مقام توصيف الربوبية بالجلال والجمال، وبنظر الالتجاء إلى مقام العبودية في (نعبد)، وبنظر العجز إلى مقام التوكل في (نستعين)، وبنظر التسلي إلى رفيقه الدائمي أعني مقام الرجاء والتحلية، إذ أول ما يتولد في قلب من يرى أمراً هائلاً حِسُّ الحيرةِ، ثمّ ميلُ الفرارِ، ثمّ التوكلُ عند العجز، ثمّ التسلي بعد ذلك الأمر

إن قلتَ: إنّ الله عزّ وجل حكيم غنيّ فما الحكمة في خلق الشر والقبح والضلالة في العالم؟ قيل لك: اعلم، أن الكمال والخير والحسن في الكائنات هي المقصودة بالذات وهي الكليات، وأن الشر والقبح والنقصان جزيئات بالنسبة إليها، قليلة تبعية مغمورة في الخِلقة، خلقها خالقها منتشرة بين الحسن والكمال، لا لذاتها، بل لتكون مقدمة، وواحداً قياسياً، لظهور –بل لوجود- الحقائق النسبية للخير والكمال."[٢].

أقول: يعلل الإمام النورسي وجود القبح والنقصان لإظهار نصاعة الخير وكماله إذ بضدها تتميز الأشياء.

ثانياً:بيان وجه التناسب بين الجمل والآيات من خلال نماذج من تفسير آيات من سورة البقرة، منها :

منها قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ والله مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة :19-20]

(١) إشارات الإعجاز : 34/5.

(٢) إشارات الإعجاز :35/5.

اعلم! أنَّ التنـــزيل لما قال: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ مشيرًا إلى أنهم كالذين اضطروا إلى السفر في صحراء موحشة، في ليلة مظلمة، تحت مطر شديد، كأن قطراتِهِ مصائبُ تصيبُ مرماها بصوبها، وقد ملأت الجوّ بكثرتها، استيقظ ذهن السامع منتظرًا لبيان السبب في أن صار الصيّب الذي هو في الأصل رحمةً مرغوبةً مصيبةً هائلة، فقال مصورًا لدهشته: ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾ مشيرًا إلى أن المطر كما هو ظرف لظلمة السحاب ولكثافته، كذلك لأجل عمومه وكثرته وإحاطته، كأنه ظرف لليلة المُتَفَتِّتَةِ قطراتٍ مسودةً بين قطراتِهِ .. ثم ما من سامع يسمع ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾ إلا وينتظر البيان. كأن المتكلم سمع صدى الرعد من ذهن السامع فقال: ﴿وَرَعْدٌ ﴾مشيرًا إلى تهويل الحال وتشديدها بأن السماء أميرة الموجودات عزمت على إهلاككهم، وتصيح عليهم برعدها، إذ المصاب المدهوش يتخيل من الكائنات المتعاونة على إضراره حركة مزعجة تحت سكونها، ونطقًا مهيبًا تحت سكوتها. فإذ سمع الرعد توهم أنها تتكلم بما يهدده وتصيح عليه، إذ بالخوف يحسب كل صيحة عليه .. ثم إن السامع لا يسمع الرعد إلاّ ويستهل فيبرق في ذهنه رفيقه الدائميّ، ولذلك قال: ﴿وَبَرْقٌ﴾ مشيرًا بالتنكير إلى أنه غريب عجيب. نعم! هو في نفسه عجيب، إذ بتولده يموت عالمٌ من الظلمات، فتطوى وتلقى إلى العدم، وبموته فجأة يحيى ويحشر عالم من الظلمات. كأنه نار حينما تنطفئ تورث ملء الدنيا دخانًا. ومن شأن المصاب بها أن يمعن النظر ولا يمر بنظر سطحي بناء على الألفة والمناسبة حتى يتكشف عن دقائق صنع القدرة .. ثم بعد هذا التصوير كأن ذهن السامع يتحرك سائلاً: كيف يعملون؟ وبِمَ يتشبثون؟ فقال: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ مشيرًا إلى أن لا مناص ولا ملجأ ولا منجى، لهم حتى أنهم كالغريق، يتمسكون بما لا يُتَمَسكُ به. فمن الدهشة يستعملون الأصابع موضع الأنامل، كأن الدهشة تضرب على أيديهم فيُدخِلون الأصابع من الوجع في الآذان، ومن التبله أنهم يسدون الآذان لئلا تصيبهم الصواعق ... ثم بعد هذا يتحرى ذهن السامع سائلاً: أعمَّت المصيبة أم خصّت فيُرجى؟ فقال: (والله محيط بالكافرين) مشيرًا إلى أن هذه المصيبة جزاءً لكفرانهم النعمة، يؤاخذهم الله تعالى به لشذوذهم عن القانون الإلهي المودع في الجمهور"(١)

أقول: قد أبدع الإمام النورسي بتوظيف كلمات وجمل الآية الكريمة لبيان المعنى، مراعياً الحالة النفسية للمذكورين فيها.

ثالثاً: وجه النظم بين الآيات:

ثم بعد ذلك يذكر المناسبة بين الآيتين فيقول:

---

(١) إشارات الإعجاز: 136/5.

"ثم لما سمع شدة الرعد يحدّث نفسه بـــ "ألا يفيدهم البرق بإراءة الطريق"؟ فقال: ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ مشيرًا إلى أنه كما أن الرعد يعاديهم فلا يستطيعون السمع، كذلك البرق يخاصمهم بإضاءته فيظلم أبصارهم .. ثم بعد سماع تجاوب الكائنات على عداوتهم ينادي ذهن السامع بـــ "فما مصير حالهم وما يفعلون؟" بم يشتغلون؟ فقال: ﴿ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ مشيرًا إلى أنهم مشوشون مترددون متحيرون، مترقبون لأدنى فرصةٍ ولأدنى رؤيةٍ للطريق. فكلما تراءت لهم يتحركون لكن كحركة المذبوح لاضطراب أرواحهم، ويخطون خطى يسيرة مع علمهم بأن لا فائدة، وكلما غشيتهم الظلمة فجأة يتجمدون في مقامهم. ثم يستعد ذهن السامع للاستفسار ب "لِمَ لا يموتون أو يُعمَونَ أو يُصَمَونَ بالمرّة فيخلصون من الاضطراب؟" فقال: ﴿ وَلَوْ شَاء اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ أي ليسوا مستحقين للخلاص من الاضطراب، ولهذا لا تتعلق المشيئة بإماتتهم، ولو تعلقت لتعلقت بذهاب سمعهم وبصرهم. لكن بقاء السمع لاستماع العقاب، ووجود البصر لرؤية العذاب أجدر بمن شذ ونشز عن قانونه تعالى..

ثم إن هذه القصة لما احتوت على نقاط يتلوح من معاطفها استطرادًا: العظمة والقدرة الإلهية، وتصرفه تعالى في الكائنات، ولا سيما يتذكر السامع تبعًا في تلافيفها عجائب الرعد والبرق والسحاب، كان من حق السامع المتيقظ وجدانه أن يعلن ويقول: سبحانه ما أعظم قدرة مَنْ هذه الكائنات تُجلّي هيبته، وهذه المصيبات تجلِي غضبه. فقال:﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾"[١].

المطلب الخامس :الفاصلة القرآنية

تعدُّ الفاصلة القرآنية رافداً من روافد الإعجاز البياني، وحتى يكون الأمر واضحًا فلا بد من الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للفاصلة.

المعنى اللغوي:

١ يقول ابن فارس:

"فصل: الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدلُّ على تمييز الشيء من الشيء، وإبانته عنه. يُقال: فصلتُ الشيء فصلاً، والفيصل: الحاكم، والفصِيل: ولدُ الناقة إذا افتُصِل عن أمِّه، والمِفصَل:اللسان، لأنه به تُفصل الأمور وتميز."[٢]

---

(١) إشارات الإعجاز: 5/136-137.

(٢) معجم المقاييس في اللغة ص:837.

٢ يقول الزمخشري:

"ف ص ل .تقول كانوا حكامًا فياصل يحزُّون في الحكم المفاصل، جمع فيصل ، وهو الفاصل بين الحق والباطل. وهذا أمر فيصل أي مقطع للخصومات."(١)

المعنى الاصطلاحي:

ذكر أستاذنا الدكتور فضل حسن عباس تعريفًا للفاصلة القرآنية فقال: "يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سَمُّوا ما خُتم به بيت الشعر قافية، أطلقوا ماخُتمت به الآية الكريمة فاصلة".(٢)

ونحو ذلك ذكر محمد الحسناوي: "وفي علوم القرآن: أواخر الآيات في كتاب الله –عز وجل– فواصل بمنـــزلة قوافي الشعر، جلَّ كتاب الله– واحدتها فاصلة"(٣)

ثم ذكر الحسناوي تعريفات مختلفة للعلماء، تتفق مع ما ذُكر من تعريف في علوم القرآن ، بإضافات طفيفة من هذا العالم أو ذاك، ليخلص بعد ذلك إلى تعريفه هو للفاصلة، فيقول: "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر. والتفصيل توافق أواخر الآي في حروف الرويّ، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس"(٤)

ويقول الدكتور فاضل السامرائي توضيحًا للفاصلة وغرضها: "غير أن الذي نريد أن نؤكده هنا أن القرآن الكريم راعى في كل ذلك أيضًا ما يقتضيه التعبير والمعنى، ولم يفعل ذلك للانسجام الموسيقي وحده، فإنه لو لم يكن الجانب الموسيقي مراعىً في ذلك لاقتضاه الكلام من جهة أخرى، فهو لم يختم آية الشعراء بكلمة (هارون) وآية طه بكلمة (موسى) مراعاة للانسجام الموسيقي وحده، بل اقتضاه الكلام من جهة أخرى، فهو قد راعى الانسجام الموسيقي وما يقتضيه الكلام، فلم يَجُرْ موطن على آخر وهذا غاية الإعجاز ونهاية الحسن في الكلام"(٥)

بديع الزمان النورسي والفاصلة القرآنية:

---

(١)الزمخشري: الإمام جارالله أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة:. مكتبة لبنان ناشرون. ط1(1996م)، ص:339 .

(٢) إعجاز القرآن الكريم ص:214.

(٣)الحسناوي :محمد ، الفاصلة في القرآن – دار عمار الطبقة الثانية(1421هــ/2000م)، ص:25

(٤) الفاصلة في القرآن:ص:29.

(٥)السامرائي د. فاضل صالح ، التعبير القرآني. دار عمار/الطبعة الخامسة(1428هــ/2007م)، : ص:218

جعل بديع الزمان النورسي الفاصلة القرآنية جزءاً مما أسماه "الفذلكة" [١] أو الخلاصة، حيث يقول: "فالقرآن الكريم يذكر في أكثر الأحيان قسمًا من الخلاصات والفذلكات في خاتمة الآيات: فتلك الخلاصات: إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أن تحيل قضاياها إلى العقل وتحثه على التفكر والتدبر فيها.. أو تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها"[٢]

وذهب الإمام أبو عمرو الداني إلى قريباً مما ذهب إليه الإمام النورسي، حيث ذكر ذلك عنه الإمام الزركشي أنه فرق بين الفواصل ورؤوس الآي، وقال: إنّ الإمام أبا عمرو الداني [٣] فرّق بين الفواصل ورؤوس الآي، قال: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكُنّ رؤوس آي وغيرها. وكلُّ رأس آية فاصلة، وليس كلُّ فاصلةٍ رأسَ آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين."[٤]

ومن خلال بحثه توصل بديع الزمان النورسي إلى "عشر إشارات" نتائج تتعلق بالفاصلة القرآنية:

١. "القرآن الكريم-ببياناته المعجزة- يبسط أفعال الصانع الجليل ويفرش آثاره أمام النظر ثم يستخرج من تلك الأفعال والآثار، الأسماء الإلهية، أو يثبت مقصدًا من مقاصد القرآن الأساسية كالحشر والتوحيد.

مثاله قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : 29].

ففي الآية يعرض القرآن الآثار الإلهية العظيمة التي تدل بغاياتها ونظمها على علم الله وقدرته، يذكرها مقدمة لنتيجة مهمة وقصد جليل ثم يستخرج اسم الله "العليم".[٥]

أقول: هذا ملحظ مهم من الإمام النورسي كأن كل كلمة في الآية تشير إلى هذا الاسم الرباني إليه وحده وليس إلى اسم آخر غيره.

---

(١) فَذلَكَ الحال: أنهاه وفرغ منه وهي منحوتة من قوله فذلك كذا وكذا، إذا أجمل حسابه، الفذلكة: مجمل ما فُصل وخلاصته (محدثة)، المعجم الوسيط: 678/2.

(٢) الكلمات: 483/1.

(1) أبو عمرو الداني: هو عثمان بن سعيد بن عثمان، ويقال له الصيرفي، من موالي بني أمية، مولده في (دانية) في الأندلس ووفاته فيها444هـ، من كتبه: التيسير والإشارة والمقنع والبيان في عدّ آي القرآن وطبقات القراء وجامع البيان/ النجوم الزاهرة :54/5، الأعلام : 306/4.

(٤) البرهان في علوم القرآن : 84/1.

(٥) الكلمات : 484/1

٢. "القرآن الكريم ينشر منسوجات الصنعة الإلهية ويعرضها على أنظار البشر ثمَّ يلفُّها ويطويها في الخلاصة ضمن الأسماء الإلهية، أو يحيلها إلى العقل.

مثاله قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة : 164].

يقول الإمام النورسي بعد عرض ما في الآية من آيات دالة على كمال القدرة والعظمة والرحمة: " وهكذا بعد سرد منسوجات الصنعة الإلهية يسوق العقل إلى اكتناه حقائقها تفصيلاً فيقول: ﴿ **لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ آخذًا بزمام العقل إلى التدبر موقظاً إياه إلى التفكر"(١)

أقول: الفذلكة التي يتحدث عنها الإمام النورسي في هذه الآية، تبين التناسب بين الفاصلة وموضوع الآية.

٣. "القرآن الكريم قد يذكر أفعال الله سبحانه بالتفصيل ثم بعد ذلك يوجزها ويجملها بخلاصة، فهو بتفصيلها يورث القناعة والاطمئنان وبإيجازها وإجمالها يسهِّل حفظها وتقييدها."

وذكر بعد ذلك مثالين، أحدهما قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران :26-27].

تعرض هذه الآية أفعال الله سبحانه في المجتمع الإنساني وتفيد:

بأن العزة والذلة والفقر والغنى مربوطة مباشرة بمشيئة الله وإرادته تعالى أي: " إن التصرف في أكثر طبقات الكثرة تشتتاً إنما هو بمشيئة الله وتقديره فلا دخل للمصادفة قط".(٢)

أقول: ذكرت الآية الكريمة أفعال الله عزّ وجل، التي لا يملك الإنسان منها شيئاً، وختمها بقوله ﴿ **وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ دفعاً لأدنى شك بأن الرزق من عند غير الله عزّ و جل، كما أن الأفعال المذكورة بيده وحده فالأرزاق بيده وحده.

---

(١) المصدر السابق:486/1.

(٢) الكلمات: 487/1.

٤. "إن القرآن الكريم يذكر المخلوقات الإلهية مرتبة بترتيب معين ثم يبين أن في المخلوقات نظاماً وميزاناً، يريان ثمرة المخلوقات وكأنه يضفي نوعًا من الشفافية والسطوع على المخلوقات التي تظهر منها الأسماء الإلهية المتجلية فيها، فكأن تلك المخلوقات المذكورة ألفاظ، وهذه الأسماء معانيها، أو أنها ثمرات وهذه الأسماء نُواها أو لُبابها.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون:12-14] يذكر القرآن خلق الإنسان وأطواره العجيبة الغريبة البديعة المنتظمة الموزونة ذكرًا مرتبًا يبيِّن كالمرآة ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾، حتى كأن كل طور يبيِّن نفسه ويوحي بنفسه هذه الآية، بل حتى قالها قبل مجيئها أحد كتاب الوحي حينما كان يكتب هذه الآية، فذهب به الظن إلى أن يقول: أأوحي إليَّ أيضًا؟ والحال أن كمال نظام الكلام الأول وشفافيته الرائقة وانسجامه التام يُظهر نفسه قبل مجيء هذه الكلمة."(١)

٥. "القرآن الكريم يذكر الجزئيات المادية المعرَّضة للتغيير، والتي هي مناط مختلف الكيفيات والأحوال، ثم لأجل تحويلها إلى حقائق ثابتة يقيدها ويجملها بالأسماء الإلهية التي هي نورانية وكلية وثابتة. أو يأتي بخلاصة تسوق العقل إلى التفكر والاعتبار." (٢)

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ* وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:66-69].

تعرض هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى جعل الشاة، والمعزى، والبقر، والإبل، وأمثالها من المخلوقات ينابيع خالصة زكية لذيذة تدفق الحليب، وجعل سبحانه العنب والتمر وأمثالهما أطباقًا من النعمة وجفانًا لطيفة لذيذة ... كما جعل من أمثال النحل–التي هي معجزة من معجزات القدرة– العسل الذي فيه شفاء

---

(١) الكلمات:487/1-488 .

(٢) المصدر السابق:488/1-489.

للناس إلى جانب لذته وحلاوته... وفي خاتمة المطاف تحث الآيات على التفكر والاعتبار وقياس غيرها عليها لــ ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١].

٦. "القرآن الكريم قد ينشر أحكام الربوبية على الكثرة الواسعة المنتشرة، ثم يضع عليها مظاهر الوحدة ويجمعها في نقطة توحدها كجهة وحدة بينها، أو يمكّنها في قاعدة كلية. فمثلاً قوله تعالى: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [البقرة : 255] فهذه الآية (أي آيةُ الكرسي) تأتي بعشر جمل تمثل عشر طبقات من التوحيد في أشكال مختلفة وتثبتها، وبعد ذلك تقطع قطعًا كليًا بقوة صارمة عرق الشرك ومداخلة غير الله لــ ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾."[٢].

٧. "الآية تفيد بذكر الثمرات والغايات ليبين أن الأسباب وإن بدت في الظاهر والوجود متصلة مع المسببات، إلا أن بينهما في الحقيقة وواقع الأمر بعدًا شاسعًا جدًا.

نعم! إن المسافة بين السبب وإيجاد المسبَّب مسافة شاسعة بحيث لا طاقة لأعظم الأسباب أن تنال إيجاد أدنى مسبَّب، ففي هذا البعد بين السبب والمسبَّب تشرق الأسماء الإلهية كالنجوم الساطعة. فمطالع تلك الأسماء هي في تلك المسافة المعنوية. فمثلاً:﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ* أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً* ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً* فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً* وَعِنَباً وَقَضْباً*وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً* وَحَدَائِقَ غُلْباً* وَفَاكِهَةً وَأَبّاً* مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾[عبس :24-32].

هذه الآيات الكريمة تذكر معجزات القدرة الإلهية ذكرًا مرتبًا حكيمًا، تربط الأسباب بالمسببات، ثم في خاتمة المطاف تبين الغاية بلفظ ﴿ **مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** ﴾ فتثبت في تلك الغاية أن متصرفًا مستترًا وراء جميع تلك الأسباب والمسببات المتسلسلة، يرى تلك الغايات ويراعيها. وتؤكد أن تلك الأسباب ما هي إلا حجابٌ دونه."[٣].

٨. "إن القرآن قد يذكر من أفعال الله الدنيوية العجيبة والبديعة كي يعدّ الأذهان للتصديق، ويحضر القلوب للإيمان بأفعاله المعجزة في الآخرة. أو أنه يصوّر الأفعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل يجعلنا نقنع ونطمئن إليه، بما نشاهده من نظائرها العديدة. فمثلاً ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ**

---

(١) الكلمات: 489/1.

(٢) المصدر السابق: 489/1-490.

(٣) الكلمات: 491/1-492.

مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ*وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ*قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ*الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ*أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ*إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:77-83].

هنا في قضية الحشر، يثبتُ القرآن الكريم ويسوق البراهين عليها بسبع أو ثماني صور مختلفة متنوعة. (١)

9."القرآن الكريم قد يذكر بعضاً من المقاصد الجزئية، ثم لأجل أن يحوِّل تلك الجزئيات إلى قاعدة كلية، ويجيل الأذهان فيها، يثبّت ذلك المقصد الجزئي ويقرره ويؤكده بالأسماء الحسنى التي هي قاعدة كلية.

ومن أمثلة ذلك، قول الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : 1]

يقول القرآن: إن الله سميع مطلق السمع يسمع كل شيء، حتى إنه ليسمع باسمه " الحق" حادثة جزئية، حاثة المرأة —المرأة التي حظيت بألطف تجلٍ من تجليات الرحمة الإلهية وهي التي تمثل أعظم كنز لحقيقة الرأفة والحنان —هذه الدعوى المقدمة من امرأة وهي محقة في دعواها على زوجها وشكواها إلى الله منه يسمعها باهتمام بالغ كأي أمر عظيم باسم "الرحيم" وينظر إليها بكل جد ويراها باسم "الحق". (٢)

أقول: الحقيقتان العظميتان اللتان أشار إليهما، أن الله عزّ وجلّ يسمع كلّ الأشياء، ويراها، سواءً كانت عظيمة أم دقيقة، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. فالحادثة الجزئية أظهرت مقصداً عاماً وكلياً.

10. "قد تذكر الآية ما اقترفه الإنسان من سيئات، فتزجره زجرًا عنيفًا، ثم تختمها ببعض من الأسماء الحسنى التي تشير إلى الرحمة الإلهية لئلا يلقيه الزجر العنيف في اليأس والقنوط.

فمثلاً: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً* سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً*تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء:42-44]."(٣)

---

(١) انظر المصدر السابق: 1/494-496.

(٢) انظر الكلمات: 1/496-497.

(٣) الكلمات: 1/499-500.

ويختم الحديث عن هذه الإشارات، بقوله:

"فافهم من هذه الإشارات العشر الإعجازية، أن في الخلاصات والفذلكات التي في ختام الآيات لمعات اعجازية كثيرة فضلاً عما تترشح منها من رشحات الهداية الغزيرة، حتى بلغ بدهاة البلغاء أنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الحيرة والإعجاب أمام هذه الأساليب البديعة فقالوا: ما هذا كلام البشر، وآمنوا بحق اليقين بقول تعالى: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم:4].

هذا وإن بعض الآيات إلى جان ب جميع الإشارات المذكورة –تتضمن مزايا أخرى عديدة لم نتطرق إليها في بحثنا، فيُشاهد من إجماع تلك المزايا نقش إعجازي بديع يراه حتى العميان"[١]

أقول: إن النقاط العشرة التي ذكرها الإمام النورسي تعلقها بأسلوب القرآن كبير، وليست كلها متعلقة بالفاصلة، ففيها خير كثير سواء أكانت متعلقة بالفاصلة أو بالأساليب. فجزاه الله خيرًا.

المطلب السادس : الحروف المقطعة في القرآن

الحروف المقطعة مظهر إعجاز:

عند حديث الإمام النورسي عن تفسير (الٓمٓ) في سورة البقرة، تكلم عن كون (الٓمٓ) مظهراً من مظاهر الإعجاز فقال: إنّ الإعجاز قد تنفس من أفق (الٓمٓ)، لأن الإعجاز نور يتجلى من امتزاج لمعات لطائف البلاغة. وفي هذا المبحث لطائف، كل منها وإن دقَّ لكنَّ الكلَّ فجرٌ صادقٌ.

منها: أن (الٓمٓ) مع سائر أخواتها في أوائل السور تنصِّف كل الحروف الهجائية التي هي عناصر الكلمات فتأمل!.

ومنها: أن النصف المأخوذ أكثر استعمالاً من المتروك.

ومنها: أن القرآن كرر من المأخوذ ما هو أيْسَرُ على الألسنة كالألف واللام.

ومنها: أنه ذكر المقطّعات في رأس تسعٍ وعشرين سورة عدة الحروف الهجائية.

ومنها: أن النصف المأخوذ ينصِّف كل أزوج أجناس طبائع الحروف من المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة والمستعلية والمنخفضة والمنفتحة وغيرها، وأما الأوتار فمن الثقيل القليل كالقلقة، ومن الخفيف الكثير كالذلاقة.

ومنها: أن النصف المأخوذ من طبائعها ألطفُ سجيةً.

---

(١) المصدر السابق: 500/1.

ومنها: أن القرآن اختار طريقاً في المقطعات من بين أربعة وخمسمائة احتمال، لا يمكن تنصيف طبائع الحروف إلا بتلك الطريق، لأنّ التقسيمات الكثيرة متداخلة ومشتبكة ومتفاوتة ففي تنصيف كلٍّ غرابةٌ عجيبةٌ.

فمن لم يجتن نور الإعجاز من مزج تلك اللمعات فلا يلومنَّ إلا ذوقه"(١)

أقول: سبق الإمامُ الزمخشري الإمامَ النورسي في الحديث عن ظاهرة التنصيف في الحروف المقطعة حيث أشار إلى ذلك في تفسيره الكشاف، وقد سبقهما الإمام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن.

وينظر الإمام النورسي إلى هذه الحروف نظرة خاصة تؤدي وظيفة مادية في الهواء، فيقول: "وهكذا لأجل جلب الأنظار والحث على التدبر في موجودات ، كأنها برزخ بين المعنويات والماديات ، يقول القرآن الكريم: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [يس : 82]. لذا فمن المعقول جدًا أن تكون الحروف المقطعة التي في أوائل السور أمثال: الم، طس، حم، وما شابهها من الشفرات الإلهية، عُقداً وأزراراً حرفية تستطيع أن تهز أوتار العلاقات الدقيقة الخفية بين ذرات الهواء بلا زمان، بل هذا من شأن تلك الحروف ومن وظائفها أن تؤدي مخابرات قدسية –كاللاسلكي المعنوي– من الأرض إلى العرش". (٢)

ويزيد الأمر توضيحًا فيقول: "فهذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور والتي هي شفرات ورموز إلهية تبين خمسًا أو ستاً من أسرار لمعات إعجاز أخرى، بل إن علماء علم أسرار الحروف والمحققين من الأولياء قد استخرجوا من هذه المقطعات أسراراً كثيرة جدًا، ووجدوا من الحقائق الجليلة ما يثبت لديهم أن المقطعات معجزة باهرة بحد ذاتها.

أما نحن فلن نفتح ذلك الباب لأننا لسنا أهلاً لأسرارهم، زد على ذلك لا نستطيع أن نثبتها إثباتًا مشهودًا لدى الجميع."(٣)

أقول: هذا تفسير للحروف المقطعة غير مقبول، ومبالغة تجاوزت الحدّ وإذا كانت بهذه الأهمية فلماذا لا يفتح هذا الباب؟!!.حتى يفيد منه الناس.

وظيفة الحروف المقطعة:

وعن وظيفتها يقول الإمام النورسي:

اعلم أن (الٓمٓ) كقرع العصا يوقظ السامعَ ويهزُّ عِطفه ، بأنه –بغرابته– طليعةُ غريبٍ وعجيب. ومن لطائف ذلك:

---

(١) إشارات الإعجاز:41/5.

(٢) اللمعات:417/3.

(٣) الكلمات: 431/1-432.

١. التهجي بالتقطيع تلميح إلى إراءة مادة الصنعة، كإلقاء القلم والقرطاس لمن يعارضك في الكتابة. كأن القرآن يقول: "أيها المعاندون المدّعون! إنكم أمراء الكلام، هذه المادة التي بين أيديكم هي التي أصنع منها ما أصنع".

٢. التقطيع المرمز إلى الإهمال عن المعنى يشير إلى قطع حجتهم بـــ " إنّا لا نعرف الحقائق والقصص والأحكام حتى نقابلك" فكأن القرآن يقول: "لا أطلب منكم إلا نظم البلاغة فجيئوا به ومفتريات".

٣. التعبير عن الحروف بأسمائها من رسوم أهل القراءة والكتابة ، ومن يسمعون منه الكلام أمّيّ مع محيطه، فنظرًا إلى السجية- مع أن أول ما يتلقاهم خلاف المنتظر- يرمز إلى: "أن هذا الكلام لا يتولد منه بل يُلقى إليه"[(١)]

أقول: (الحرف له صورة يرسم بها، وله اسم يُلفظ به، فحرف (ص) مثلاً هذه صورته، واسمه: (صاد).

٤. –إن (آلمٓ) مع أخواتها لما برزت بتلك الصورة كانت كأنها تنادي: "نحن الأئمة، لا نقلد أحدًا وما اتبعنا إمامًا، وأسلوبنا بديع، وطرزنا غريب".

إن القرآن بفواتحه ومقاطعه بقي بعدُ كما كان قبلُ، لم يماثل و لم يقلَّد مع تآخذ أسباب التقليد والتأسي من شوق الأوِدّاء وتحدي الأعداء. إن شئت شاهدًا فهذه ملايين من الكتب العربية! هل ترى واحدًا يوازيه، أو يقع قريبًا منه؟ كلا!"[(٢)]

المطلب السابع التصوير الفني عند الإمام النورسي

إن سيد قطب –رحمه الله تعالى- صاحب نظرية التصوير الفني في القرآن، أخرج فكرة التصوير الفني واضحة متكاملة، وطبقها في ظلال القرآن بشكل شامل، وكأنها كانت مدخرة له.

وقد سبق سيد في بعض الإشارات بعض العلماء، ومن هؤلاء الإمام النورسي-رحمه الله- حيث أشار إلى ذلك بقوله: "إن السحر البياني إذا تجلى في الكلام صيّر الأعراض جواهر ، والمعاني أجسامًا ، والجمادات ذوات أرواح، والنباتات عقلاء، فيوقع بينها محاورة ، قد تنجرُّ إلى المخاصمة، وقد تُوصل إلى المطايبة، فترقص الجمادات في نظر الخيال. وإن شئت مثالاً فادخل في هذا البيت:

يُناجيني الإخْلافُ مِن تحتِ مَطلهِ   فتختصم الآمالُ واليأسُ في صدري.[(١)]

---

(١) إشارات الإعجاز: 42/5 بعض التصرف.

(٢) المصدر السابق:44/5.

وقد صور الشاعر حالته من مماطلة محبوبته وكيف تتخاصم الآمال واليأس في صدره، فالأمل واليأس شخصان يتصارعان في الصدر، وهذا إضفاء حياة على المعنويات.

ويقول أيضاً: "وآثر جمع العقلاء مثل ﴿ **رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾[يوسف:4] إشارة إلى أن نظر البلاغة يصور كل جزء من أجزاء العالم بصورة حي عاقل متكلم بلسان الحال. إذ العالم اسم ما يُعلم به الصانع ويشهد عليه ويشير إليه، فالتربية والإعلام يُوميان –كالسجود– إلى أنها كالعقلاء."(٢)

تطبيقات على التصوير الفني عند الإمام النورسي:

ومن الأمثلة على ذلك ،قال تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود : 44].

"للإشارة إلى قطرة من بحر بلاغة هذه الآية الكريمة نبينُ أسلوبًا منها في مرآة التمثيل، وذلك:

إن قائدًا عظيمًا في حرب عالمية شاملة يأمر جيشه بعد إحراز النصر: أوقفوا إطلاق النار ويأمر جيشه الآخر: كُفوا عن الهجوم. ففي اللحظة نفسها ينقطع إطلاق النار ويقف الهجوم، ويتوجه إليهم قائلاً: لقد انتهى كل شيء، واستولينا على الأعداء، وقد نصبتْ راياتنا على قمة قلاعهم ونال أولئك الفاسدون جزاءهم وولوا إلى أسفل سافلين.

كذلك، فإن السلطان الذي لا نّد له ولا مثيل، قد أمر السموات والأرض بإهلاك قوم نوح. وبعد أن امتثلا الأمر توجه إليهما: أيتها الأرض ابلعي ماءك، وأنتِ أيتها السماء اسكني واهدأي فقد انتهت مهمتكما. فانسحب الماء فورًا من دون تريثٍ واستوت سفينة المأمور الإلهي كخيمة ضربت على قمة جبل. ولقي الظالمون جزاءهم.

فانظر إلى علو هذا الأسلوب، إذ الأرض والسماء كجنديين مطيعين مستعدين للطاعة وتلقي الأوامر. فتشير –الآية– بهذا الأسلوب إلى أن الكائنات تغضب من عصيان الإنسان وتغتاظ منه السموات والأرض"(٣).

وقد ذكر الدكتور زياد الدغامين مثالاً على التصوير الفني في قوله تعالى: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ [يس : 39] ، ولا أرى هذا المثال فيه تصوير فني، حيث قال الإمام النورسي: "إن للقمر منـــزلاً هو دائرة الثريا. حينما يكون القمر هلالاً فيه يشبه عرجونًا قديمًا أبيض اللون. فتضع الآية بهذا

---

(3) والبيت لابن المعتز في ديوانه ص:226، أورده عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ص:74.

(٢) إشارات الإعجاز :28/5.

(٣) الكلمات: 434/1.

التشبيه أمام عين خيال السامع، كأن وراء ستار ، الخضراء -يعني السماء- شجرة شُق أحدُ أغصانها النورانية المدببة البيضاء ذلك الستار ومد رأسه إلى الخارج، والثريا كأنها عنقود معلق فيه. وسائر النجوم كالثمرات النورانية لشجرة الخلقة المستورة. لا جرم فإن عرض الهلال بهذا التشبيه لأولئك الذين مصدر عيشهم ومعظم قُوتِهم من النخيل هو أسلوب في غاية الحسن واللطافة وفي منتهى التناسق والعلو."(١)

وأسوق مثالاً آخر للتصوير الفني حيث يقول الإمام النورسي: "إذا شئت أن تشاهد وتتذوق كيف تنشر كلٌّ آية من القرآن الكريم نور إعجازها وهدايتها وتبدّد ظلمات الكفر كالنجم الثاقب، تصوّر نفسَك في ذلك العصر الجاهلي وفي صحراء تلك البداوة والجهل. فبينا تجد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة ، وغشيه ظلام الجهل ، ولُفَّ بغلاف الجمود والطبيعة، إذا بك تشاهد وقد دبّت الحياة في تلك، الموجودات الهامدة أو الميتة في أذهان السامعين فتنهض مسبحةً ذاكرةً الله بصدى قوله تعالى ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الجمعة : 1] وما شابهها من الآيات الجليلة.

ثم إن وجه السماء المظلمة التي تستعر فيها نجومٌ جامدة، تتحول في نظر السامعين، بصدى قوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ**﴾ [الإسراء : 44] إلى فمٍ ذاكرٍ لله، كل نجم يرسل شعاع الحقيقة ويبث حكمة حكيمة بليغة.

وكذا وجه الأرض التي تضم المخلوقات الضعيفة العاجزة تتحول بذلك الصدى السماوي إلى رأس عظيم، والبر والبحر لسانين يلهجان بالتسبيح والتقديس وجميع النباتات والحيوانات كلمات ذاكرة مسبّحة، حتى لكأن الأرض كلها تنبض بالحياة"(٢)

أقول: تدل هذه الأمثلة على إدراكٍ واعٍ من بديع الزمان النورسي للتصوير الفني في القرآن، وإن كانت أمثلته قليلة ويعود ذلك لقلة ما فسره من كتاب الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق: 435/1.

(٢) الكلمات: 151/1.

المبحث الثاني
الإعجاز العلمي

تقديم

اقتضت الحكمة الإلهية تأييد الرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام– بالبراهين الساطعة، والأدلة القاطعة، دليلاً على صدقهم فيما يبلغون عن ربهم، ولهذا جاءت معجزة النبي محمد ﷺ مختلفة عن معجزات الأنبياء السابقين –عليهم السلام– بديمومتها لإقامة الحجة على الناس في كل زمان. فكان القرآنُ الكريمُ معجزةً خالدةً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، روى الإمام مسلم [(١)] ،عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: (**ما من الأنبياء من نبيٍّ إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيتُ وحيًا أوحى اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**).[(٢)]

إن هذا الحديث الشريف يبين أن القرآن الكريم هو معجزة النبي ﷺ الدالة على نبوته، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت : 42].

وقد مثل إعجازُ القرآن للأمة العربية من حيث بلاغته، وعدم قدرة العرب الأقحاح على الإيتان بمثله، قال تعالى: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ [الإسراء : 88].

وأما غير العرب فإن دلالة القرآن على نبوة سيدنا محمد ﷺ كانت من حيث الموضوعات التي اشتمل عليها هذا الكتاب العظيم، كالمضامين العلمية والتشريعية وغيرها، والتي سجل القرآن الكريم فيها سبقًا لم ولن يكون لولا أنَّ هذا الكتاب وحيٌّ من الله تعالى الخالق لهذا الكون، ولا يعني أن الإعجاز اللغوي غير موجه لغير العرب، لأن بإمكانهم تعلم العربية، وربما فاقوا بعض أهلها.

---

(١) القشيري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، من بني قشير، ولد بمدينة :نيسابور: سنة: 206هـ وتوفي فيها سنة: 261 هـ اهتم برواية الحديث وتدوينه فكان صحيحه من أهم كتب الصحاح في الحديث . تذكرة الحفاظ:589، وفيات الأعيان: 5/194-196.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة:2/186 – إحياء التراث العربي.

وقد تميزت القرون الأخيرة من حياة البشرية بثورة علمية عارمة، شملت كل نواحي الحياة الإنسانية، انبهرت لها العقول، ولما كان مركز هذه الثورة أوروبا، فقد فُتِنَ كثير من المسلمين بهذه الثورة ،إلى حدٍّ جعل بعضهم يظن أن الدين هو سبب التخلف، فانبرى نفرٌ من علماء هذه الأمة يدفعون الكيد بالحجة والبرهان، يمعنون النظر في كتاب الله - عز وجل- لإظهار ما تضمنه الكتاب العزيز من إشارات لطيفة لهذا الفن أو ذاك. فما كان من هذه الإشارات متعلقًا بالعلوم التجريبية يمكن تسميته بالإعجاز العلمي، الذي عرفه الشيخ عبد المجيد الزنداني بأنه: "إظهار صدق الرسول محمد ﷺ بما حمله الوحيُ إليه من علم إلهي، ثبت تحققه، ويعجز البشر عن نسبته إلى محمد ﷺ أو إلى أي مصدر بشري في عصره"[(١)].

آراء العلماء في التفسير العلمي والإعجاز العلمي

اختلفت كلمة العلماء في الإعجاز العلمي قديمًا وحديثًا، فمن قائل به، متحمسٍ له، أمثال: الإمام الغزالي، والإمام الرازي، والشيخ محمد عبده، والشيخ طنطاوي جوهري، إلى معارض له غير قابل للحديث عنه البتة أمثال: الإمام الشاطبي[(٢)]، والشيخ محمود شلتوت[(٣)] وغيرهما، إلى فريق ثالث متحفظ أمثال الأستاذ محمود شاكر[(٤)] ومن سار على نهجه بقبول التفسير العلمي لآيات الكتاب العزيز، وعدم قبول القول بالإعجاز العلمي.

حجج القائلين بالإعجاز العلمي:

ويحتج القائلون بالإعجاز العلمي بآيات من الذكر الحكيم، منها:

١. ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : 67].

٢. ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِّ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : 93].

٣. ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين* وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾[ص :87 -88].

---

(١) الخالدي: د. صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، الطبعة 3، (1413هـ/1992م)، ص: 262.

(٢) الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المتوفى(790هـ-1388م) أصولي حافظ من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، له مؤلفات كثيرة. الأعلام : 75/1.

(٣)شلتوت: محمود، فقيه ومفسر مصري (1310-1383هـ، 1893-1964م) عين شيخاً للأزهر عام1958م، ألف كتباً كثيرة منها تفسيراً لعشرة أجزاء من القرآن. الأعلام : 173/7.

(٤) شاكر: محمود بن محمد (1327-1418هـ/ 1909-1997م) إمام أهل اللغة والأدب في عصره وأحد الذين كانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم وكتب الأوائل له شعر قليل عالي الطبقة، ولد لأسرة علمية تنقل في مناصب علمية عدة، من مؤلفاته أباطيل وأسحار، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا وحقق الكثير من الكتب. ذيل الأعلام : 185/2-186، أحمد العلاونة، دار المنارة للنشر والتوزيع ط1/1422هـ-2002م.

٤. ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت : 53].

الإمام النورسي والإعجاز العلمي

أقف الآن مع الإمام النورسي، أبين موقفه حيث يقول: "أما إجمال القرآن الكريم بعض المسائل الكونية وإبهامه في بعض آخر فهو لمعة إعجاز ساطع وليس كما توهمه أهل الإلحاد من قصور ومدار النقد."[١]

وقال أيضاً: "إذن فقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء، لأن كل شيء موجّه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد.

فأساس كل العلوم ومعدنها ونورها وروحها هو (معرفة الله تعالى) ،كما أن أسّ هذا الأساس هو (الإيمان بالله جلّ وعلا).[٢]

ويقول في موضع ثالث: " نعم إن في القرآن كل شيء. ولكن لا يستطيع كل واحد أن يرى فيه كل شيء، لأن صور الأشياء تبدو في درجات متفاوتة في القرآن الكريم، فأحياناً توجد بذور الشيء أو نواه، وأحياناً مجمل الشيء أو خلاصته، وأحياناً دساتيره، وأحياناً توجد عليه علامات. ويرد كل من هذه الدرجات، إما صراحة أو إشارةً أو رمزاً أو إبهاماً أو تنبيهاً. فيعبر القرآن عن أغراضه ضمن أساليب بلاغته، وحسب الحاجة، وبمقتضى المقام أو المناسبة."[٣]

ويعلل الإعجاز العلمي في القرآن، بقوله :

" إذا قلت: كيف نفهم أن القرآن قد أراد جميع تلك المعاني التي جاءت في الأمثلة السابقة،ويشير إليها؟

فالجواب: ما دام القرآن الكريم خطاباً أزلياً، يخاطب به الله سبحانه وتعالى مختلف طبقات البشرية ، المصطفة خلف العصور ويرشدهم جميعاً، فلا بد أن يدرج معاني عدة لتلائم مختلف الأفهام، وسيضع أمارات على إرادته هذه."[٤]

ويزيد الأمر توضيحاً بقوله عن الإشارات العلمية في القرآن :

"إن القرآن الكريم الذي هو معجز، وفي أسمى بلاغة وأرفعها، يسلك بلا ريب أوضح طرق الاستدلال وأصوبها وأقصرها، وأوفقها لأساليب اللغة العربية، أي أنه يراعي حسيّات العوام ، لأجل إفهامهم وإرشادهم،

---

(1) المكتوبات : 268/4.

(2) الكلمات : 355/1.

(3) المصدر السابق : 277/1.

(٤) المصدر السابق: 456/1.

أي يذكر الدليل وهو انتظام الكون بوجه يكون معروفاً لديهم وتأنس به عقولهم... وبخلافه يكون الدليل أخفى من المدّعى، مما ينافي طريق الإرشاد ومنهج البلاغة ومذهب الإعجاز.

ويوضح المقال بالمثال، فيقول :

"فمثلاً: لو قال القرآن: أيها الناس! انظروا إلى الكرة الأرضية في انجذاب ونشوة ، والسائرة في جو الفضاء، وتأملوا في الشمس المستقرة مع حركتها ، والأجرام العلوية المرتبط بعضها ببعض بالجاذبة العامة، وتدبروا في العناصر الكثيرة ، المرتبط بعضها ببعض ،بأواصر كيماوية في شجرة الخلقة ،المنتشرة فروعها في الفضاء غير المحدود....لتتصوروا عظمة الصانع!! أو انظروا بمجهر عقولكم إلى قطرة ماء، التي تستوعب عالماً من الحيوانات، بأن الله على كل شيء قدير!!

فلو قال القرآن هذا، أما كان الدليل أخفى وأغمض من المدّعى وأحوج إلى التوضيح؟

أما كان ذلك تنويراً للحقيقة بشيء مظلم بالنسبة لهم! أو تكليفهم بأمر غير معقول هو مغالطة أنفسهم تجاه بداهة حسّهم!."[١]

أقول: قد أشار الإمام النورسي إلى قضية هامة ،وهي أن القرآن يعبر عن أغراضه ضمن أسلوب بلاغته، وبالتالي فإن الإعجاز البياني للقرآن الكريم لا ينفك عن الآيات ،حتى لو أشارت إلى مضمون علمي.

عرض الإمام النورسي في حديثه عن الإعجاز العلمي إلى قضايا مرفوضة، منها :

١. "فعلى سبيل المثال: فقد أشار إلى القطار في الآيات الكريمة الآتية: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالله الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [البروج:4-8].

وأيضاً :﴿ **فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ** ﴾ [يس:41-42]."[٢]

أقول: ليس في الآيات الأولى من سورة (البروج) أي إشارة للقطار روى الإمام مسلم عن صهيب حديثاً طويلاً عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في قصة أصحاب الأخدود وكيف أوقع الملك العقاب بالمؤمنين[٣]، وأما آية سورة (يس) فليست الإشارة فيها صريحة.

---

(١) صيقل الإسلام : 8/30-31.

(٢)الكلمات:278/1.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي/كتاب الزهد،باب قصة أصحاب الأخدودو الساحر و الراهب و الغلام: 8/130-133.

٢. "والآية الكريمة التالية ترمز إلى الكهرباء علاوة على إشارتها إلى الكثير من الأنوار والأسرار قال تعالى:﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [النور:35].

يقول الإمام النورسي بعد ذكر هذه الآية:

ولما كان الكثيرون قد انصرفوا إلى هذا القسم، وبذلوا جهوداً كثيرة في توضيحه علماً أن القيام ببحثه يتطلب دقة متناهية، ويستدعي بسطاً للموضوع أكثر من هذا وإيضاحاً وافياً. فضلاً عن وجود أمثلة وفيرة عليه، لذا لا نفتح هذا الباب، ونكتفي بالآيات المذكورة."[١]

أقول: الآية فيها إشارة ولو من طرف خفيٍّ إلى الكهرباء، وهذا ملحظ طيب للإمام النورسي.

وقد كان للإمام النورسي نظرة ثاقبة حول الإعجاز العلمي ف قال-تعليقاً على التقدم التكنولوجي الحديث-: "لذا فالقرآن الكريم -الذي يخاطب البشرية قاطبة -لم يهمل هذا الجانب من حياة البشر، بل قد أشار إلى تلك الخوارق العلمية من جهتين:

الجهة الأولى: أشار إليها عند إشاراته إلى معجزات الأنبياء عليهم السلام.

الجهة الثانية: أشار إليها عند سرده بعض الحوادث التاريخية."[٢]

وفي حديثه عن الجهة الأولى، يقول:

"نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضاً حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله."[٣]

أكتفي بذكر مثال واحد، وعليه يقاس :

(١) الكلمات : 278/1.

(٢) المصدر السابق : 277/1-278.

(٣) المصدر السابق : 279/1.

ومثلاً قوله تعالى : "﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ الله وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[البقرة:60]، هذه الآية تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى –عليه السلام– وهي تشير إلى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا.

فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى:

يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطف فيض من فيوض الرحمة الإلهية، بوساطة عصا، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه.

فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية :

" ما دمت أسلم بيد عبد يعتمد عليّ ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجّر الماء أينما شاء، فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي يمكنك أيضاً أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا، أو نظيرة لها. فهيا اسع لتجد تلك الآلة."

فأنت ترى كيف أن هذه الآية سبّاقة لإيجاد الآلة التي بها يتمكن الإنسان من استخراج الماء في أغلب الأماكن، والتي هي إحدى وسائل رقي البشرية. بل إن الآية الكريمة قد وضعت الخط النهائي لحدود استخدام تلك الآلة ومنتهى الغاية منها، بمثل ما عيّنت الآية الأولى أبعد النقاط النهائية."[١]

أقول: المعجزات تأييد رباني لعباده المرسلين، لإقامة الحجة على الخلق، فإذا استطاع الناس فعل مثلها لم تبق حجة، وهي أمر خارق للعادة، لا يستطيع الناس الإتيان بمثله، وقد أحسن أستاذنا الدكتور فضل عندما جعل من ضوابط الإعجاز العلمي البعد عن الخوض في المعجزات.

ورغم كل ما ذكر الإمام النورسي من أمور لا نتفق معه فيها فقد ذكر أموراً أخرى تتفق مع التفسير العلمي لآيات الكتاب العزيز، سأذكر بعضاً منها:

التفكر في خلق الله تعالى

البرق والرعد :

قال تعالى: ﴿ **فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ﴾ [البقرة:19].

يقول الإمام رحمه الله: "اعلم أن الرعد والبرق آيتان ظاهرتان من جهة العالم الغيبي في أيدي الملائكة الموكلين على السحاب لتنظيم قوانينه. ثم إن كانت الحكمة الإلهية ربطت الأسباب بالمسّببات فإذا تشكل

(١) الكلمات :280/1-281.

السحاب من بخار الماء المنتشر في الهواء، صار قسم حاملاً (للإ لكتريك) المنفي وقسم حاملاً (للإلكتريك) المثبت، فحينما يتقاربان يتصادمان دفعة فيتولد البرق. ثمّ بالهجوم والانقلاع دفعة والامتلاء موضعه بآخر لعدم الخلو، يهتز وتتموج الطبقات فيتولد صدى الرعد. ولا تجري هذه الحالات إلا تحت نظام وقانون يتمثلها ملك الرعد والبرق."(١)

أقول: يعني بالإلكتريك المنفي: الشحنات السالبة، بالإلكتريك المثبت: الشحنات الموجبة.

كانتا رتقاً:

قال تعالى: ﴿ **أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا** ﴾ [الأنبياء:30].

يقول الإمام النورسي –رحمه الله–:"وتفيد هذه الكلمة (رتقاً) للعالم الكوني:

أنه في بدء الخليقة، كانت الأرض والسماء كتلتين لا شكل لهما، وعجينتين طريتين لا نفع لهما، فبينما هما مادة لا مخلوقات لهما، ولا من يدب عليهما، بسطهما الفاطر الحكيم بسطاً جميلاً ومنحهما صوراً نافعة وزينة فاخرة وكثرة كاثرة من المخلوقات – هكذا– يفهم ويأخذه العجب أمام سعة حكمته تعالى.

وتفيد هذه الكلمة للفلاسفة المعاصرين:

إن كرتنا الأرضية وسائر السيارات التي تشكل المنظومة الشمسية كانت في البداية ممتزجة مع الشمس بشكل عجينة لم تفرش بعد، ففتق القادر القيوم تلك العجينة ومكّن فيها السيارات كلاً في موضعه، فالشمس هناك والأرض هنا...وهكذا. وفرش الأرض بالتراب وأنــزل عليها المطر من السماء، ونثر عليها الضياء من الشمس وأسكنها الإنسان...هكذا يفهم ويرفع رأسه من حمأة الطبيعة قائلاً: آمنت بالله الواحد الأحد."(٢)

مستقر الشمس :

قال تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** ﴾ [يس:38].

يقول الإمام النورسي – رحمه الله –:

"والآية نفسها تظهر (اللام) بمعنى (إلى) إلى العالم أيضاً، ولكن ليس بمعنى أن الشمس مصدر الضوء وحده، وإنما كمكوك تحيك المنسوجات الربانية التي تنسج في معمل الربيع والصيف. وأنها مداد ودواة من نور لمكتوبات الصمد التي تكتب على صحيفة الليل والنهار. فيتصورها هكذا ويتأمل في نظام العالم البديع

(١) إشارات الإعجاز: 141.

(٢) الكلمات : 1/453-454، ذو الفقار:45.

الذي يشير إليه جريان الشمس الظاهري، فيهوي ساجداً أمام حكمة الصانع الحكيم قائلاً: ما شاء الله كان، تبارك الله.

أما بالنسبة للفلكي، فإن (اللام) يفهمها بمعنى (في) أي: أن الشمس تنظم حركة منظومتها (كزنبرك) الساعة بحركة محورية حول نفسها. فأمام هذا الصانع الجليل الذي خلق هذه الساعة العظمى يأخذه العجب والانبهار فيقول: العظمة والقدرة لله وحده، ويدع الفلسفة داخلاً في ميدان حكمة القرآن."(١)

أقول :لا تناوب بين حروف الجر في القرآن،وما ذهب إليه النورسي في ذلك غير مقبول منه.

وذكر أيضاً: مسألة (الثور والحوت) المشهورة بقوله:

أجاب الإمام النورسي عن سؤال لأحد الأخوة (السيد رأفت) مخاطباً إياه:

"تذكرون يا أخي في سؤالكم: أن علماء الدين يقولون: الأرض تقوم على الحوت والثور علماً أن الجغرافية تراها كوكباً معلقاً يدور في السماء كأي كوكب آخر، فلا ثور ولا حوت!

الجواب: هناك رواية صحيحة تسند إلى ابن عباس –رضي الله عنه– تقول: سئل الرسول ﷺ على أي شيء تقوم الأرض؟ أجاب على الثور والحوت. وفي رواية أخرى، قال: مرة على الثور ومرة على الحوت. ولكن عددا من المحدثين طبقوا هذه الرواية على حكايات خرافية وقديمة وردت عن الإسرائيليات، ولا سيما من علماء بني إسرائيل الذين أسلموا فهؤلاء غيروا معنى الحديث وحولوه إلى معنى عجيب غريب جداً، حيث طبقوا الحديث على ما شاهدوه من حكايات حول الثور والحوت في الكتب السابقة."(٢)

وللإجابة عن هذا السؤال يقول:

"لا يخفى أن (مسألة الثور والحوت) المشهورة دخيلة في الإسلام وطفيلية عليه، أسلمت مع راويها، فإن شئت راجع (المقدمة الثالثة) لترى أي باب دخلت"(٣). قال في المقدمة الرابعة: "الشُهرة تُملِّك الإنسان ما لا يملك، إذ من سجايا البشر، إسناد الشيء الغريب أو الثمين من اشتهر بجنسه، لإظهاره أصيلاً. أي: لأجل أن يُروّج كلامه ويزينه أو لئلا يكذَّب، أو لأغراض أخرى، يحيل نتائج أفكار الأمة أو محاسن أطوارها إلى شخص ما –ظلماً وعدواناً– ويشاهد صدورها عنه! بينما ذلك الشخص نفسه من شأنه ردّ تلك الهدية المهداة له ظلماً وتعسفاً." (٤)

---

(١) المصدران السابقان : 454/1، و ص: 46.

(٢) اللمعات 138/3.

(٣) صيقل الإسلام: 73/8.

(٤) المصدر السابق: 38/8.

وبعد هذا فإن كون (الأرض والثور والحوت) يُروى فيه حديث:

أولاً: لا نسلّم أنه حديث، لأن عليه علامات الإسرائيليات.

ثانياً: ولو سلمنا أنه حديث، فإنه آحادي، يفيد الظنّ لضعف الاتصال، فلا يدخل في العقيدة، إذ اليقين شرط فيها.

ثالثاً: حتى لو كان متواتراً وقطعي المتن، فليس بقطعي الدلالة. فراجع المقدمة الحادية عشرة، وتأمل في (المقدمة الخامسة) لترى كيف استهوت الظاهريين الخيالات حتى حرفوا هذا الحديث عن محامله الصحيحة ووجوهه الصائبة." [١]

أقول:

يقول في المقدمة الخامسة: "يجب أن يكون للمعنى الحقيقي ختم خاص وعلامة واضحة متميزة والمشخِّص لتلك العلامة هو الحُسن المجرد الناشئ من موازنة مقاصد الشريعة.

أما جواز المجاز فيجب أن يكون على وفق شروط البلاغة وقواعدها، وإلا فرؤية المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً، أو إراءتهما هكذا، إمداد لسيطرة الجهل ليس إلا.

إن ميل التفريط من شأنه حمل كل شيء على الظاهر... حتى لينتهي الأمر تدريجياً إلى نشوء مذهب الظاهرية مع الأسف. وإن حب الإفراط من شأنه النظر إلى كل شيء بنظر المجاز، حتى لين تهي الأمر تدريجياً إلى نشوء مذهب الباطنية الباطل. فكما أن الأول مضر فالثاني أكثر ضرراً منه بدرجات.

والذي يبين الحد الأوسط ويحد من الإفراط والتفريط إنما هو فلسفة الشريعة مع البلاغة، والحكمة مع المنطق."[٢]

"أما الأرض التي هي شقيقة صغيرة للسماوات ورفيقة أمينة للسيارات فقد عين لها ملكان مشرفان يحملانها، يطلق على أحدهما (الثور) وعلى الآخر (الحوت). والحكمة من تسميتهما بهذين الاسمين هي أن الأرض قسمان: البر والبحر أي اليابسة والماء. فالذي يعمر البحر أو الماء هو الحوت أو السمك، أما الذي يعمر البر والتراب فهو الثور، حيث أن مدار حياة الإنسان على الزراعة المحمولة على كاهل الثور."[٣]

وذكر وجهاً آخر، فقال:

---

(١) المصدر السابق: 73/8

(٢) صيقل الإسلام : 41/8.

(٣) اللمعات :140/3، صيقل الإسلام : 73/8-74.

"لو قيل! بِمَ تقوم هذه الدولة؟ فالجواب: على السيف والقلم: أي تستند إلى قوة سيف الجيش وشجاعته وإقدامه وعلى دراية قلم الموظفين وعدالتهم.

وحيث أن الأرض مسكن الأحياء، وسيد الأحياء الإنسان، والقسم الأعظم من الناس يقطنون السواحل ومعيشتهم على السمك، والباقون تدور معيشتهم على الزراعة التي هي على عاتق الثور ومحور تجارتهم على السمك، فمثلما يمكن القول: إن الدولة تقوم على السيف والقلم يمكن كذلك القول: إن الأرض تقوم على الثور والحوت."(١)

أقول: كلام الإمام النورسي حول مسألة الأرض والثور والحوت، كلام متناقض، لايقوم على ساق، إذ مرةً يقول برواية صحيحة ويناقشها، وفي أخرى يقول إنها رواية إسرائيلية أسلمت مع صاحبها.

ورغم أن الإمام النورسي يؤيد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فإنه لم يرد الرواية تلك لمخالفتها للحقائق العلمية، والتي تقطع بأن الأرض كرة تسبح في الفضاء.

---

(١) المصدران السابقان :141/3، و 71/8- 73

المبحث الثالث
الإعجاز التشريعي

تقديم

من بديع حكمة الله تعالى أن جعل الإسلام آخر الأديان، وشريعته أكمل الشرائع وأتمها، قال عز من قائل: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [المائدة:48]، ويقول أيضاً: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[المائدة:3]، ولهذا جاءت الشريعة الغراء غير مسبوقة، فلم تُنسج على مثال سابق، فلا القانون الروماني الذي يتغنون به، ولا غيره من الشرائع يمكن أن يقارن بشريعة الإسلام، و لم يلحق بها تشريع بعدها، فأنى لهم الوقوف في وجهه وهو كلام رب العالمين.

القرآن وحده هو الذي يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ [الإسراء:9].

فشريعة الإسلام وتشريعات القرآن لا تعرف الاختلاف ولاالتضاد ولاالنقص، قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴾ [الكهف:1-2].

الإمام النورسي والإعجاز التشريعي:

ولإمامنا النورسي – رحمه الله– في هذا الجانب أزاهير، نقطف بعضها من بستان رسائله. حيث يقول:

"إنه ﷺ قد بُعث بشريعة مطهرة، وبدين فطري، وبعبودية خالصة، وب دعاء خاشع، وبدعوة شاملة، وبإيمان راسخ، لا مثيل لما بعث به ولن يكون، وما وجد أكمل منه ولن يوجد.

لأن (الشريعة) التي تجلّت من أميّ ﷺ ، وأدارت خُمس البشرية على اختلافها منذ أربعة عشر قرناً إدارة قائمة على الحق والعدل، بقوانينها الدقيقة العزيزة، لا تقبل مثيلاً أبداً."(١)

---

(١) الشعاعات : 167/4.

ويشير إلى أثرها الواقعي، فيقول: "وكذا قد أتى بشريعة غراء عظيمة بحيث أدارت بقوانينها العادلة خمس البشر طوال أربعة عشر قرناً من الزمان، إدارة حققت له الرقي المادي والمعنوي، وهذه حالة لا مثيل لها."(١)

ويصرح بالإعجاز التشريعي حين يقول: "ثم إن الشريعة الغراء التي لم يأت ولا يأتي مثلها هي معجزة أخرى عظيمة للرسول الكريم ﷺ حتى اتفق الأعداء والأصدقاء عليها..."(٢)

مزايا وأسس التشريعات القرآنية :

١. "إن دساتير القرآن الكريم وقوانينه لأنها آتية من الأزل فهي باقية وماضية إلى الأبد. لا تهرم أبداً ولا يصيبها الموت، كما تهرم القوانين المدنية وتموت، بل هي شابة وقوية دائماً في كل زمان."(٣)

ويضرب لذلك مثالاً في أن المدنية بكل هيئاتها ومؤسساتها وأنظمتها وقفت عاجزة عن معارضة مسألتين من القرآن الكريم هما: (الزكاة والربا)

"قال تعالى: "﴿ **وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البقرة:43]، **وقال تعالى:** ﴿ **وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ [البقرة:275]، وسنبين هذا الظهور القرآني المعجز، وهذه الغالبية يعني الغلبة، بمقدمة:

إن أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً.

الكلمة الأولى: (إن شبعت، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع).

الكلمة الثانية: (اكسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا).

نعم، إنه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء، يعني التوازن بين طبقات المجتمع، وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص.

فالآن، إن الكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى الحقد والحسد والصراع. فسُلبت البشريةُ الراحة والأمان لعصور خلت،كما هو في هذا العصر،حيث ظهرت حوادث أوروبا الجسام، بالصراع القائم بين العاملين وأصحاب رأس المال، كما لا يخفى على أحد.

---

(١) الشعاعات: 656/4.

(٢) ذو الفقار: 337.

(3) المصدر السابق: 65.

فالمدنية بكل جمعياتها الخيرية ومؤسساتها الأخلاقية وبكل وسائل نظامها وانضباطها الصارم ، عجزت عن أن تصلح بين تينك الطبقتين من البشر،كما عجزت عن أن تضمد جُرحي الحياة البشرية الغائرين.

أما القرآن الكريم فإنه يقلع الكلمة الأولى من جذورها، ويداويها بوجود الزكاة، ويقلع الكلمة الثانية من أساسها ويداويها بحرمة الربا.

نعم، إن الآيات القرآنية تقف على باب العالم قائلة للربا: الدخول ممنوع، وتأمر البشرية: أوصدوا أبواب الربا، لتنسدَّ أمامكم أبواب الحروب، وتحذِّر تلاميذ القرآن المؤمنين من الدخول فيها."[١]

أقول:إنَّ الأزمة الاقتصادية الحالية، التي وقعت بعد أقلَّ من قرن من كلام النورسي تدل على عمق تفكيره، وسداد رأيه، والحلول المطروحة بجعل الفائدة (صفراً) تدل دلالة واضحة على أن دعوة الإسلام بتحريم الربا هي الأساس الأمثل لنظام اقتصادي عالمي، يحقق السلم الاجتماعي لكافة شعوب الأرض.

2. التشريعات الإسلامية توافق الحكمة وتحقق مصالح البشر:

"إن المدنية الحاضرة لا تقبل تعدد الزوجات، وتحسب ذلك الحكم القرآني مخالفاً للحكمة ومصلحة البشر."[٢]

أقول: يريد الإمام النورسي بهذا الكلام أن يقول: كل تشريعات الإسلام مبنية على الحكمة – يعني أن تقبل المدنية الحاضرة بالتعدد – محققة مصالح البشر، وإن بدا لشذاذ العقول غير ذلك، فيقول:

"نعم، لو كانت الحكمة من الزواج قاصرة على قضاء الشهوة للزم أن يكون الأمر معكوساً، بينما هو ثابت حتى بشهادة جميع الحيوانات وبتصديق النباتات المتزاوجة: إن الحكمة من الزواج والغاية منه هي التكاثر وإنجاب النسل. أما اللذة الحاصلة من قضاء الشهوة فهي أجرة جزئية تمنحها الرحمة الإلهية لتأدية تلك المهمة. فما دام الزواج للتكاثر وإنجاب النسل ولبقاء النوع حكمة وحقيقة، فلا شك أن المرأة التي لا يمكن أن تلد إلا مرة واحدة في السنة، ولا تكون خصبة إلا نصف أيام الشهر، وتدخل سن اليأس في الخمسين من عمرها، لا تكفي الرجل الذي له القدرة على الإخصاب في أغلب الأوقات حتى وهو ابن المائة سنة، لذا تضطر المدنية إلى فتح أماكن العهر والفحش."[٣]

ولسيد قطب، رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا الموضوع [4].

---

(١) الكلمات : 474/1، ذو الفقار :66 .

(٢) ذو الفقار : 66.

(٣) الكلمات : 1/474–475، ذو الفقار : 66–67.

(4) انظر في ظلال القرآن: 1/579-581.

3. **التشريعات الإسلامية لا تتعارض والمنطق العقلي:**

يقول الإمام النورسي: "إن المدنية التي لا تتحاكم إلى المنطق العقلي تنتقد الآية الكريمة: ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ** ﴾ [النساء:11]، التي تمنح النساء الثلث من الميراث (أي نصف ما يأخذ الذكر) ومن البديهي أن أغلب الأحكام في الحياة الاجتماعية إنما تسنّ حسب الأكثرية من الناس، فغالبية النساء يجدن أزواجاً يعيلو نهنّ ويحمونهنّ، بينما الكثير من الرجال مضطرون إلى إعالة زوجاتهم وتحمّل نفقاتهنّ.

فإذا ما أخذت الأنثى الثلث من أبيها (أي نصف ما أخذه الزوج من أبيه) فإن زوجها سيسد حاجتها. بينما إذا أخذ الرجل حظين من أبيه فإنه سينفق قسطاً منه على زوجته، وبذلك تحصل المساواة، ويكون الرجل مساوياً لأخته. وهكذا تقتضي العدالة القرآنية. [١]

أقول: لا تخلو المرأة غالباً ممن يقوم على رعايتها والإنفاق عليها: فمن الأب إلى الأخ أو من الزوج إلى الابن، فالإمام النورسي قصر الرعاية على الأزواج، وبالتالي فإن ما تأخذه الأنثى غالباً ما يكون للادخار.

يقول الدكتور عارف أبو عيد: " مبدأ مساواة المرأة بالرجل الذي ساد أوروبا وأمريكا لا يزال في دور التجربة، و لم تُصدر الحياة حكمها عليه، هل هو خير للمرأة أم شر لها؟ وهل هو شيء عارض لا يلبث أن يزول وتعود المرأة كما كانت أو أنه باق دائم؟ إلا أنه بدا منذ فترة يلوح في الأفق بوادر انحسار هذا المبدأ، وأنه شيء عارض جاء نتيجة المدنية الزائفة، وهو في طريقه إلى الزوال، لأنه يُخرج المرأة عن طبيعتها ويُفقِدها أهم وظائفها في الحياة ، وهي وظيفة الأمومة ورعاية النشء والقيام على شؤون البيت، ولقد بدأت بوادر الضيق والتبرم بهذا المبدأ تظهر في محيط المرأة نفسها."[٢]

4. **التشريعات الإسلامية تتوافق والفطرة الإنسانية:**

ويعرض الإمام النورسي -رحمه الله- لقضية الحجاب، ويقول في حديثه عن قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب:59].

"هذه الآية الكريمة تأمر بالحجاب، بينما تذهب المدنية الزائفة إلى خلاف هذا الحكم الرباني، فلا ترى الحجاب أمراً فطرياً للنساء، بل تعده أسراً وقيداً لهنّ.

---

(١) الكلمات : 475/1، ذو الفقار : 67.

(٢) أبو عيد: د.عارف خليل الوجيز في الميراث ،دار النفائس- الطبعة الأولى: 1412هـ /1992م، ص:23

وسنبين جواباً أربعاً من الحكم فقط ، من بين حكم غزيرة ، دالة على كون هذا الحكم القرآني تقتضيه فطرة النساء، وخلافه غير فطري."[١]

أقول: يفيد كلام النورسي أن تشريعات الإسلام تتفق مع الفطرة، بينما ما تشرعه المدنية الحاضرة يتعارض معها.

سأختصر هذه الحكم الأربع بما لا يغير معناها:

١. الحجاب أمر فطري للنساء، لأنهنّ مجبولات على الرقة والضعف، ولما كانت أكثر ثلثي النساء متقدمات في العمر، أو لسن على قدر من الجمال، فإنهنّ يرغبن في الحجاب حذراً من التعرض والتجاوز عليهنّ، أما الجميلات واللواتي قد يرغبنّ في إظهار جمالهنّ ، فإنهنّ لا يسلمن من نظرات خبيثة من هذا أو ذاك فتجد في الحجاب ملاذاً آمناً، تحمي نفسها من تلك النظرات.[٢]

٢. علاقة الرجل وزوجته ليست قاصرة على الحياة الدنيا فحسب، بل تمتد إلى الآخرة، فلا بد أن يعين كلٌّ منهما الآخر على طاعة الله عزّ وجل ، ليدخلا الجنة معاً، ولا يجوز لأحدهما أو كليهما الجنوح إلى الفسق والفجور فيُسحبان على وجوههما في نار جهنّم.

إن محبة المرأة لزوجها تفرض عليها أن لا تمتع بجمالها غير زوجها، وبالتالي يجب عليها إزاء ذلك ارتداء الحجاب.[٣]

3.التبرج والسفور يضعف الثقة بين الزوجين ، فيهدم السعادة في الأسرة، لأن السفور والاختلاط يعرض كلا الزوجين لرؤية رجالٍ ونساءٍ ، قد يكونون أكثر وسامة وجمالاً من أزواجهم، وينغص ذلك معيشتهم، ويفضي إلى الخلاف والخصام بدل المودة والوئام.

كما أنَّ تبذُّل المرأة أمام محارمها أيضاً قد يكون سبباً في وقوع المعاصي، من محرم سافل نظر نظرة حيوانية لمن هو في الأصل حاميها من غيره.[٤]

4.التبرج والتكشف يحد من الزواج، ويقلل من التكاثر، بسبب عزوف الشباب عن الزواج لعدم وجود ثقة بمن يريد الارتباط بها كزوجة، فالشاب مهما بلغ فسوقُهُ وفجورُهُ لا يحب الاقتران بمن هي على شاكلته، بل التي تعطيه ما يريد من نفسها لا يقبل حديثاً عن ارتباطه بها. فإذا زاد التكشف طال البحث عن الصالحة التي يعز وجودها.

---

(١) اللمعات :3/299-300.

(٢) انظر المصدر السابق بتصرف :3/ 300-301.

(٣) انظر المصدر السابق بتصرف :3/ 301-302.

(٤) انظر المصدر السابق بتصرف :3/ 302-303.

العفة والوفاء من خصائص المرأة، فإذا تجاسرت المرأة على التكشف والسفور بدعوى الشجاعة فقد أخلت بخصلتي الثقة والوفاء لديها مما يؤدي إلى الوقاحة والإسراف. فتزداد الإثارة لدى الرجال وقد يدفعون إلى المعاصي دفعاً.[١]

(١) انظر اللمعات :3/ 303-304.

المبحث الرابع
الإعجاز الغيبي

موقف العلماء من الإعجاز الغيبي:

وقف العلماء من الإعجاز الغيبي مواقف متباينة، بين مؤيد ورافض، حيث نجد أن الإمام الرماني والباقلاني عدّاه من وجوه الإعجاز القرآني، الذي بلغ أسمى صوره في هذا المنحنى من خلال الإخبار عن مغيبات الكون أو ما هو كائن، حيث يقول الإمام الرماني:

" وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة ، والصرفة، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة"(١)

وكذلك يقول الإمام الباقلاني: "ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة وجوه من الإعجاز:

أحدها: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه. فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيّه –عليه الصلاة والسلام– أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عزّ وجل: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة:33،الصف:9].(٢)

في حين رفضه الإمام الخطابي، وحجته في ذلك أن أخبار الغيب لا تكون إلا في آيات محدودة، قال: "زعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، نحو قوله سبحانه: ﴿ **الٓمٓ* غُلِبَتْ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ [الروم:1-3] ، وكقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنْ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ** ﴾ [الفتح:16] ، ونحوهما من الأخبار التي صدّقت أقوالها مواقع أكوانها. قلتُ – الخطابي -: ولا يُشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه وتعالى في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، فقال : ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**

---

(١) النكت في إعجاز القرآن مطبوع في ثلاث رسائل في الإعجاز : ص 75.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ص:75.

وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة :23] من غير تعيين،فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه"[١]

وعلل أستاذنا الدكتور فضل عباس جعل أخبار الغيب في القرآن الكريم إعجازاً بقوله: "قد يقول بعض الناس: لم جعلتم هذا من وجوه الإعجاز مع أن هذه قضايا تاريخية يتناقلها الناس بعضهم عن بعض؟

ونقول لهؤلاء المتسائلين: إن ما قلتموه حق لا ينازع فيه أحد، ولكن شتان بين ما ذكرتم وبين أمر هذا القرآن الكريم، فحوادث التاريخ ليست وقفاً على أحد من الناس دون أحد، فقد يتناقل أجيال من الناس حادثة معينة، خبراً له شأن أو قصة عجيبة، أو حادثة ذات أثر، ولكن الذي جاء في كتاب الله تبارك وتعالى ليس من هذا القبيل، فأخبار الأمم في القرآن الكريم جاء بها النبي ﷺ من عند الله، وهو أمي باتفاق محبيه ومبغضيه، وأوليائه وأعدائه، وأصحابه وخصومه.

لم يقرأ كتب الأولين، و لم يجلس لمعلم يقص عليه قصصه ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت:48-49].[٢]

الإمام النورسي والإعجاز الغيبي:

وأما الإمام النورسي فإنه يرى القرآن الكريم حافلاً بالأمور الغيبية، فيقول: "فالإخبار الغيبي الذي هو أحد أنواع إعجاز القرآن له لمعات إعجازية كثيرة وكثيرة ، لا تعد ولا تحصى، لذا فإن حصر أهل الظاهر تلك الإخبارات الغيبية في أربعين أو خمسين آية فقط إنما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي ، بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الألف منها بل قد تكون في آية واحدة فقط أربعة أو خمسة أخبار غيبية."[٣]

أقول: يعدُّ ما ذكره الإمام النورسي هنا أن الآيات التي تتحدث عن الإعجاز الغيبي تربو على الألف آية إضافة مهمة، تدل على عناية فائقة بتدبر آيات الذكر الحكيم.

وقد تحدث عن الإعجاز الغيبي في الكلمة الخامسة والعشرين تحت عنوان الشعاع الثالث قائلاً: "إعجاز القرآن الكريم ناشئ من إخباره عن الغيوب وديمومة شبابه، وصلاحه لكل طبقة من الناس ، ولهذا الشعاع ثلاث جلوات:

---

(١) بيان إعجاز القرآن مطبوع في ثلاث رسائل في الإعجاز : ص 23-24.

(٢) إعجاز القرآن الكريم : ص:319.

(٣) اللمعات : 49/3.

الجلوة الأولى: إخباره عن الغيوب، لهذه الجلوة ثلاثقبسات.

أقول: أراد بذلك الحديث عن ثلاثة أنواع من الغيوب: غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل.

القبس الأول: إخباره الغيبي عن الماضي:

"إن القرآن الحكيم، بلسان أمي أمين بالاتفاق، يذكر أخباراً من لدن آدم –عليه السلام– إلى خير القرون، مع ذكره أهم أحوال الأنبياء –عليهم السلام– وأحداثهم المهمة، يذكرها ذكراً في منتهى القوة وغاية الجد، وبتصديق من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل فيوافق ما اتفقت عليه تلك الكتب السابقة ويصحح حقيقة الواقعة ويُفَصِّل في تلك المباحث التي اختلفت فيها.

بمعنى أن نظر القرآن الكريم ذلك النظر المطّلع على الغيب، يرى أحوال الماضي أفضل من تلك الكتب ، وبما هو فوقها ، جميعاً بحيث يزكّيها ويصدّقها في المسائل المتفق عليها، ويصححها ويفصل في المباحث التي اختلف فيها، علماً أن إخبار القرآن الذي يخص أحوال الماضي ووقائعه ليس أمراً عقلياً حتى يُخبَر عنه بالعقل، بل هو أمر نقلي متوقف على السماع، والنقل خاص بأهل القراءة والكتابة، مع أن الأعداء والأصدقاء متفقون معاً على أن القرآن إنما نـــزل على شخص أمي ، لا يعرف القراءة والكتابة ، معروف بالأمانة موصوف بالأمية.

وحينما يخبر عن تلك الأحوال الماضية يخبر عنها وكأنه يشاهدها كلها، إذ يتناول روح حادثة طويلة وعقدها الحياتية، فيخبر عنها ويجعلها مقدمة لمقصده."[1]

أقول: الإمام النورسي بهذا الحديث يبرز أهمية النقل الصحيح للأخبار الماضية، ويدلل على صدقها بأن ناقلها صادق أمين، ويثبت إعجازها بكون النبي ﷺ أمي.

وكلام الإمام النورسي في الفقرة السابقة فيه مقارنة رائعة بين أخبار القرآن الكريم، وأخبار الكتب السابقة، إنه –القرآن الكريم– هو المهيمن على الكتب كلها، فهو:

١. يصدّق المسائل المتفق عليها ويزكيها.

٢. يصحح الأخطاء التي وردت في هذه الكتب، خصوصاً تلك التي تناولت عصمة الأنبياء وسيرهم الذاتية، كإتهام داود –عليه السلام– بالزنا، والطعن في طهارة مريم–عليها السلام–.

---

(١) الكلمات : 468/1.

(2) الجلوة: يقول الزمخشري: في باب ج ل ي، وهذا أمر جلي غير خفي. وأخبره عن جلية الأمر، وهي ما ظهر من حقيقته. (أساس البلاغة: ص 62). ويعني ذلك أن الجلوة تعني بروز الأمر وظهوره.

وأما القبس: فيقول ابن فارس: شعلة النار، واقتبست منه علما. (معجم مقاييس اللغة: ص871). وهذا يعني تفرع القبس عن الجلوة.

٣. التفصيل في الحوادث المختلف فيها، كحادثة إلقاء الأقلام لكفالة مريم –عليها السلام–.

ويقرر الإمام النورسي أيضاً أهمية النقل الصادق لمعرفة الماضي، وعدم التحكم العقلي في نقل هذه الوقائع، قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ** ﴾ [السجدة:26].

"**القبس الثاني:إخباره الغيبي عن المستقبل:**

لهذا القسم أنواع كثيرة:

القسم الأول: خاص بقسم من أهل الكشف والولاية.

مثلاً:إنَّ محيي الدين بن عربي وجد كثيراً من الإخبار عن الغيب في سورة الروم ﴿ **الم * غُلِبَتْ الرُّومُ** ﴾ [الروم:1-2].

وإن الإمام الرباني (أحمد الفاروقي السرهندي) شاهد في المقطعات التي في بدايات السور كثيراً من اشارات المعاملات الغيبية.

وبالنسبة إلى علماء الباطن فالقرآن الحكيم من أوله إلى آخره نوع من الإخبار عن الغيب."[١]

أقول: يريد الإمام بديع الزمان النورسي بعلماء الباطن، مشايخ الصوفية، فقد أشار قبل قوله: "وبالنسبة إلى علماء الباطن إلى (محيي الدين بن عربي والإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي)، ولا يريد بذلك أصحاب الفرق الباطنية، إذ أن مذهب القوم (الصوفية)." هو القول بالشريعة والحقيقة، والحقيقة ضرب من التأويل إذا كان موافقاً للمعنى اللغوي والسياق، لا بأس به، وأما إذا ابتعد عن ذلك فغير مقبول، قال الدكتور الذهبي: "ولهذا اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسين:

أولهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجري على المقاصد العربية.

وثانيها: أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر، يشهد لصحته من غير معارض."[٢]

ولقد ذهب الإمام النورسي بعيداً، في الاستدلال والإشارات حيث يقول: "إنه من شأن القرآن الكريم وإعجازه العظيم، ومن مقتضى البلاغة والمعجزة للسان الغيب ، أن ترد فيه رموز وإيماءات لجلب الأنظار إلى رسائل النور، التي هي معجزته المعنوية في هذا الزمان بمثل إخبارات الإمام علي –رضي الله عنه– والشيخ الكيلاني –قدس سره– الواردة بطرز إشاري ورمزي حول أهمية رسائل النور وقيمتها.

---

(1) الكلمات : 468/1.

(٢) د. محمد حسين الذهبي ،التفسير والمفسرون – 358/2 – الطبعة الثانية (1396هـ – 1976م).

نعم، ففي سجن (اسكي شهر) وفي وقت رهيب حيث كنا أحوج ما يكون إلى سلوان قدسي خطر على القلب ما يلي:

إنك تبين شهوداً من كلام الأولياء السابقين على أحقية رسائل النور وقبولها، بينما بمضمون الآية الكريمة ﴿ **وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [الأنعام:59]، فإن صاحب الكلام في هذه المسألة هو القرآن الكريم، فهل يقبل القرآن الكريم ويرضى برسائل النور؟، وكيف ينظر إليها؟.

واجهت هذا السؤال العجيب، واستمددت من القرآن الكريم، وإذا بي أشعر في ظرف ساعة أن رسائل النور فرد داخل ضمن كلية المعنى الإشاري، الذي يمثل طبقة واحدة من طبقات التفرعات للمعنى الصريح لثلاث وثلاثين آية كريمة، وعرفت قرينة قوية بدخولها في ذلك المعنى وتخصيصها، فشاهدت قسماً منها بشيء من الوضوح، وقسماً آخر مجملاً. [١]

ويربط بين المعنى الصريح والمعنى الإشاري فيقول: "فنحن لا نقول في تلك الرسالة: إن المعنى الصريح للآية الكريمة هو هذا، ليقول العلماء فيه نظر!

و لم نقل فيها: إن كلية المعنى الإشاري ه ي هذه.

"بل نقول إن تحت المعنى الصريح للآية الكريمة طبقات متعددة من المعاني، إحدى هذه الطبقات هي المعنى الإشاري والرمزي، فهذا المعنى الإشاري هو أيضاً كلي، له جزئيات في كل عصر ، فرسائل النور فرد في هذا العصر من أفراد كلية طبقة المعنى الإشاري ذاك." [٢]

ويبين استمداده لهذه المعاني، فيقول: "وقد جرت بين العلماء منذ القدم دستور حساب الجمل والجفر[٣] – حساب الأبجدية- لإيجاد القرائن والحجج، فهذا الطراز من الحساب لا يخدش الآية الكريمة ولا يجرح معناها الصريح، بل قد يكون وسيلة لبيان إعجاز القرآن وعظمة بلاغته ، فلا اعتراض على هذه الإشارات الغيبية، إذ الذي لا يستطيع إنكار ما لا يعد ولا يحصى من استخراجات أهل الحقيقة من الإشارات القرآنية التي لا تحصى، ما ينبغي له أن ينكر هذا بل لا يمكنه ذلك."[٤]

لم يثبت الإمام النورسي على ما ذهب إليه، فيقول:

---

(١) الملاحق : 179/7.

(٢) المصدر السابق: 179/7 – 180.

(٣) علم الجفر والجامعة: وهو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً، والجفر عبارة عن لوح القضاء والقدر، الذي هو عقل الكل، والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل، وقد ادعى طائفة أن الإمام علي –رضي الله عنه- وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد الجفر، يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معينة، ألفاظ يستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر. العلامّة حاجي خليفة كشف الظنون 591/1.

(٤) الملاحق : 180/7.

"سؤالكم الثالث: تطالبون فيه درساً يكون مفتاحاً لعلم (الجفر).

الجواب: إننا يا أخي لسنا في هذه الخدمة القرآنية بإ رادتنا ولا بتدبيرنا للأمور ، بل إنَّ اختياراً — وهو خير لنا– فوق اختيارنا وخارج إرادتنا، يهيمن على أعمالنا واختيارنا.

إعلم، أن علم الجفر يُشغل الإنسان عن وظيفته الحقيقية ويصرفه عنها، لما فيه من ذوق وولع حتى كانت تحلُّ لي أسرار تخص القرآن بذلك المفتاح لمرات عِدّة، ولكن ما أن أتوجه إليه بشوق وذوق حتى توصد الأبواب دوني فوجدت في هذا الأمر حكمتين:

الأولى: احتمال الوقوع في موضع ينافي الأدب اللائق بالقاعدة الأساسية (لا يعلم الغيب إلا الله).

الثانية: إن العمل على إرشاد الأمة إلى حقائق الإيمان والقرآن بواسطة البراهين الدامغة، له من الفضائل والمزايا ما يفوق مئة مرة درجة العمل بإرشادهم بالعلوم الخفية كعلم الجفر. حيث أن الحجج القاطعة والدلائل الثابتة لا تدع مجالاً للمداخلة في تلك الوظيفة السامية ، بينما علم الجفر وأمثاله من العلوم الخفية غير المنضبطة بقواعد محكمة، قد يساء استعماله بولوج الماكرين فيه."[١]

أقول: نخلص مما تقدم أن الإمام النورسي يأخذ بالمعنيين الصريح والإشاري، لكن الإشاري ذوق غير ملزم للآخرين، بينما المعنى الصريح هو الأساس في الفهم.

القبس الثالث: إخباره الغيب عن الحقائق الإلهية والحقائق الكونية والأمور الأخروية:

نعم! إن بيانات القرآن التي تخص الحقائق الإلهية، وبياناته الكونية التي فتحت طلسم الكون وكشفت عن معمّى خلق العالم لهي أعظم البيانات الغيبية، لأنه ليس من شأن العقل قط، ولا يمكنه أن يسلك سلوكًا مستقيمًا بين ما لا يُحدُّ من طرق الضلالة، فيجد تلك الحقائق الغيبية. وكما هو معلوم فإن دهاة حكماء البشر لم يصلوا إلى أصغر تلك الحقائق وأبسطها بعقولهم، ثم إن عقول البشر ستقول بلا شك أمام تلك الحقائق الإلهية والحقائق الكونية التي أظهرها القرآن الكريم، صدقت، ومستقبل تلك الحقائق بعد استماعها إلى بيان القرآن بصفاء القلب وتزكية النفس وبعد رقي الروح واكتمال العقل، وستباركه.

ويضيف: أما إخبار القرآن الغيبي عن الآخرة والبرزخ، فإن عقل البشر وإن لم يدرك أحوال الآخرة والبرزخ بمفرده ولا يراها وحده، إلا أن القرآن يبينها ويثبتها اثباتًا يبلغ درجة الشهود.[٢]

---

(١) اللمعات : 57/3.

(٢)الكلمات: 471/1.

غيبيات في أواخر سورة الفتح:

وضرب مثالاً توضيحيًا لاستنتاجات الإعجاز الغيبي من خواتيم سورة الفتح،قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ [سورة الفتح آية :27- 29].

"هذه الآيات الثلاث في سورة الفتح لها وجوه إعجازية كثيرة جدًا.

فوجه من الوجوه الكلية العشرة لإعجاز القرآن هو الإخبار عن الغيب الذي يظهر في هذه الآيات الكريمة ثمانية وجوه:

الوجه الأول:

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ** ...﴾ الخ الآية، تخبر أخبارًا قاطعًا عن فتح مكة قبل وقوعه، وقد فتحت فعلاً بعد سنتين كما أخبرت هذه الآية"[(١)]

أقول: الآية تخبر أن الرسول ﷺ ومن معه سيدخلون المسجد الحرام بأمان لأداء العمرة التي اصطلح عليها بعمرة القضاء، كما اتفق في صلح الحديبية، ويدل عليها، ما اتفق عليه الرسول ﷺ مع سهيل بن عمرو من العودة في العام التالي: "وأنك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عرها فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، والسيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها."[(٢)]

الوجه الثاني:

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾[سورة الفتح آية :27].

---

(١) اللمعات : 40/3-41.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية : 318/3.

تنبئ هذه الآية: أن صلح الحديبية وإن بدا ظاهرًا أنه ليس في صالح المسلمين ، وأن لقريش ظهورًا على المسلمين الى حدٍ ما، إلا أنه سيكون بمثابة فتح معنوي مبين، ومفتاحًا لبقية الفتوحات. وأن السيوف المادية وإن دخلت أغمادها في الواقع إلا أنَّ القرآن الكريم قد سلَّ سيفه الألماسي البارق ، وفتح القلوب والعقول، إذ بسبب الصلح اندمجت القبائل فيما بينها واختلطت فاستولت فضائل الإسلام على العناد، فمزقت أنوار القرآن حجب التعصب القومي الذميم" [١]

الوجه الثالث:

أن الآية الكريمة تخبر بقيد (لا تخافون) بأنكم ستدخلون البيت الحرام ، وتطوفون حول الكعبة بأمان تام، علمًا أن معظم قبائل الجزيرة العربية ومن هم حوالي مكة المكرمة وغالبية قريش كلهم أعداء للمسلين، فهذا الإخبار يدل على أنكم تدخلون في أقرب وقت المسجد ، وتطوفون دون أن يداخلكم الخوف، وأن الجزيرة ستدين لكم بالطاعة، وقريش تكون في حظيرة الإسلام ، ويعم الأمن والأمان،فوقع كما أخبرت الآية."[٢]

الوجه الرابع :

قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً**﴾[سورة الفتح آية :28].

" هذه الآية تخبر إخباراً قاطعاً: أن الدين الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ سيظهر على الأديان كلها، علماً أن النصرانية واليهودية والمجوسية التي يعتنقها مئات الملايين من الناس كانت أدياناً رسمية لدول كبرى ، كالصين وإيران وروما، والرسول الكريم ﷺ لم يظهر بعد ظهوراً تاماً على قبيلته نفسها. فالآية الكريمة تخبر عن ظهور دينه على الأديان كافة، بل تخبر عن هذا الظهور بكل يقين وحزم إخباراً قاطعاً. ولقد صدّق المستقبل هذا الخبر الغيبي، بامتداد سيف الإسلام من بحر المحيط الشرقي إلى البحر المحيط الغربي."[٣] [٤]

الوجه الخامس:

قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[الفتح:29].

---

(١)اللمعات : 41/3.

(٢) المصدر السابق : 42/3.

(٣) المصدر السابق : 42/3.

(٤) يعني بالمحيط الشرقي المحيط الهندي، والغربي المحيط الأطلسي.

"هذه الآية صريحة في معناه ا من أن الصحابة الكرام هم أفضل بني الإنسان ، بعد الأنبياء –عليهم السلام– لما يتحلون به من سجايا سامية ومزايا راقية، وفي الوقت نفسه تبين ما تتصف به طبقات الصحابة في المستقبل من صفات ممتازة مختلفة خاصة بهم، كما تبين بالمعنى الإشاري –لدى أهل التحقيق– إلى ترتيب الخلفاء الذين سيخلفون مقام النبي ﷺ بعد وفاته، فضلاً عن إخبارها أبرز صفة خاصة بكل منهم مما أشتهروا به وذلك: فإن قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ يدل على سيدنا الصدّيق –رضي الله عنه– المتصف بالمعية الخصوصية والصحبة بل بوفاته أولاً دخل ضمن معيته أيضاً.

كما أن قوله تعالى: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**﴾ يدل على سيدنا عمر –رضي الله عنه– الذي سَيَهُزُ دول العالم ويرعبهم بفتوحاته، وسيشتهر بعدالته على الظالمين كالصاعقة.

وتخبر الآية بلفظ ﴿ **رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ عن سيدنا عثمان –رضي الله عنه– الذي لم يرض باراقة الدماء بين المسلمين، حينما كانت تتهيأ أعظم فتنة في التاريخ، ففضل بكمال رحمته ورأفته أن يضحي بروحه ويسلم نفسه للموت، واستشهد مظلوماً وهو يتلو القرآن الكريم.

كما أن قوله تعالى: ﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ الله وَرِضْوَاناً** ﴾ يشير إلى أوضاع سيدنا علي –رضي الله عنه– الذي باشر مهام الخلافة بكمال الاستحقاق والأهلية، وهو في كمال الزهد والعبادة والفقر والاقتصاد، واختار الدوام على السجود والركوع، كما هو مصدق عند الناس، فضلاً عن إخبارها أنه لا يكون مسؤولاً عن حروبه التي دخلها في تلك الفترة وفي المستقبل، والذي كان يبتغي فيها فضلاً من الله ورضواناً."[١]

__الوجه السادس__: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾

"هذه الجهة فيها إخبار غيبي بجهتين:

__الجهة الأولى:__

أنها تخبر عن أوصاف الصحابة الواردة في التوراة، وهي في حكم الغيب بالنسبة لرسول أمي ﷺ . إذ قد وضح في المكتوب التاسع عشر أن في التوراة وصفاً لصحابة الرسول الذي سيأتي آخر الزمان (معه ألوف الأطهار) في يمينه أو (معه رايات القديسين) بمعنى أن أصحابه مطيعون ، وعبّاد صالحون ، وأولياء لله حتى يوصفون بالقديسين الأطهار.

(١) اللمعات: 3/41-42.

فعلى الرغم مما طرأ من تحريفات كثيرة على التوراة بسبب ترجماتها العديدة لألسنة متنوعة، فإنها ما زالت تصدّق بآيات كثيرة منها هذه الآية الكريمة في ختام سورة الفتح ﴿ **مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ** ﴾.

ورد في الكتاب المقدس: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرّب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فا ران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعةٍ لهم. فأحبّ الشعب جميع قديسيهِ في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك."(١)

الجهة الثانية من الإخبار الغيبي هي:

إن ﴿ **مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ** ﴾ تخبر عن أن الصحابة الكرام والتابعين سيبلغون مرتبة من العبادة، بحيث أن ما في أرواحهم من نور سيشع على وجوههم، وستظهر على جباههم علامة ولايتهم وصلاحهم بكثرة السجود لله.

نعم، فلقد صدّق المستقبل هذا بكل يقين ووضوح وجلاء، فإن زين العابدين –رضي الله عنه– الذي كان يصلي ألف ركعة ليلاً ونهاراً، وطاووساً اليماني –رضي الله عنه– الذي صلى الفجر بوضوء العشاء طوال أربعين سنة، رغم التقلبات السياسية والأوضاع المضطربة، وكثيرين كثيرين أمثالهما قد بينوا سراً من أسرار هذه الآية الكريمة: ﴿ **مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ** ﴾."(٢)

الوجه السابع :

﴿ **وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾[الفتح:29] "هذه الفقرة أيضاً فيها إخبار غيبي بجهتين:

أولاها: أن أخبار ما في الإنجيل من أوصاف الصحابة الكرام أخبار هي في حكم الغيب بالنسبة لرسول أمي ﷺ.

نعم! لقد وردت آيات في الإنجيل تصف الرسول الذي سيأتي في آخر الزمان مثل:

"ومعه قضيب من حديد وأمته كذلك" بمعنى أنه صاحب سيف ويأمر بالجهاد، وأصحابه كذلك أصحاب السيوف ومأمورون بالجهاد، وليس كسيدنا عيسى –عليه السلام– الذي لم يك صاحب سيف. فضلاً عن أن ذلك الموصوف معه قضيب من حديد سيصبح سيد العالم، لأن آية الإنجيل تقول: "وسأذهب كي يجيء سيد العالم."

---

(١) ورد في الكتاب المقدس سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثين ص: 334.

(٢) اللمعات: 43/3–44.

وورد في الكتاب المقدس: لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن انطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم."(١)

ووردت عبارة "ومعه قضيب من حديد وأمته كذلك " في رؤيا يوحنا اللاهوتي، حيث يقول: "ومن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم ، فسيرعاهم بقضيب من حديد ، كما تكسر آنية من خزف، كما أخذتُ أنا أيضاً من عند أبي وأعطيته كوكب الصبح."(٢)

فنفهم من هاتين الفقرتين من الإنجيل: أن الصحابة الكرام وإن بدا عليهم في بادئ الأمر ضعف وقلة ، إلا أنهم سينمون نمو البذرة النابتة وسيعلون كالنبات النامي الناشئ ويقوون حتى يغتاظ منهم الكفار، بل يرضخون العالم بسيوفهم فيثبتون أن سيدهم الرسول الكريم هو سيد العالم. وهذا المعنى الذي تفيده آية الإنجيل هي معنى الآية في ختام سورة الفتح.

الوجه الثامن:

تفيد هذه الفقرة: أن الصحابة الكرام وإن كانوا قد قبلوا بصلح الحديبية لقلتهم وضعفهم آنذاك فإنهم بعد فترة وجيزة يكسبون بسرعة قوة رهيبة بحيث أن البشرية التي أنبتتها يد القدرة الإلهية في مزرعة الأرض تكون سنابلها قصيرة وناقصة وممحوقة بسبب غفلتهم إزاء سنابلهم العالية الشامخة القوية المثمرة المباركة، حتى إنهم يكونون من القوة والكثرة بحيث يتركون دولاً كبرى تتلظى بنار غيظها وحسدها.

نعم إن المستقبل قد بيّن هذا الإخبار الغيبي بأسطع صورة. وفي هذا الإخبار الغيبي إيماء خفي أيضاً وهو:

أنه لما أثنى على الصحابة الكرام بما يتحلون به من خصال فاضلة مهمة كان المقام يلزم وعد ثواب عظيم ومكافأة جليلة لهم، إلا أنه يشير بكلمة {مغفرة} إلى أنه ستقع أخطاء وهفوات مهمة من جرّاء فتن تحدث بين الصحابة، إذ المغفرة تدل على وجود تقصير في شيء وحينذاك سيكون أعظم مطلوب لهم وأفضل إحسان عليهم هو المغفرة، لأن أعظم إثابة هو: العفو، وعدم العقاب."(٣)

غيبيات القرآن والكتب السماوية السابقة:

ويشير الإمام النورسي إلى أسبقية القرآن في إخباراته الغيبية فيقول: "فنقوله وإخباره في أسلوب بديع غزير المعاني، فينقل النقاط الأساس للأخبار الصادقة كالشاهد الحاضر لها. ينقل هكذا لينبّه بها البشر.

---

(١) الكتاب المقدس /إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر6،7،ص:178، كلمة المعزّي وردت في ترجمات أخرى الفارقليط.

(٢) الكتاب المقدس /العهد الجديد رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح الثاني 27-29،ص:398.

(٣) اللمعات 44/3-45.

ومنقولاته هي الآتية: أخبار الأولين وأحوال الآخرين وأسرار الجنّة والجحيم، حقائق عالم الغيب، وأسرار عالم الشهادة، والأسرار الإلهية والروابط الكونية. تلك الأخبار المشاهدة بشهود عيان حتى أنه لا يردّها الواقع، ولا يكذّبها المنطق بل لا يستطيع ردّها أبداً ولو لم يدركها.

فهو مطمع العالم في الكتب السماوية، إذ ينقل الأخبار عنها مصدّقاً بها في مظان الاتفاق، ويبحث فيها مصححاً لها في مواضع الاختلاف.

ألا إنه لمعجزة هذا الزمان أن يصدر مثل هذه الأمور النقلية من (أميّ)!."[1]

وعند تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا** ... ﴾ [البقرة:24] يقول: وأما نظم ﴿ **وَلَنْ تَفْعَلُوا** ﴾ فكأنه لما قال لهم لم تفعلوا...قيل من جانبهم: عدم فعلنا فيما مضى لا يدل على عجز البشر فيما سيأتي. فقال: ولن تفعلوا، فرمز إلى الإعجاز الغيبي بثلاثة وجوه:

أحدها: الإخبار بالغيب وكان كما أخبر. ألا ترى أن الملايين من الكتب العربية مع التمايل إلى تقليد أسلوب التنـــزيل وكثرة المعاندين لو فتشتها لم يوافقه شيء منها. كأنّ نوعه منحصر في شخصه. فإما هو تحت الكل وهو باطل بالاتفاق. فما هو إلا فوق الكل.

والوجه الثاني: أن القطع والجزم بعدم فعلهم مع التقريع عليهم وتحريك أعصابهم في هذا المقام المشكل وفي هذه الدعوى العظيمة علامة صادقة على أنه واثق أمين مطمئن بمآله ومقاله.

والوجه الثالث: أن القرآن كأنه يقول: إذا كنتم أمراء الفصاحة وأشد الناس احتياجاً إليها و لم تقتدروا، لم يقتدر عليه البشر. وكذا فيه إشارة إلى أن نتيجة القرآن التي هي الإسلامية كما لم يقتدر على نظيرها الزمان الماضي، كذا يعجز عن مثلها الزمان المستقبل."[2]

ويعقد الكاتب الفرنسي موريس بوكاي دراسة رائعة للمقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة، في مواجهة العلم ويخلص إلى القول: " الوحي القرآني وقد لحق بالوحيين اللذين سبقاه، ليس فقط خالياً من التناقض في النصوص الذي هو ظاهرة كتابات الناس المختلفين في الأناجيل، بل أنه يبرز للذي يمارس احتباره وتحليله بموضوعية كاملة في ضوء العلم، ذاتيته الخاصة به، وهي الاتفاق التام مع النظريات العلمية الحديثة، ويكشف كما سبق حقائق من النوع العلمي تجعل من المستحيل على رجل في عصر محمد –صلى الله عليه وسلم– أن يكتبه. وهكذا فإن المعارف العلمية الحديثة اليوم تيسر لنا فهم بعض الآيات القرآنية التي عجز الإنسان عن فهمها حتى الآن.

---

(١) الكلمات : 882/1.

(٢) أشارات الإعجاز : 183/5.

ومقارنة العديد من نصوص التوراة مع النصوص القرآنية ذات الموضوع الواحد تؤكد وجود اختلافات أساسية بين تأكيدات التوراة العلمية غير المقبولة وتأكيدات الأخبار القرآنية التي هي في كامل الاتفاق مع المعطيات الحديثة."[١]

أقول: تناول النورسي في الجلوة الثانية شبابية القرآن وفتوته، وفي الجلوة الثالثة تحدث عن خطاب القرآن لكل طبقة من طبقات البشر، أم الجلوة الأولى المتعلقة بالإعجاز الغيبي، فقد قسمها إلى قبسات ثلاثة.

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص:293.

الفصل الثالث

القيمة العلمية لجهود النورسي في الإعجاز

المبحث الأول: الإضافات التي قدمها النورسي في الإعجاز

المبحث الثاني الملاحظات على جهود النورسي في الإعجاز

المبحث الأول
الإضافات التي قدمها النورسي في الإعجاز

أولا:الإمام النورسي ونظرية النظم:

تأثر الإما م النورسي بالإمام الزمخشري بشكل كبير، وإن لم يلحق به من حيث الدقة والإبداع ولكنه كان شديد الحرص على بيان المناسبات، في الآيات والسور، وكتابه إشارات الإعجاز مليءٌ بذلك

ثانيا:الإمام النورسي والإيجاز:

يرى الإمام بديع الزمان النورسي –رحمه الله- أن الإيجاز هو الوجه الثاني من وجوه إعجاز القرآن الكريم بعد نظمه، والإيجاز وإن ذكره غيره من الأئمة كالرماني إلا أنه بحث فيه ظاهرة تشمل آيات القرآن، فيقول: "إن أهم أساس في إعجاز القرآن المبين هو الإيجاز بعد بلاغته الفائقة، فالإيجاز أهم أساس لإعجاز القرآن وأقواه فهذا الإيجاز المعجز في القرآن الكريم كثير ولطيف جداً في الوقت نفسه بحيث ينبهر أمامه أهل العلم والتدقيق."[١]

وفي تسمية كتابه الذي فسر فيه الفاتحة وأوائل سورة البقرة بـــ"إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" دليل واضح على عنايته التامة بالإيجاز.

ثالثا:الإمام النورسي والإعجاز العلمي:

يقول الدكتور عبد الله الخطيب[٢] جهود الإمام النورسي في الإعجاز:

".**الإعجاز العلمي**: بيّنت فيه تفرد الإمام النورسي في هذا المجال، وكيف أنه برهن أن العلم والدين لا يتناقضان أبداً، فالعلم متمم ومكمل لحقائق الدين. وقد تطرق النورسي إلى قضية أن كمال العلوم كلها نابع من الأسماء الحسنى، ومما تفرد فيه النورسي في هذا الباب أنه فتح من معجزات الأنبياء التي ذكرها القرآن الكريم، فتح منها باباً للإشارة إلى أن القرآن حثّ الإنسان منذ القدم للترقي والتقدم في مجال الأخلاق والعلم المادي بذكره لهذه المعجزات"[٣]

---

(١) المكتوبات : 407/2.

(٢) د. عبد الله الخطيب: أستاذ علوم القرآن والتفسير/ جامعة آل البيت- الأردن.

(٣) بديع الزمان النورسي/ فكره ودعوته: ص:68، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-مكتب عمان-ط1482،1هـــ/1997.

أقول: قد سبق الإمام النورسي علماء أجلاء بحثوا في الإعجاز العلمي كالإمام الغزالي والإمام الرازي والقاضي عياض، والذي زاده كان الحديث عن معجزات الأنبياء –عليهم السلام- كجزء من الإعجاز العلمي، حيث يقول: "ولما كان العلماء المحققون من أهل البلاغة قد اتفقوا جميعاً ان لكل آية كريمة وجوهاً عدة للإرشاد، وجهات كثيرة للهداية، فلا يمكن إذاً أن تكون أسطع الآيات وهي آيات المعجزات، سرداً تاريخياً، بل لا بد أنها تتضمن أيضاً معاني بليغة جمة للإرشاد والهداية.

نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعيّن أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها، إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل مرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضاً حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله."(١)

رابعا: الإمام النورسي والفاصلة القرآنية:

لقد سبق أن أشرت إلى أن الإمام النورسي سمى الفاصلة القرآنية باسم: "فذلكة" واتسمت نظرته لها بالشمولية وعدم الاقتصار على الآية بل يعديها إلى الآيات وأبعد من ذلك، حيث يقول:

"اعلم: أن الفذلكات المذكورة في أواخر الآيات، لا تنظر إلى تلك الآية التي هي فيها فقط، بل تنظر إلى مجموع القصة، بل إلى تمام السورة، بل إلى جميع القرآن، لتساند الآيات وتلاحظها وتناظرها، فلا تزن ما في الفذلكة بميزان مآل آيتها فقط، ولا تحمل عظمتها على حكم جزئي مهّد المحل لذكرها، وإلا بخستها حقها. فمثلاً قال الله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ** ... ﴾ [الروم:58] ،﴿ **وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ**﴾ [الأعراف:174]، و ﴿ **إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة:71]، و ﴿ **إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾ [النحل:70] ومثل ﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الذاريات:49] و ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة:183] وأمثالها مماله عيون ناظرة إلى أكثر الآيات التنــــزيلية، وأكثر الآيات التكوينية، وأكثر الأحوال البشرية.

فهذه الخواتيم القرآنية التي تمتهر بها الآيات مع تأييدها لآياتها، ترفع رأس المخاطب من الجزئي المشتت إلى الكلي البسيط، ومن الجزء المفصّل إلى الكل المجمل. وتوجّه نظره إلى المقصد الأعلى... وغير ذلك من أسرار البلاغة."(٢)

---

(١) ذو الفقار ص:129.

(٢) المثنوي العربي النوري: 267/6.

أقول: هذه النظرة المتميزة للإمام النورسي إلى الفاصلة القرآنية المتسقة مع السياق، تعدّ سبقاً مهماً له حيث لم يقف عند حد الآية أو الآيات بل وصل إلى مجمل القصة، كما هو الحال في قوله تعالى ﴿**أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة:5] تعقيباً على الصفات التي ذكرها لهم قبل هذه الآية، فيقول الإمام النورسي: "وأما إطلاق [مفلحون] فللتعميم، إذ مخاطب القرآن على طبقات مطالبهم مختلفة. ف بعضهم يطلب الفوز من النار... وبعض إنما يقصد الفوز بالجنة.. وبعض إنما يتحرى الرضاء الإلهي...وبعض ما يحب رؤية جماله... وهلم جراً... فأطلق هنا لتعم مائدة إحسانه فيجتني كلٌّ مشتهاه."[١]

"اعلم! أن في ختم الآيات في الأغلب بفذ لكات متضمنة للأسماء الحسنى، أو بعينها، أو المتضمنة للأمر بالتفكر والحوالة على العقل، أو متضمنة لأمر كلي من المقاصد القرآنية، شرارات من نور حكمته العلوية ورشاشات من ماء هدايته الإلهية، إذ القرآن الحكيم ببيانه الإعجازي، يبسط الآثار وأفعال الصانع للنظر، ثمّ يستخرج منها الأسماء، أو ثبوت الحشر أو التوحيد.

خامسا: الإمام النورسي والإعجاز السمعي.

تحدث الإمام عن الوجوه الأربعين للإعجاز كما يراها فقال:

"ولما كنت لا أقدر على الإيضاح المفصل لكل وجه من تلك الوجوه المختلفة، لقصر نظري عن رؤيتها، وضيق ذهني عن استيعابها، فقد أوضحت عشر طبقات منها فقط. فاكتفيت بالإشارة المجملة إلى بقيتها. ولكن ظلت في حينه طبقتان منها في (المعجزات الأحمدية) بحاجة إلى مزيد من التوضيح، فالآن نوضحهما:

الطبقة الأولى:[٢] وهم الذين يدركون الإعجاز بأسماعهم، إذ الشخص العامي –من عوام الناس– لا يستمع للقرآن إلا بأذنه، ولا يفهم إعجازه إلا بالسمع. أي أنه يقول:

إن هذا القرآن الذي أسمعه لا يشبه أي كتاب آخر. فإما أنه فوق جميعها أو تحت جميعها. وهذا الأخير لا يستطيع أن يقول به أحدٌ قط، و لم يقله، بل حتى الشيطان نفسه لا يستطيع أن يتفوه به، فهو إذن فوق الجميع. وقد جاء بهذا الإجمال في (الإشارة الثامنة عشرة. ثم وضح هذا الإجمال في (المبحث الأول) من (المكتوب السادس والعشرين) المعروف بـــ(حجة القرآن على حزب الشيطان) الذي يصور فهم تلك الطبقة من الإعجاز ويثبته."[٣]

---

(١) إشارات الإعجاز : 71/5.

(٢) الطبقة الثانية هم الذين يدركون الإعجاز بالرؤية ، وسأذكر ذلك فيما بعد.

(٣) المكتوبات: 523/2.

ويقول الإمام النورسي أيضًا:

"بل إن (العامي الجاهل) الذي لا يفهم شيئاً من معاني القرآن الكريم يشعر بإعجاز القرآن من عدم سأمه في التلاوة. فيحاور ذلك العامي الجاهل قائلاً: إن الاستمرار على تلاوة هذا القرآن لا يولد السأم قط، بل تزيد كثرة تلاوته حلاوته، بينما لو استمعت إلى قصائد جميلة رائعة لمرات عدة فإني أشعر بالملل، لذا فالقرآن ليس بكلام بشر بلا شك."(١)

وتعقيباً على هذا الوجه يقول الدكتور زياد الدغامين:

" وهذا الوجه الذي قرره النورسي لا يخرج عن الوجه البياني، أو سائر وجوه الإعجاز، بسبب أن الذي يستمع للقرآن قد تتعلق نفسه فتذهب إلى فصاحة ألفاظه، أو إلى بلاغة معانيه، أو إلى حقائقه وهداياته أو... وليس مجرد السماع المجرد هو السبب في ذلك. وغاية الأمر أنّ السماع وسيلة إلى أحد وجوه الإعجاز، لا أنه وجه مستقل بذاته كذلك، فإن الإستماع يؤثر فيه عوامل عديدة، بعضها يتعلق بالقارئ والآخر يتعلق بالمستمع، وقد يتعلق بالمقروء نفسه."(٢)

أقول: أرى أن ما ذهب إليه الدكتور الدغامين ليس صحيحاً، لأن القرآن الكريم يؤثر في السامع وإن لم يكن قادراً على إدراك فصاحة اللفظ، أو بلاغة الأسلوب أو سمو المعاني.

لم يكن الإمام النورسي وحده الذي تحدث عن أثر القرآن السمعي، وإن كان هو الذي تحدث عن الإعجاز السمعي، لذا أبين أقوال بعض العلماء في هذا المجال:

١) الإمام الرافعي:

يوضح الرافعي هذا التأثير بقوله:"فإن طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن، وتألقت لها حروف هذه الألفاظ، إنما هي طريقة يُتَوخّى بها إلى أنواع المنطق ، وصفات من اللهجة ، لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم–، فجعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌّ من الاسترسال إليه، والتوفي على الإصغاء، ولا يستمهلهم أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستئنسه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية ، في انسجامه وإطراء نسقه، واتزانه على أجزاء النَفَس مقطعاً مقطعاً، ونبرة ونبرة كأنها توقعه توقيعاً لا تتلوه تلاوة."(٣)

---

(١) المصدر السابق : 240/2.

(٢) إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي ص: 207.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص:181.

ويخلص الشيخ الرافعي إلى القول:

"وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير، وغير ذلك."(١)

٢) الدكتور محمد دراز:

ويتحدث الدكتور درّاز عن الإيقاع القرآني فيقول:

بينما أنت من القرآن في لحن متنوع متجدد، تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل (٢) ،على أوضاع مختلفة، يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء، فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم. بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن ، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب. فكيف يخفى على العرب أنفسهم." (٣)

ويضيف "ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبداً في أفواه الناس وآذانهم ما دامت فيهم حاسة تذوق وحاسة تسمع، وإن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها حقيقة سره ، وينفذون بها إلى بعيد غوره ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نـزلنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:9].

هل عرفت أن نظم القرآن الكريم يجمع الجمال عزة وغرابة؟ وهل عرفت أن هذا الجمال كان قوة إلهية حُفظ بها القرآن من الفقد والضياع؟ فاعرف الآن أن هذه الغرابة كانت قوة أخرى قامت بها حجة القرآن في التحدي والإعجاز."(٤)

٣)سيد قطب:

يقول سيد قطب :"إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز عن الأداء البشري... إنّ له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول... وإن لم تكن هي القاعدة ولكن وقوعها

---

(١) المصدر السابق ص: 183.

(٢) الأسباب: الحرف المتحرك يتلو حرف ساكن يقال لهما: "سبب خفيف" والحرفان المتحركان لا يتلوهما ساكن "سبب ثقيل" والحرفان المتحركان يتلوها ساكن "وتد مجموع"، والحرفان المتحركان يتوسطهما ساكن "وتد مفروق" وثلاثة أحرف متحركة يعقبها ساكن "فاصلة صغيرة" وأربعة أحرف متحركة يعقبها ساكن "فاصلة كبيرة"النبأ العظيم حاشية (1) ص:102.

(٣) النبأ العظيم ص:102.

(٤) النبأ العظيم : 104-105.

يحتاج إلى تفسير وتعليل..." (١) ثمّ ذكر قصة امرأة يوغسلافية استمعت إليه وهو يلقي خطبة وصلاة الجمعة على ظهر سفينة تمخر عباب المحيط الأطلسي إلى أمريكا، حيث قالت: " إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً..ثمّ كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه، وإن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن (الإمام) كانت ترد أثناء كلامه –بهذه اللغة الموسيقية– فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً... هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث فيّ رعشة وقشعريرة! إنها شيء آخر! كما لو كان –الإمام– مملوءاً من روح القدس! ثمّ يقول: وتفكرنا قليلاً ثمّ أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة! وكانت مع ذلك –مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً!" (٢)

وعند تفسير قول الله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ [الطور:33-34]، يقول: "إن في هذا القرآن سراً خاصاً، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات القرآن. يشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير. وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحسّ بمجرد الإستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس واضحاً ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه على كل حال موجود." (٣)

٤) الشيخ محمد رشيد رضا(٤):

ويعقد الشيخ محمد رشيد رضا مقارنة بين الكلام البشري والكلام الإلهي فيقول:

"فإن شئت أن تُشعر سمعك وذوقك بالفرق بين نظم الكلام ونظم الكلام الإلهي، فائت بقارئ حسن الصوت يُسمعك بعض أشعار المفلّقين، وخُطب المصاقع المفوّهين، المتقدمين والمتأخرين، بكل ما يستطيع من نغم وتحسين. ثمّ ليتل عليك بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النظم والأسلوب، كسورة النجم وسورة القمر وسورة الواقعة وسورة الحديد –مثلاً– ثمّ حكّم ذوقك ووجدانك في الفرق بينها في أنفسها، ثمّ في

---

(١) في ظلال القرآن: 1786/3.

(٢) المصدر السابق: 1786/3

(٣) المصدر السابق: 3399/6.

(٤) رضا: (1282-1354هـ/1865-1935م) محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس . رحل إلى مصر سنة1315هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. من آثاره: مجلة المنار، تفسير القرآن الكريم –ولم يكمله– تاريخ الأستاذ محمد عبده، الوحي المحمدي، الخلافة، الوهابيون والحجاز وغيرها. الأعلام 126/6.

الفرق بين كلٍّ منها وبين كلام البشر في كل أسلوب من أساليب بلغائهم، وتأثير كل من الكلامين في نفسك. بعد اختلاف وقعه في سمعك.

بل تأمل المعنى الواحد من المعاني المكررة في القرآن. لأجل تقريرها في الأنفس ونقشها في الأذهان، كالإعتبار بأحوال أشهر الرسل مع أقوامهم من مختصر ومطوّل. وافطن لاختلاف النظم والأساليب فيها. فمن المختصر ما في سور الذاريات والنجم والقمر والفجر: ومن المطول ما في سور الأعراف والشعراء وطه. لعلك إن تدبرت هذا تُشعر البَوْن الشاسع بين كلام المخلوقين وكلام الخالق، وتحكم بهذا الضرب من الإعجاز حكماً ضرورياً وجدانياً لا تستطيع أن تدفعه عن نفسك وإن عجزت عن بيانه بقولك."[١]

أقول: بعد هذه الجولة مع أقوال العلماء حول الإعجاز السمعي وتوافق العالم هذا أو ذاك مع الإمام النورسي فيما ذهب إليه من التأثير القرآني في السامع ، وإن لم يفهم معاني القرآن الكريم، هذا التوافق وإن لم يصل إلى القول بالإعجاز السمعي ، فإني أرى صواب رأي الإمام، فالله سبحانه وتعالى يُلفت النظر إلى أهمية السماع، حيث يقول عزّ من قائل: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة:6] وقد أدرك المشركون في زمن التنـــزيل خطورة السماع، وضرورة التشويش على القرآن حتى لا يؤثر في الناس، فقال الله تعالى حاكياً ذلك على لسانهم: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [فصلت:26].

أقول: لا مشاحة في الإصطلاح، فما يسميه الإمام النورسي الإعجاز السمعي، يسميه غيره الإعجاز بالتأثير، وهو الأولى بالتسمية.

---

(١) رضا: محمد رشيد –تفسير المنار- دار الفكر- ط1 (1427-1428هـ/2007م)148/1

المبحث الثاني
الملاحظات على جهود النورسي في الإعجاز

إن الجهد البشري غير المعصوم يعتريه النقص دائماً، ويبقى عرضةً للنقد، فما من أحد بعد الأنبياء إلا يخطئ ويصيب، ولو عاود المؤلف النظر إلى ما كتب فقد يغيره بالزيادة أو الحذف.

وإذا كان بديع الزمان النورسي، قد أبدع في مجالات كثيرة من خلال عرضه للقضايا القرآنية، ربما يكون قد جانب الصواب في بعض الأمور ، وسأعرض فيما يأتي لبعض الملاحظات على جهود الإمام النورسي في الإعجاز.

أولا: الإمام النورسي والصرفة:

قال الإمام النورسي :

"هناك مذهبان في بيان إعجاز القرآن:

المذهب الأول: وهو الغالب والراجح، وهو مذهب الأكثرية من العلماء، وهو أن لطائف بلاغة القرآن ومزايا معانيه هي فوق طاقة البشر.

أما المذهب الثاني: وهو المرجوح، فهو أن معارضة سورة واحدة من القرآن ضمن طاقة البشر، إلا أن الله –سبحانه وتعالى– قد منعها عن الخلق، ليكون القرآن معجزة الرسول ﷺ، ويمكن أن يوضح هذا بمثال:

إن قيام الإنسان وقعوده ضمن قدرته ونطاق استطاعته، فإن قال نبيّ كريم لشخص ما: لا استطعت من القيام، إظهاراً للمعجزة، و لم يستطع الشخص من القيام فعلاً فقد وقعت المعجزة.

يطلق على هذا المذهب المرجوح: مذهب الصّرفة. أي أن الله سبحانه هو الذي صرف الجن والإنس عن القدرة على المعارضة، فلو لم يصرفهم الله سبحانه عن الإتيان بالمثل لكان الجنّ والإنس بمقدورهم الإتيان بمثله.

وهكذا فالعلماء الذين يقولون وفق هذا المذهب: "لا يمكن معارضة القرآن حتى بكلمة واحدة" هو كلام حقّ لا مراء فيه، لأن الله سبحانه قد منعهم عن ذلك إظهاراً للإعجاز، فلا يستطيعون إذن أن يتفوهوا بشيء للمعارضة، ولو أرادوا قول شيء ما للمعارضة فلا يقدرون عليه من غير إرادة الله ومشيئته."[1]

---

(١) المكتوبات : 2/245-246.

أقول:الإمام النورسي عدّ هذا المذهب مرجوحاً و لم يرده، بل زاد في تعليل عدم مقدرة الإنس والجنّ عن المعارضة والإتيان بمثل القرآن بالمنع عن ذلك، فهو لم يرد القول بالصرفة، وكان الأولى به أن يرده ردّاً مفحماً، كما فعل الجرجاني ولا يقف موقفاً متأرجحاً بين الراجح والمرجوح ، وعند تعرضه للمذهب الراجح لم يصرح بقبوله كما فعل من قبل، بتأييد رأي كلٍّ من الجرجاني والزمخشري والسكاكي، رغم رفضه موقف السكاكي الذوقي من الإعجاز.

إن حديث النورسي الواسع عن بلاغة القرآن، وردَّه للشبهات التي أثيرت حول تكرار القرآن يدل دلالة واضحة على أنه ينظر إلى الإعجاز على أنه نابع من القرآن نفسه، ولكن كلامه حوّل الصَّرفة كان باعثاً على التردد في كون الإعجاز خارجاً عن ذات القرآن.

يقول الإمام النورسي إشارةً إلى المذهب الأول:

"أما بالنسبة للمذهب الأول وهو الراجح ، والذي ارتضاه معظم العلماء، فلهم فيه وجه دقيق، إن كلمات القرآن وجُمله ينظر بعضها إلى البعض الآخر، فتتواجه وتتناظر الكلمات والجمل، فقد تكون كلمة واحدة متوجهة إلى عشرة مواضع، وعندها تجد فيها عشر نكت بلاغية، وعشر علاقات تربطها مع الكلمات الأخرى، وقد ذكرنا هذه العلاقات في تفسيرنا (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) سواءً في سورة الفاتحة أم في مقدمة سورة البقرة ﴿ الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾[البقرة:1-2]."(١)

ثانيا:الإمام النورسي والإعجاز بالرؤية:

بالغ الإمام النورسي –رحمه الله– في ذكر وجوه الإعجاز المختلفة، ومن بينها الإعجاز بالرؤية، حيث يقول: "نحصل مما سبق: أن القرآن الكريم لا يدع أحداً محروماً من تذوق إعجازه، فلكل طبقة من أربعين طبقة من الطبقات المتباينة للناس لهم حظهم من هذا الإعجاز ، أو يشعرهم القرآن بإعجازه، حتى أنه بيّن نوعاً من إعجازه لأولئك الذين ليس لهم نصيب من العلم ولا يملكون "سوى الرؤية" ، من دون القدرة على الاستماع أو الفهم أو الإدراك القلبي وذلك كالآتي:

إن كلمات المصحف المطبوع بخط (الحافظ عثمان) تتقابل وينظر بعضها إلى بعض.

فمثلاً: إن كلمة ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف:22] التي هي في سورة الكهف تناظر كلمة {قطمير} التي هي في سورة فاطر (13)، فلو ثقبت الصفحات ابتداءً من الكلمة الأولى لتبينت الكلمة الثانية بانحراف يسير ولفهم اسم الكلب.

---

(١) المصدر السابق : 246/2.

وكذا كلمة {محضرون} المكررة مرتين في سورة(يس) نرى إحداهما فوق الأخرى. وهما يقابلان كلمة {محضرون}،{محضرين} التي في سورة (الصافات)، فإذا ما ثقبت إحداها لظهرت من خلال الصفحات الكلمة نفسها مع انحراف قليل.

وكذا كلمة {مثنى} التي في آخر سورة (سبأ)تنظر إلى الكلمة نفسها التي هي مستهل سورة (فاطر) ففي القرآن تتكرر كلمة {مثنى} ثلاث مرات، وتناظر اثنتين منها ليس موضع المصادفة قطعاً.

ولهذا النوع من التناظر والتقابل أمثلة كثيرة جداً في المصحف الشريف حتى أن الكلمة الواحدة تتكرر في ما يقرب من ست مواضع، فإذا أوصل بينها بثقب لتراءت الأخريات بانحراف يسير.

ولقد شاهدت مصحفاً خُطَّت الجمل المتناظرة في كل صفائحه المتقابلة بخط أحمر، فقلت آنذاك: "هذه الأوضاع إنما هي أمارات لنوع من الإعجاز" ثم بعد ذلك أخذت أنظر إلى جمل القرآن الكريم فرأيت أن كثيراً منها تتناظر من خلال الصفحات تناظراً ينم عن معنى دقيق.

ولما كان ترتيب القرآن المتداول توقيفياً بإرشاد من الرسول ﷺ ، وقد خطّه خطاطون ملهمون، فإن في نقشه البديع وفي خطه الجميل إشارة إلى نوع من علامات الإعجاز، وذلك لأن هذا الوضع لا يمكن ان يكون مصادفة ، ولا نابعاً من نتاج فكر إنسان. فلولا قصور الطبع لطابقت الكلمات المتناظرة مطابقة تامة."(١)

أقول: أولاً: ترتيب المصحف توقيفياً من الله عزّ وجلّ، بلغنا به الرسولﷺ، كما أوحي إليه.

وثانياً: لم يذكر النورسي الطبقات الأربعين التي تحدث عنها بأن لكل منها حظه من الإعجاز، ولكنه ذكر بعض هذه الطبقات في حديثه عن الإعجاز في قول الله تعالى: ﴿ **وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً** ﴾[النبأ:7] منها العامي، والشاعر والبدوي والجغرافي والأديب، والمتخصص في أمور المجتمع، والفيلسوف الطبيعي.

وذكر الفلكي في معرض حديثه عن الإعجاز في قوله تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** ﴾[يس:38]، ويبدو لي أن هذه الطبقات تشمل التخصصات في العلوم كلها الإنسانية والتطبيقية. كالمؤرخ في الإعجاز الغيبي، والطبيب في قضايا الجسد وما يتعلق به والجيولوجي.... وهكذا.

وقد ردّ القول بالإعجاز بالرؤية الدكتور زياد الدغامين بقوله: "إنّ في القول بإعجاز الرؤية ضرباً من التكلّف والمبالغة، لأنّ التحكم في خط المصحف وطباعته يفوّت مثل هذه التوافقات غير المفسّرة بتفسيرات مقنعة في كثير من الأحيان. أضف إلى هذا أنّ الاشتغال بمعرفة التناظر في ألفاظ القرآن ليس من مقاصد القرآن الكريم نفسه كما تبيّن في كلام النورسي، فإن تثقب صفحات المصحف للوصول إلى نتيجة مفادها أنّ

---

(١) المكتوبات : 240/2-241.

اسم كلب أصحاب الكهف هو قطمير! وهل كان الناس في ذلك الزمن يسمون أسماء كلابهم كما يسمونها في المدنية الغربية اليوم!.

كذلك، فإنّ كلمة {محضرون} قد وردت في سورة (يس) ثلاث مرّات، وهو لا يصح دليلاً على تلك التوافقات في وقوع مفردات القرآن في رسم المصحف وخطه.

كذلك، فإنّ هذه التوافقات ليس لها قاعدة عملية منهجية تضبطها، من حيث عدد الصفحات التي ينبغي أن تتجاوزها، لتصل إلى نتائج في هذه التوافقات. وهو على كلّ حال وجه غير منضبط، وغاية الأمر أنه من قبيل الخواطر والملاحظات النسبية، فما تراه عين توافقاً قد لا يبدو في نظر أخرى كذلك."(١)

أقول: حتى التوافقات التي ذكرها الإمام النورسي لم يكن الانحراف فيها بسيطاً كما يزعم، فمثلاً كلمة {وثامنهم كلبهم} في سورة الكهف جاءت في السطر السادس و قبلها في نفس السطر ثلاث كلمات، بينما كلمة {قطمير} في سورة فاطر جاءت في السطر السابع وقبلها في نفس السطر رقم الآية وكلمة.

وأما كلام الدكتور الدغامين عن تسمية كلابهم فربما كان ذلك، فقد عرف عن العرب تسمية خيولهم.

وكذلك كلمة {مثنى} في سورة سبأ جاءت في السطر الثاني عشر وقبلها كلمتان في نفس السطر، بينما {مثنى} في سورة فاطر جاءت في السطر الحادي عشر وقبلها كلمة واحدة في نفس السطر.

وكذلك، فإن طباعة المصاحف قد تختلف باختلاف الخطوط، وإن وافقت الرسم العثماني، حتى يبنى عليها مثل هذه الملاحظات. ويتبع هذا الوجه من التوافقات ما ذكره الإمام النورسي –رحمه الله– من توافقات ورود لفظ الجلالة (الله) في الصحيفة الواحدة، وتوافقه مع الصحيفة المقابلة، والصحيفة التي قبلها، حيث يقول:

"إن عدد لفظ الجلالة في الصحيفة الواحدة، له علاقة بوجه تلك الصحيفة اليمنى وبالصحيفة المقابلة لذلك الوجه، وأحياناً بالصحيفة المقابلة لها في الجانب الأيسر وبوجه ما وراءها.

وقد تتبعت هذا التوافق في نسخة من مصحفي، فرأيت توافقاً بنسبة عددية جميلة للغاية، على الأغلب، وقد وضعت إشارات عليها في مصحفي، فكثيراً ما كانت تتساوى و أحياناً تصبح نصفاً أوثلثاً، وعلى كل حال تشعر بحكمة وانتظام."(٢)

---

(١) إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي ص: 405.

(٢) المكتوبات : 527/2

أقول: ولقد ناقشت هذا الموضوع في أثناء حديثي عن الإعجاز العددي، لاحظت عدم تطابق ألفاظ الجلالة "الله" في الصحيفة والتي تقابلها من خلال جدول، ناهيك عن التطابق أو التناسب مع الصحيفة قبلها ، أو التي تأتي بعد التي بعدها.

ناهيك أن هذا الإعجاز المزعوم –بالرؤية– غير منضبط ولا يقوم على قاعدة أو قواعد، وطباعة المصاحف تختلف من زمان إلى زمان، والشرط فيها أن توافق الرسم العثماني فقط، وكذلك نتائجه في لفظ الجلالة ليست كما يقول الإمام النورسي. ولهذا لا يمكن عدّ ذلك من وجوه الإعجاز.

وأثبت أدناه جدولاً يبين أن لا علاقة منضبطه بين أعداد ورود لفظ الجلالة في الصحيفة اليمنى والصحيفة المقابلة لذلك الوجه:

السورة	رقم الصفحة	عدد مرات ورود لفظ الجلالة في الصفحة	رقم الصفحة المقابلة	عدد مرات ورود لفظ الجلالة في الصفحة
النساء	77	4	78	4
النساء	101	12	102	8
التوبة	199	8	200	9
التوبة	201	5	202	11
الرعد	251	6	252	8
الأنبياء	327	2	328	لا شيء
النمل	383	2	384	3
الأحزاب	421	10	322	7
سبأ	429	1	430	1
الفتح	513	9	514	7

ثالثا : الإمام النورسي والإعجاز العددي.

أقول: إن الإعجاز العددي بالصورة التي ذكرها الإمام النورسي غير صحيح، وإن كان التناسق العددي في القرآن حريٌّ بالدراسة والتفصيل.

رابعا : الإمام النورسي والقدر المعجز من القرآن:

ذهب الإمام النورسي إلى أن الكلمة القرآنية معجزة، فقال:

" كما أن معجزات الأنبياء بمجموعها أظهرت نقشاً من نقوش إعجاز القرآن، فإن القرآن كذلك بجميع معجزاته معجزة للرسول ﷺ وأن معجزاته ﷺ جميعها أيضاً معجزة قرآنية. إذ أنها تشير إلى نسبة القرآن إلى الله –سبحانه وتعالى– أي أنه كلام الله. وبظهور هذه النسبة تكون كل كلمة من كلمات القرآن معجزة، لأن الكلمة الواحدة آنذاك يمكن أن تتضمن بمعناها شجرة من الحقائق فهي بمثابة النواة...ويمكن أن تكون ذات علاقة مع جميع أعضاء الحقيقة العظمى، بمثابة مركز القلب... ويمكن أن تنظر وتتوجه بحروفها وهيئتها وكيفيتها وموقعها إلى ما لا يحد من الأمور، وذلك لاستنادها إلى علم محيط وارادة غير متناهية."(١)

ويبين فضل كلام الله عزّ وجل على كلام البشر، فيقول:

"نعم، ما دام القرآن الكريم كلام رب العالمين ، وخالق كل شيء ، فكل كلمة من كلماته إذن بمثابة نواة، أي يمكن أن تكون تلك الكلمة نواة تنبت منها شجرة معنوية من الأسرار والمعاني، أو بمثابة قلب تتجسد حوله المعاني والأسرار.

لذلك نقول:

نعم، إن في كلام البشر ما يشبه كلمات القرآن وجمله وآياته، إلا أن تلك الآية الكريمة أو الكلمة والجملة القرآنية قد وضعت في موضعها الملائم لها ، بحيث روعي في وضعها كثير جداً من الارتباطات والعلاقات، مما يلزم علماً محيطاً كلياً كي يضعها في ذلك الموقع اللائق به."(٢)

ويقول أيضاً:

" هناك بدا لي أن كل آية من آيات القرآن الكريم في قمة البلاغة ومنتهى الجزالة، وفي غاية الإعجاز الذي يشع نوره الساطع، حيث إنَّ الآية تكسب علوّها وسموّها وقوتها لصدورها من ذلك المقام السامي الرفيع الذي لا نهاية لعظمته، ولا غاية لسعته ولا منتهى لسموه، من ذي الجلال والعظمة المطلقة، من المتكلم الأزلي جل جلاله...

ومن مبلّغها الذي هو في مقام المحبوبية العظمى ، صاحب المنـــزلة الرفيعة والدرجة العالية. ومن توجهها إلى المخاطبين الذين هم في منتهى الكثرة والأهمية والتباين.

---

(١) الكلمات : 515/1.

(٢) المكتوبات : 247/2.

لذا، تحقق عندي، أنه ليس القرآن كله معجزة فقط، بل كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة."[١]

ويتجاوز النورسي كل الخطوط ليقول إن الحرف معجز كذلك، "وبهذا خرجت من ذلك الخيال الذي هو عين الحقيقة، كما دخلت فيه من (ن) نعبد، وفهمت أنه: ليست آيات القرآن ولا كلماتها معجزة وحدها، وإنما كذلك حروف القرآن –كما في (ن) نعبد- هي مفاتيح نورانية لحقائق عظمى."[٢]

ويوضح ما قاله، فيقول: "لأجل تنوير هذا المعنى سأذكر لكم ما جرى عليّ من حالة نورانية خاصة ومن خيال ذي حقيقة، توضيحاً لمعنى كلمة (...نعبد) وتبياناً لجانب خفي من سرها:

تأملت ذات يوم في (ن) المتكلم مع الغير في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:5] وتحرّى قلبي وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد إلى صيغة الجمع (نعبد)...فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من تلك (النون)، إذ رأيت أنه بسبب مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أديتها في جامع (بايزيد) يكون كل فرد منها بمثابة شفيع لي."[٣]

بل يذهب أبعد من ذلك فيقول:

"وما في نون (نعبد) من سر الجماعة، يصور للمصلي المتنبه سطح الأرض مسجداً، اصطفَّ فيه –مع المصلي- جميعُ المؤمنين، ويرى نفسه في تلك الجماعة العظمى. وبما في إجماع الأنبياء والأولياء على ذكر (لا إله إلا الله) من توافق الأصوات يتيسر للذاكر أن يرى الزمان (حلقة ذكر) تحت رياسة (إمام الأنبياء)...في يمين الماضي (الأنبياء) قاعدون... وفي يسار الاستقبال (الأولياء) جالسون... يذكرون الله بصوت يسمعه من ألقى إليه السمع وهو شهيد. فإن كان حديد السمع والبصيرة استمع الذكر من مجموع المصنوعات أيضاً، ورأى نفسه في حلقة ذكرها."[٤]

أقول: ذهب الإمام النورسي بعيداً في الخيال، وأضفى على الحرف ما ليس له، فالنون تدل على فضل الجماعة لا على إعجاز.

يعقب الدكتور أحمد القضاة تعقيباً على كلام النورسي "تحقق عندي أنه ليس القرآن كله معجزة، بل كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى وكل كلمة فيه معجزة بقوله :

---

(١) المصدر السابق : 508/2.

(٢) المصدر السابق : 509/2.

(٣) المكتوبات : 506/2.

(٤) المثنوي العربي النوري : 162/6.

"فهل هذا الكلام مسلّم؟ ولو كان القدر المعجز من القرآن كلمة لوقع التحدي بها. صحيح أن الكلمات تتفاضل فيما بينها، وفي القرآن الكريم يتم تخيّر الكلمة القرآنية التي تؤدي المقصد بعناية ودقة، مع مراعاة جرسها وحسنها وخفتها على النطق والسمع، لكن ليس هناك من يسلّم أن الكلمة المفردة تكون معجزة بنفسها."(١)

أقول: أرى أن ما ذهب إليه النورسي من إعجاز الكلمة والحرف في القرآن، أمر لا يمكن التسليم به، مع أن الكلمة القرآنية جوهرة العقد، لا يمكن استبدالها بغيرها، ومع أن الحرف له دلالته التي لا يغني عنها غيره، لأن التحدي وقع بالسورة، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نـزلنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة:23] فالتحدي بالسورة طويلة كانت كالبقرة أم قصيرة كالكوثر، وقد عجز بلغاء العرب عن الإتيان بمثل سوره، أما الكلمات فلا أظنهم يعجزون عنها.

وقد ذهب الإمام البقاعي إلى ما ذهب إليه النورسي، من أن التحدي بآية، فيقول: "وحكمة الإتيان بمن التبعيضية –يعني ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** ﴾، في هذه السورة دون بقية القرآن أنه سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثيل أو سمعوا أن أحداً عثر له على شبيه اقتضى الحال الإتيان بها ليفيد أن المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه حك يم ة المعاني متلائمة المباني منتظم أولها بآخرها كسور المدينة في صحة الانتظام وحسن الالتيام والإحاطة بالمباني التي هي كالمعاني والتقاء الطرفين حتى صار بحيث لا يدري أوله من آخره، سواء كانت القطعة المأتي بها تباري آية أو ما فوقها، لأن آيات القرآن كسوره، يعرف من ابتدائها خاتمها ويهدي إلى افتتاحها تمامها، فالتحدي هنا منصرف إلى الآية بالنظر الأول، وإلى ما فوقها بالنظر الثاني."(٢)

أقول: أرى أن ما ذهب إليه الإمام البقاعي من أنّ (من) في (من مثله) تبعيضية ، تعود على السورة فلم يقل به أحد من كبار المفسرين أمثال الزمخشري والرازي وابن كثير وأبي السعود والآلوسي وابن عاشور، وجلّهم قالوا إنّ (من مثله) إما أن تعود على القرآن أو على الرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول الإمام القرطبي: "والضمير في (مثله) عائد على القرآن عند الجمهور من العلماء، كقتادة ومجاهد وغيرهما، وقيل: يعود إلى التوراة والإنجيل. فالمعنى فأتوا بسورة من كتاب مثله فإنها تصدّق ما فيه، وقيل يعود على النبي –

---

(١) بديع الزمان النورسي فكره ودعوته ص: 99.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : 63/1.

صلى الله عليه وسلم- . المعنى: من بشر أميٍّ مثله لا يكتب ولا يقرأ. (فمن) على هذين التأولين للتبعيض. والوقف على (مثله) ليس بتامّ، لأن (وادعوا) نسق عليه."[١]

والذي عليه المحققون من العلماء أن (من) هنا بيانية وليست تبعيضية.

أقول:إنّ ما ذهب إليه الإمام ان البقاعي والنورسي ومن يقول بقولهما يفضي أنّ المشركين متحدون بآية، حتى لو كانت الآية كلمة، وهذا أمر في مقدور الناس أن يأتوا بمثله ، فالآية في سورتها مع أخواتها تشكل وحدة بنائية، يستحيل على البشر الإتيان بمثلها.

والدليل النقلي الصحيح مقدم دوماً على الدليل العقلي، فالقرآن تحدى القوم بسورة على الحد الأدنى، ولا يعني هذا الكلام النيل من قيمة الكلمات القرآنية أو الحروف، فما من كلمة ولا حرف إلا وينادي بأعلى صوت لن تستطيعوا استبدالي بغيري، وإن تعاونتم على ذلك.

وأما الذين ذهبوا إلى أن القدر المعجز من القرآن هو سورة فأكثر، فهم كثيرون من العلماء منهم:

١. الإمام الباقلاني:

قال:" الذي ذهب إليه عامة أصحابنا وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه أنّ أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة، قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها.

قال: فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة، وإن كانت سورة الكوثر، فذلك معجز.

قال: و لم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر."[٢]

٢. الإمام القرطبي:

قال:"فبلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة. هذا رسول ﷺ مع ما أوتي من جوامع الكلم، واختص به غرائب الحكم، إذا تأملت قوله ﷺ في صفة الجنان، وإن كانت في نهاية الإحسان، وجدته منحطاً عن رتبة القرآن، وذلك في قوله –عليه السلام- (**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)[٣].

فأين ذلك من قوله عزّ وجل ﴿ **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ** ﴾[الزخرف:71]

وقوله: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ [السجدة:17] هذا أعدل وزناً، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأقل حروفاً، على أنه لا يعتبر إلا بمقدار سورة أو أطول آية، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : 232/1.

(٢) إعجاز القرآن ص: 261.

(٣) الحميدي : محمد بن فتوح ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، تحقيق د. علي حسين البواب ، دار ابن حزم، (1423هـ - 2002م) ، 99/3 رقم 2350

مجال المتصرف، وضاق على القاصر المتكلف، وبهذا قامت الحجة على العرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة."[١]

3.الإمام ابن عاشور:[٢]

" وإنما وقع التحدي بسورة أي وإن كانت قصيرة دون أن يتحداهم لعدد من الآيات لأن من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل، والإيجاز والإطناب، والاستطراد والاعتراض."[٣]

ويقول في موضع آخر: "فلا جرم كان لنظم القرآن وحسن سبكه إعجازٌ يفوت قدرة البشر هو غير الإعجاز الذي لجمله وتراكيبه وفصاحة ألفاظه ، فكانت السورة من القرآن بمنـــزلة خطبة الخطيب وقصيدة الشاعر لا يحكم لها بالتفوق إلا باعتبارات مجموعها بعد اعتبار أجزائها."[٤]

وقد علل الرافعي –رحمه الله- كون السورة معجزة بقوله: "ولو هم أرادوا هذه السورة الواحدة ما استطاعوها لأن إحساسهم منصرف إلى أصل الكمال اللغوي في القرآن، مستغرق فيه، فلا يرون المعارضة تكون إلا على هذا الأصل، أو تتحقق إلا به، وهو شيء لا تناله القدرة، ولا تيسره القوة، لأنّه على ظهوره في أسلوب القرآن، باطن في أنفسهم، تقف عليه المعرفة، ولا تبلغه الصفة: كالروائح والطعوم والألوان وما إليها فلو ذهبوا إلى معارضة السورة القصيرة على قلة كلماتها، وعلى أنها نفس واحدة وجملة متميزة، لضاق بهم الأمر بمقدار ما يظن الجاهل أنهم يَسَعُهم."[٥]

---

(١) القرطبي: محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط2 (1392هـ/1972م) : 77/1.

(٢) ابن عاشور: محمد طاهر بن عبد القادر بن محمد،(1284هـ/ 1868م) ولي القضاء 1267هـ، ثمّ الفتيا 1277هـ، له كتب منها: شفاء القلب الجريح وهدية الأريب في النحو، والغيث الإفريقي وغيرها. الأعلام: 173/6 ، أقول: لم يشر صاحب الأعلام إلى كتاب التحرير والتنوير في تفسيره.

(٣) ابن عاشور: سماحة الأستاذ الإمام محمد ظاهر ، التحرير والتنوير، دار السحنون للنشر والتوزيع –تونس: 104/١

(٤) التحرير والتنوير : 337/1

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص: 164.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغُر الميامين الطاهرين، وبعد :

فهذه دراسة متواضعة في جهود الإمام بديع الزمان النورسي —رحمه الله تعالى- في إعجاز القرآن الكريم. بذلت جهدي فيها، لإبراز ما قدمه هذا الإمام في مسيرة الإعجاز مسجلاً له إيجابياته وما أكثرها، ومبيناً بعض الملاحظات على هذا الجهد الطيب.

ولا يسعني في نهاية هذا العمل إلا أن أقرر ما يأتي :

١. كانت نظرة الإمام النورسي إلى الإعجاز العلمي نظرة متميزة، إذ جعل معجزات الأنبياء دعوة للبشر حتى يحاكوها فيحققوا تسخيراً أكبر لمكنونات الكون، خدمة للحياة على هذه الأرض.
٢. استخدم الإمام النورسي الإعجاز لاسيما العلمي منه وسيلة إقناع ناجعة في الدعوة إلى دين الله عزّ وجل.
٣. اتفق الإمام النورسي مع الباحثين السابقين في الإعجاز، في كثير من قضايا هذا العلم، كنظرية النظم وبلاغة القرآن.
٤. ابتكر اصطلاح الفذلكة للدلالة على تناسب الآيات، مع ما مُهرت به من أسماء الله الحسنى، ومقاصد القرآن الكريم الكلية.
٥. وجوه الإعجاز الكثيرة التي أوصلها النورسي إلى أربعين وجهاً لا يَعدو بعضها جزيئات تحت الوجوه المعروفة من أنواع الإعجاز القرآني الذي تناوله كثير من العلماء.
٦. الإعجاز العددي وجه من وجوه الإعجاز، وإن كان ما طرحه الإمام النورسي في هذا المجال غير موافق للصواب في أغلبه .
٧. اتفقت وجهة نظر الإمام النورسي مع نظرة بعض العلماء المعاصرين لأثر القرآن في السامع بما يمكن تسميته الإعجاز السمعي.

وقبل أن أختم حديثي أود أن أوصي بأمرين هامين :

الأول: توسيع دائرة دراسة الفاصلة القرآنية، بما يتفق مع وجهة نظر الإمام النورسي في (الفذلكة) بما يخدم قضية الإعجاز القرآني.

الثاني: التوسع في استثمار نظرية النظم بالتفكر واستنباط المعاني بلا تكلف، كما فعل في آيتي ﴿**وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ** .... ﴾ و﴿**الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾.

وختاماً، فإني أتضرع إلى الله العليم القدير أن يوفقنا جميعاً إلى تدبر آيات كتابه العزيز آناء الليل وأطراف النهار، وأن يخرجنا من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وأن يسهل لنا سبل تحصيل العلم النافع، فإنه سبحانه خير مسؤول وخير مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

القرآن الكريم.

الألوسي، شهاب الدين محمود.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصححه، محمد حسين العرب، دار الفكر، (1414هـ / 1994م)

الألباني ، محمد ناصر الدين

صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة الأولى(1408هـ/1988م) .

الألباني ، محمد ناصر الدين

صحيح سنن ابن ماجه، مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة الأولى(1408هـ/1988م) .

الإسلامي.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بديع الزمان النورسي فكره ودعوته ، مكتب عمان ، الطبعة الثانية (1483هـ /1997م)

ابن حنبل، أحمد.

مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي وارد صادر، الطبعة الأولى (1389هـ / 1969م).

ابن خلكان، أحمد بن محمد.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، (1968م).

ابن زكريا، أحمد بن فارس.

معجم المقاييس في اللغة، حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، الطبعة الأولى (1415هـ / 1994م).

ابن كثير، الحافظ أبو الفداء اسماعيل.

البداية والنهاية، مكتبة المعارف –بيروت ومكتبة النصر –الرياض، الطبعة الأولى (1966م).

ابن المعتز .

ديوان ابن المعتز

أبو زيد، أحمد.

السرطان اليهودي ونفوذه الإعلامي- دار عمار للتوزيع والنشر ، الطبعة الثانية.

أبو العتاهية.

ديوان أبي العتاهية – دار بيروت للطباعة والنشر : 1406هـ / 1986م

أبوعيد، عارف خليل.

الوجيز في الميراث، دار النفائس، الطبعة الأولى 1412هـ / 1992م.

أنيس، ابراهيم ورفاقه.

المعجم الوسيط، الطبعة الثانية (1392هـ/1972م).

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب.

إعجاز القرآن، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، دار الفكر، الطبعة الأولى (1406هـ/1986م).

البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج وتوضيح عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة (1427هـ / 2006م).

بك، فريد محمد بك.

الدولة العلية العثمانية . تحقيق د. إحسان حقي – دار النفائس ط6 : 1988/1408م

بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن.

الإعجاز البياني في القرآن، دار المعارف –القاهرة، الطبعة الثالثة، (1404هـ/1984م).

بوكاي، موريس.

التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد المكتب الإسلامي، ط3 (1411هـ / 1990م).

الأصفهاني، الراغب.

مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم –دمشق، الدار الشامية –بيروت، الطبعة الأولى (1412هـ / 1992م).

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني.

البيان والتبيين، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية (2009م).

الجرجاني، عبد القاهر.

دلائل الإعجاز، شرح وتعليق د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى (1415هـ / 1995م).

الجرجاني، الشريف علي بن محمد.

التعريفات، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة (1408هـ / 1988م).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي.

كشف الظنون، دار الفكر.

الحسناوي، محمد.
الفاصلة في القرآن، دار عمار، الطبعة الثانية (1421هـ / 2000م).
الحمداني، أبو فراس.
ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق خالد الدويهي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية (1414هــ/1994م).
الحمصي، نعيم.
فكرة الإعجاز، مؤسسة الرسالة،
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي.
معجم الأدباء المسمى بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، طبعة 1993م.
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي.
معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية–بيروت، طبعة1 (1410هــ/1990م)
الحميدي
محمد بن فتوح ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، تحقيق د. علي حسين البواب ، دار ابن حزم، (1423هــ - 2002م) ، 99/3
الحميري، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب
السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وضبط مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، دار المعرفة – بيروت،
الخالدي، صلاح عبد الفتاح.
إعجاز القرآن البياني ودلائل مصادره الرباني، دار عمار- عمان، الطبعة الثالثة (1429هـ / 2008م).
الخالدي، صلاح عبد الفتاح.
الإنتصار للقرآن، مؤسسة الفرسان للنشر، الطبعة الأولى (1426هـ / 2005م).
الخالدي، صلاح عبد الفتاح.
البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، الطبعة الثالثة (1413هـ / 1992م).
الخالدي، صلاح عبد الفتاح.
سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد، دار القلم والدار الشامية –بيروت، الطبعة الأولى (1411هـ/1991م)

الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، الطبعة الرابعة، تحقيق محمد خلف الله ود.محمد زغلول سلام.
الخطيب البغدادي، أحمد بن علي.
تاريخ بغداد، مطبعة السعادة بمصر، (1349هـ / 1931م).
دراز، محمد عبد الله.
النبأ العظيم، دار القلم، (1376هـ / 1957م).
الدغامين، زياد خليل.
إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي، منشورات جامعة آل البيت، الطبعة الثانية (1430هـ / 2009م).
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.
تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية –بيروت.
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.
سير أعلام النبلاء، تقديم د.سيد حسين العفاني، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوقيفية، (1422هـ).
الرافعي، مصطفى صادق.
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان –المنصورة، الطبعة الأولى (1417هـ / 1997م).
رضا، محمد رشيد.
تفسير المنار ، دار الفكر ، الطبعة الأولى (1427-1428هـ/2007م)
زرزور، عدنان محمد.
علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة (1412هـ/1991م).
الزركشي، محمد بن عبد الله.
البرهان في علوم القرآن، خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، الطبعة الأولى (1408هـ / 1988م).
الزركلي، خير الدين.
الأعلام، دار العلم للملايين.

الزمخشري، محمود بن عمر.
أساس البلاغة ، مكتبة لبنان ناشرون. الطبعة الأولى (1966م)
الزمخشري، محمود بن عمر.
الكشّاف عن غوامض التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، (1406هـ / 1986م).
السامرائي، فاضل صالح.
بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دارعمار، الطبعة الثالثة (1426هـ / 2005م).
السامرائي، فاضل صالح.
التعبير القرآني، دار عمار، الطبعة الخامسة (1428هـ / 2007م).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.
الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث –القاهرة، (1425هـ /2004م).
سنج، أ.ي.ونسنك و.ي.ب.
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل في مدينة ليون (1967م).
الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي.
الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق د.عبد الله درّاز، دار الكتب العلمية.
شاكر، محمود
التاريخ الإسلامي المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (1421هـ / 2000م)
شكري، أحمد خالد.
بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النور، كلية الشريعة –الجامعة الأردنية.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.
جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية.
طعيمة، صابر.
الماسونية ذلك العالم المجهول، دار الجليل –بيروت، الطبعة الخامسة (1406هـ / 1986م).
عباس، فضل حسن، سناء فضل.
إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان –عمان، الطبعة الخامسة (1424هـ / 2004م).

عباس، فضل حسن.

قصص القرآن الكريم، دار الفرقان –عمان، الطبعة الأولى (1420هـ / 2000م).

عبد الباقي، محمد فؤاد.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، (1407هـ / 1987م).

العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز الباز، دار الفكر –بيروت، (1411هـ / 1991م).

العسقلاني، أحمد بن حجر.

الميزان ، دار الفكر ، الطبعة الأولى (1407هـ / 1987م)

علي، أورخان محمد.

سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة (2006م)

العمادي، القاضي أبو السعود محمد بن محمد.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة (1414هـ /1994م

القاضي عبد الفتاح.

البدور الزاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى (1981م)

القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم.

صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الثانية (1392هـ – 1972م).

قطب، سيد.

التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، الطبعة التاسعة (2000م).

قطب، سيد.

في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية التاسعة (1400هـ / 1980م).

قطب، محمد.

رؤية إسلامية نحو العالم المعاصر، دار الوطن للنشر – الرياض ، الطبعة الثانية (1411هـ/1991م).

قطب، محمد.

مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق.

كحالة، عمر رضا.

معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي.

المتنبي، أبو الطيب.

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط مصطفى السقا ورفاقه، دار المعرفة –بيروت.

النجار، زغلول راغب.

الحيوان في القرآن الكريم، دار المعرفة –بيروت، الطبعة الثانية (1428هـ/2007م)

النورسي، بديع الزمان سعيد.

إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

النورسي، بديع الزمان سعيد.

ذو الفقار، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م)

النورسي، بديع الزمان سعيد.

سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م)

النورسي، بديع الزمان سعيد.

الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

النورسي، بديع الزمان سعيد.

صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

النورسي، بديع الزمان سعيد.

الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

النورسي، بديع الزمان سعيد.

اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

النورسي، بديع الزمان سعيد.

المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

النورسي، بديع الزمان سعيد.

المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

النورسي، بديع الزمان سعيد.

الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر –القاهرة، الطبعة الرابعة (2004م).

نويهض، عادل.

معجم أعلام الجزائر.

نويهض، عجاج.

بوتوكولات حكماء صهيون، دار الجليل للنشر –عمان، الطبعة الأولى (1984م).

الهزايمة، أمين القضاة ومحمد عوض.

محاضرات في التاريخ الإسلامي، دار عمار –عمان، الطبعة الثانية (1413هـ / 1992م).

الكتاب المقدس.

فهرس الآيات الكريمة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة الذاريات	
الآية	رقم الصفحة
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)	١٥٠

سورة الطور	
الآية	رقم الصفحة
أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ (١٥)	٤٥
أَمْ يَقُولُونَ ... لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) ... إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)	٣١ ، ١٥٤
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠)	٧٨

سورة النجم	
الآية	رقم الصفحة
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) ... إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)	٩٠
وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى (٣)	٩١
إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)	١١٣

سورة القمر	
الآية	رقم الصفحة
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)	٩٢، ٩٣
تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠)	٢٩

سورة الرحمن	
الآية	رقم الصفحة
فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)	٩٢، ٩٥
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) ... ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧)	٩

سورة الواقعة	
الآية	رقم الصفحة
فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) ... تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)	٧١
سورة الحديد	
الآية	**رقم الصفحة**
سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١)	٦٩
سورة المجادلة	
الآية	**رقم الصفحة**
قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ ... إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)	١١٣
سورة الصف	
الآية	**رقم الصفحة**
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)	١٣٥
سورة الجمعة	
الآية	**رقم الصفحة**
يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَا............... ... العَزِيزِ الحَكِيمِ (١)	٦٩، ١١٨
سورة الملك	
الآية	**رقم الصفحة**
تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ (٨)	٧٦
سورة الحاقة	
الآية	**رقم الصفحة**
الْحَاقَّةُ (١) مَا الحَاقَّةُ (٢)	٩٤

سورة عبس	
الآية	رقم الصفحة
فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ...(٢٤)........مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢)	١١٢
سورة التكوير	
الآية	رقم الصفحة
وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ الله رَبُّ العَالَمِينَ (٢٩)	٨٥
سورة الإنشقاق	
الآية	رقم الصفحة
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١)...........وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)	٧١
سورة البروج	
الآية	رقم الصفحة
قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤)........ بِالله العَزِيزِ الحَمِيدِ (٨)	١٢٢
سورة الزلزلة	
الآية	رقم الصفحة
إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْض زِلْزَالَهَا (١)	٨٥
سورة التكاثر	
الآية	رقم الصفحة
كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٧)	٩٤

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأبيات الشعرية

ABSTRACT

This study addresses the efforts of Imam Badeea' z-zamman Al-norsi in showing the miraculous aspects of the Holy Quran from two standpoints:

a. What is accepted as miracles from Al-norsi's point of view and what he contributed to that.
b. Comments on Al-norsi's efforts in showing those miracles.

Imam Al-norsisi specified some of his subjects to talk about theses miracles such as the positions of meaning compactness, Quranic miracles, the Prophet's Miracles, the greatest Sign Miracle, and the twenty fifth subject of his book.

I presented this Imam through some of what he mentioned in his letters (subjects book) as well as other resources. I elaborated the situation during his time which extended from late nineteenth century until mid-twentieth century. I showed aspects of his experiential life as well as those aspects related to his knowledge.

To clarify what Imam Al-norsi was distinguished for, I illustrated all the literature about meaning compactness in the past and present. I reviewed what was proposed by other scholars such as Al-khattaabi, Al-jorjaani, Al-zamakhshari, Al-raafia'i, Darraz, Sayyed Qutb, Bint Al-Shaati', among others. May Allah reward them all.

I also went over what Al-norsi mentioned regarding other miracles of the Holy Quran; namely, psychological, scientific, rhetoric and legislative miracles.

In addition, I profoundly studied- and in some cases criticized- all the sides that were considered miraculous from Imam Al-norsi's point of view, such as the sight miracles.

Moreover, I uncovered his applications of the order/ organization theory (between words, verses(aayas), and suras of the Quran) through the interpretation of Surat Al-faatiha ‘the opening surah’, and the first thirty verses of Surat Al-baqara ‘the cow surah’.

Imam Al-norsi presented a commendable effort for Quran and Islam. I pray that Allah may add that to his good deeds. I also pray that Allah will forgive my unintentional shortcomings.

All praise and thanks be for Allah, the Lord of all worlds.